الدراسات الاستشراقية



رؤية وإيضاح في المنهج

الأستاذ الدكتور
حسن عيسى الحكيم

العارف للمطبوعات

الدراسات الإستشراقية

رؤية وإيضاح في المنهج

بسم الله الرحمن الرحيم

الدراسات الاستشراقية

رؤية وإيضاح في المنهج

تأليف

الأستاذ الدكتور

حسن عيسى الحكيم

العارف للمطبوعات

الدراسات الإستشراقية رؤية وإيضاح في المنهج

الأستاذ الدكتور

حسن عيسى الحكيم

الطبعة الأولى

كانون الثاني/ يناير 2012

القياس: 17 × 24

عدد الصفحات: 384

ISBN 978-9953-574-22-6

شركة العارف للأعمال ش.م.م

العارف للمطبوعات

بيروت - لبنان 00961 1 452077

العراق - النجف الأشرف 00964 7801327828

Website: www.alaref.net

- هامٌ جداً: إن جميع الآراء الواردة في الكتاب تعبّر عن رأي كتّابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر...

المقدمة

تصدى فريق من المستشرقين ، والكتاب الغربيين للتراث الاسلامي ، فكتبوا وتحدثوا في القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والعقائد الاسلامية، والتاريخ والحضارة والادب في العصور المختلفة ، وتناول بعض المستشرقين رجال العلم والفكر من عرب ومسلمين ، وفي مجالات اختصاصاتهم المعرفية ، ومنهم من تناول التاريخ السياسي او الاجتماعي او الفكري او الحضاري ، وقد سلكت هذه الدراسات طريقين ، احدهما طريق الدراسات المنهجية العلمية ، ذات الاتجاه المحايد المنصف ، والبعيد عن الانحياز الديني والمذهبي ، في حين ابتعد بعضها الاخر عن الحقيقة ، والواقع العلمي ، وقد جاءت دراستنا هذه لتقف عند هذه الدراسات بشقيها من دون انحياز ، او تعصب ، وقد تنقلنا في فصول الكتاب من محطة لاخرى ، فالتقى بعضها بالاخر ، وافترق بعضها ، لذا حاولنا - قدر الامكان- الاحاطة ببعض الدراسات الاستشراقية ، وقد نشرنا بعضها في الصحف والمجلات ، وبعضها لم ينشر الا في صفحات هذا الكتاب ، وآمل من القراء الكرام ، والباحثين الافاضل ، تنبيهنا على نقاط الضعف او الجنوح والهفوات ، لكي نتلافى مواضع الضعف في طبعة اخرى ، ان شاء الله تعالى. وان لدي دراسة مستفيضة عن السيرة النبوية الشريفة في الدراسات الاستشراقية ، وعند اكتمالها ستأخذ طريقها للنشر ، ان شاء الله عز وجل ، ولم يكن غرضي التعرض لآراء المستشريقين لاسباب دينية او عقائدية ، وانما كنت اتعامل معهم معامة الناقد المؤرخ ، شأنهم في هذا

الجانب ، شأن المؤرخين العرب والمسلمين ، على ان الحقيقة يجب ان تقال: ان بعض المستشرقين قد حقق تراثاً اسلامياً استخرج من اظمار متراكمة في مكتبات الغرب ، وقد وقفنا على جانب من نتاجات المستشرقين الانكليز والامريكان والالمان والايطاليين والروس وغيرهم ، وازاء هذه الدراسات قسمناها على قسمين هما:

- الدراسات المحايدة
- الدراسات المعادية

وقد اعتمدنا على هذا التقسيم من خلال النصوص التاريخية الموثوقة ، وقد اشرنا الى هذا الجانب من (المغالطات) المؤكد ثبوتها ، كما دونتها بعض المصادر الاجنبية ، فافردنا لبعض المستشرقين المتخصصين في كتابة السيرة النبوية الشريفة ، دراسات نقدية تحليلية ، لما فيها من اهمية تاريخية ، وقد سمينا كتابنا "الدراسات الاستشراقية رؤية وايضاح في المنهج" ليس من باب التجريح او التشهير ببعض كتابات المستشرقين ، وانما تعاملت مثلما نتعامل مع اية نصوص مدونة ، شأنها في ذلك شأن كتابات العرب والمسلمين ، واسأل الله تعالى التوفيق في انجاز الدراسات الاخرى ، ومنه تعالى نستمد العون ، انه نعم المولى ونعم النصير.

النجف الاشرف

الدكتور

حسن عيسى الحكيم

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

الفصل الاول

القرآن الكريم والسيرة النبوية
في الدراسات الاستشراقية

المقدمة

تناول بعض المستشرقين القرآن الكريم بالدراسة والبحث العلمي، وقد اصاب بعضهم، واخطأ اخرون، وتناول اخرون السيرة النبوية الشريفة وصلتها بالقرآن الكريم من جانب، وبالتشريع الاسلامي من جانب آخر. وقد اكدنا في هذا الفصل من دراستنا عن المستشرقين عن ثقافة هؤلاء، ومدى تعمقهم في فهم النص الاسلامي، وقد تخبط بعض المستشرقين في دراسة "ظاهرة الوحي" وهذا ناتج من عدم هضمهم للاسلام كدين سماوي، وان محمداً عليه افضل الصلاة والسلام، نبي مرسل، وخاتم للانبياء والرسل، وتحتاج الشخصية المحمدية الى دراسات محايدة منصفة، وبعيدة عن التعصب الديني، ووضع النصوص القرآنية والحديثية والتاريخية موضع التحليل والتدقيق، بعيدة عن التبشير واهدافه، والسياسة ومراميها. ولم يترك المفسرون للقرآن الكريم شاردة او واردة في دراسة النص القرآني واسباب نزول الايات الكريمة وحقيقتها التاريخية والجغرافية والبشرية، ولم يفصل المحدثون جوانب السيرة في جميع مراحلها، ورفض الاحاديث الضعيفة والموضوعة، وتحليل رجال الاسانيد وفق مصطلحات الجرح والتعديل، فما على المستشرقين الا الابتعاد عن الاحاديث التي حدد المسلمون مواضع الضعف فيها، واستخدم المؤرخون القرآن الكريم والحديث الشريف عند تدوينهم للسيرة النبوية الشريفة بالتحليل والتدقيق، فما على المستشرقين الا البحث عن الحقيقة. واستخدام النقد الموضوعي في التاشير على النص السليم الصحيح، ورفض النص الضعيف الواهي وكان

كثير من المؤرخين المسلمين وباحثي التاريخ من المعاصرين قد وضعوا نصوص التاريخ على طاولة التشريح ووجهوا تقداً لاذعاً للنصوص التي لا تلتقي مع الحقيقة التاريخية، وقد اردنا من هذا الفصل المخصص لدراسات المستشرقين عن القرآن الكريم والسيرة النبوية، الوقوف على جهود المستشرقين في هذا الجانب المعرفي وكنت قد اعددت دراسات علمية نشرت في مجلات جامعية والقي بعضها في مؤتمرات علمية وهي على النحو الآتي:

١ - دراسات المستشرقين للقرآن الكريم بين الموضوعية وسوء القصد، وقد قدم للنشر.

٢ - المستشرقون ودراساتهم للسيرة النبوية، شارك في المؤتمر العلمي "المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الاسلامي" الذي اقامته كلية الفقه في النجف الاشرف عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٣ - ظاهرة الوحي في الدراسات الاستشراقية، بحث منشور في مجلة سبأ الصادرة عن جامعة عدن (الجمهورية اليمنية)، العدد (١٠، ١١) لسنة ٢٠٠٢م.

٤ - تخرصات المستشرقين للسيرة النبوية (واشنطون ارفنج انموذجاً) بحث منشور عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

٥ - اشراقات محمدية في الادب الاستشراقي، بحث منشور في جريدة الزمان البغدادية، العدد (٢٠٧١) بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢٩.

٦ - ماذا كتب المستشرقون الروس عن السيرة النبوية الشريفة؟

بحث منشور في جريدة الزمان، العدد (٢٢٥٠) بتاريخ ٢٠٠٥/١١/١.

وسوف يقف القارئ على هذه الموضيع الستة، وفيها يتنقل من محطة لأخرى قد تحرك منها المستشرقون لالقاء الضوء على هذا الجانب او ذلك ، فما علينا الا الوقوف على الحقيقة العلمية والابتعاد عن الاتجاهات الدينية والفكرية والسياسية ، وان الامانة العلمية تلزمنا الحياد التام ، والموضوعية وفق ما تمليه النصوص الموروثة ، وما يقبله العقل والمنطق.

دراسات المستشرقين للقرآن الكريم
بين الموضوعية وسوء القصد

تخصص بعض المستشرقين في دراسة القرآن الكريم والسيرة النبوية، وكانت هذه الدراسات تلتقي بالدراسات الاخرى في التاريخ والادب والفلسفة والحضارة والعلم من حيث الموضوعية في العرض واستنباط الادلة، وبين التعصب وسوء الفهم للاسلام ومبادئه وعقائده، ولعل اخطر الدراسات في الفكر الاسلامي. هي دراسة القرآن الكريم، والسيرة النبوية الشريفة لانهما اساس التشريع الاسلامي. وعليهما مرتكز الشريعة والحياة الاجتماعية الاقتصادية، فقد كان المستشرق الفرنسي "بلاشير" فقيهاً في اللغة العربية ونحوها وصرفها، كما له وقفات طويلة في فهم لغة القرآن الكريم في مقدمة كتابه "القرآن" الذي ضم دراسة وافية. وملاحظات دقيقة واشار المستشرق الانكليزي "آدم سمث" في كتابه "حياة محمد" الى القرآن الكريم بقوله: " ان المعجزة الخالدة في يد محمد القرآن ولم يدع معجزة تحدى بها العرب غير القرآن، والحقيقة انه كذلك معجزة، واننا اذا قدرنا ظروف العصر الذي عاش فيه، واحترام اتباعه له احتراماً لاحد له، ووازناه من زماننا، وما كان تاريخه الخارجي وشبابه واقرباؤه خرافة من الخرافات، ولا شائعة من الشائعات، وما كان تاريخه الداخلي رواية مبهمة لبشر غامض او مشوش فبين ايدينا الآن كتاب معاصر هو القرآن فريد في اصالته وفي سلامته من كل تحريف او زيادة"، واكد المستشرق الالماني "تيودور نولدكه" بكتابه "تاريخ القرآن" على عالمية الدين الاسلامي بقوله: "انزل القرآن على محمد

نبي المسلمين، بل نبي العالم لانه جاء بدين الى العالم عظيم وبشريعة كلها آداب وتعاليم عالية. وحري بنا ان ننصف محمداً في الحديث عنه لاننا لم نقرأ عنه الأكل صفات الكمال، وكان جديراً بالاحترام والتكريم"، وذكر الاستاذ محمد كرد علي بكتابه " الاسلام والحضارة العربية" ان الكاتب "كلود فارير" قال: ان ايات القرآن جميلة. وتحسن تلاوتها، فيها نفحة طاهرة عجيبة، لانها تأمر بالشجاعة والصدق والامانة، وتدعو الى حماية الضعيف، والى عبادة اله واحد. وقد احب "جودته" القرآن الكريم منذ عودة الجنود الالمان، الذين اشتركوا مع نابليون في حروبه في اسبانيا وروسيا حيث كانت فرقة (ويمار) تحمل في عودتها من اسبانيا صفحة من مصحف مخطوط، فعكف جودته على هذه الصفحة يحاكي حروفها، وكأنما تحمل اليه، وهو ينسخها عبير الشرف، ولم يقر له قرار حتى حصل عام ١٨١٣م من المستشرق "اشتاد" على ترجمتها باللغة الالمانية، ويقول الاستاذ عبد الرحمن صدقي في كتابه "الشرق والاسلام" : ان هذا الرجل منذ عام ١٧٧٢م. وهو في مدينة فرانكفورت يعكف على تلاوة القرآن الكريم في ترجمة المانية انجزها يومئذ احد ابناء بلدته، عكف من بعدها على تلاوة القرآن في ترجمة لا تينية سابقة لها، طبعها في مدينة (بادوا) في الشمال الشرقي من ايطاليا القس الجزويتي ماراتشي عام ١٦٩٨م، واعيد طبعها عام ١٧٢١م في مدينة ليبزج الالمانية، وقد تغلغلت في اعماق "جودته" من خلال تلاوته للقرآن الكريم حتى اقتبس بعض الايات الكريمة، نقلا عن الترجمة الالمانية، وبقي جوته طويلاً يمعن النظر في القرآن الكريم امعان الباحث

المتفحص ويقول: "ان القارئ الاجنبي قد يمله لأول قراءته، ولكنه يعود فينجذب اليه. وفي النهاية يروعه ويلزمه الاكبار والتعظيم"، ويبرز تعشق "جودته" بالقرآن من خلال شعره الذي اثبته في "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي" فهو يقول: "لله المشرق ولله المغرب، وفي راحتيه الشمال والجنوب جميعا، هو الحق ويشاء بعباده فهو الحق، سبحانه له الاسماء الحسنى، وتبارك اسمه الحق وتعالى علواً كبيراً آمين" وكانت آخر طبعة للقرآن الكريم قد اقتبس منها جودته بمعرفة "شول" عام ١٨٤٦م. وكان الاستاذ "دانتي"، الشاعر الفلورنسي قد تأثر بالثقافة الاسلامية، وانه مدين فيما كتبه في قصته "الكوميديا الالهية" بأثرين اسلاميين هما: رسالة الغفران، وكتاب الفتوحات المكية، وان سورة الاعراف في القرآن الكريم قد امدته في تفاصيلها بفكرة جهنم والصراط والمحشر، وكان الى جانب هؤلاء الموضوعين المنصفين من الاوربيين في تقييم القرآن الكريم، وما يضم من كنوز وافكار، اوربيين قد جانبوا الصواب، وتصدوا للقرآن الكريم بما يتقاطع مع الحقيقة والمنطق فاثاروا شبهات واهية حول الوحي، ففي خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين – وهي فترة الحروب الصليبية وما بعدها – امرت المجامع الدينية والكنسية "روبرت كيتون" بترجمة القرآن الكريم من اجل ان يذاع في الملأ الغربي، بانه كتاب يعيق الفكر والنظر، شديد التناقض في جملته، وهو مصدر الزندقات والفسق والفجور، وقد اشار الاستاذ الدكتور عرفان عبد الحميد، في بحثه "الفكر الاسلامي ومناهج دراسته" المنشور في مجلة الثقافة العربية لسنة ١٩٧٦م الى ابراز مثل هذه التخرصات غير الواعية

والمنطقية للقرآن الكريم وقد اشار الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "مطلع النور" الى ما اورده الدكتور "شنكلر ثسديل" في كتابه "مصادر الاسلام" الى شبهات الناقدين للقرآن الكريم ومنها هذه الابيات:

دنت الساعة وانشق القمر عن غزال صاد قلبي ونفر
احور قد حرت في اوصافه ناعس الطرف بعينيه حور
مر يوم العيد في زينته فرماني فتعاطى فعقر
بسهام من لحاظ فاتك فتركني كهشيم المحتضر

وقد اتخذ الدكتور شنكلر شسديل من هذه الابيات قرينة على اقتباس القرآن الكريم بعض الايات من اشعار الجاهليين، وقد اضاف الى هذه الابيات ابياتا آخر كقول الشاعر:

اقبل والعشاق من خلفه كأنهم من مدب ينسلون
وجاء يوم العيد في زينة لمثل ذا فليعمل العاملون

وقد عقب على هذين البيتين بقوله: "من الحكايات المتداولة في عصرنا الحاضر انه لما كانت فاطمة بنت محمد تتلو هذه الاية وهي (اقتربت الساعة وانشق القمر) سمعتها بنت امرئ القيس، وقالت لها: ان هذه القطعة من قصائد ابي اخذها والدك، وادعى ان الله انزلها عليه". وان هذه الادعاءات الواهية قد ابعدت بعض المستشرقين عن حقيقة الرسالة الاسلامية وألوهية القرآن الكريم.

ووقف بعض الغربيين موقف المتعجب من لغة القرآن الكريم وبلاغته واسلوبه، فقد اشار الاستاذ محمد كرد علي في كتابه "الاسلام والحضارة

العربية" الى الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو في موقفه المتناقض في فهمه للقرآن الكريم فيقول: "من الناس من يتعلم قليلاً من العربية، ثم يقرأ القرآن ويضحك منه، ولو انه سمع محمداً يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة، وذاك الصوت المقنع المطرب المؤثر في شغاف القلوب. ورآه يؤيد احكامه بقوة البيان لخر ساجداً على الارض وناداه ايها النبي رسول الله خذ بايدينا الى مواقف الشرف والفخار، او مواقع التهلكة والاخطار، فنحن من اجلك نود الموت او الانتصار". وكان المؤرخ البريطاني "كارليل" في كتابه الابطال اشار الى اعجاب المسلمين بالقرآن الكريم، وقولهم باعجازه اكبر دليل على تباين الأذو اق في الامم المختلفة، والترجمة تذهب باكثر جمال الصنعة وحسن الصياغة وان الشواهد التي اوردناها حول مواقف المستشرقين والكتاب الغربيين من القرآن الكريم، تحتاج الى وقفات تحليلية ومنهجية من قبل الكتاب والباحثين العرب والمسلمين، لكي يطلع العالم على الحقائق العلمية وبروح محايدة وبعيدة عن التعصب.

المستشرقون
ودراساتهم للسيرة النبوية

المقدمة

لقد خاض المستشرقون في الدراسات العربية الاسلامية من جوانب عديدة؛ فدرسوا الاسلام والقرآن الكريم والسيرة النبوية والعرب والحضارة والفكر والفن والادب والفلسفة والتاريخ والعلوم الاخرى التي عرفها العرب والمسلمون، وكان بعض هذه العلوم والدراسات متداخلا بعضه مع البعض الاخر، وبعضها مستقلا ببحوث منفردة، فالسيرة النبوية تتداخل مع القرآن الكريم والحديث الشريف والدين الاسلامي وعلومه في معظم الدراسات الاستشراقية التي اطلعنا عليها، ونظراً لسعة الموضوع حاولت تناول السيرة النبوية وحدها من بين الدراسات دون الخوض بالموضوعات الاخرى الا اذا كانت مرتبطة بالسنة والسيرة الى الحد الذي لا يمكن فصلها عنها، وقبل الحديث عن موقف المستشرقين من السيرة النبوية اود الاشارة الى الدراسات التي تناولت شخصية الرسول الكريم محمد بن عبد الله عليه افضل السلام والصلاة وهي على النحو الآتي:

اولا: الدراسات البريطانية

كتب الانكليز بحوثاً ودراسات عن حياة الرسول ﷺ كان اهمها مايلي:[1]

(١) العقيقي: المستشرقون٣/ ٩٩٢ – ١٠٠٩.

١ – محمد في مكة: تأليف مونتجومري وات Montgomery, Watt وقد نشر في لندن عام ١٩٥٣م وعربه شعبان بركات.

٢ – محمد في المدينة للمؤلف نفسه وقد نشره عام ١٩٥٦م.

٣ – سيرة غير معروفة للنبي محمد، تأليف رينولد الين نيكولسن Nicholson, R.A.

٤ – الرسول (حياة محمد) تأليف ر.ف. بودلي Bodley, R.V.E ونشر في لندن عام ١٩٤٦م.

٥ – رؤى محمد تأليف و. أ. ستيوارت Steware, W.A. .

٦ – محمد والرسل السابقون للمؤلف نفسه.

٧ – رسم الهند لمحمد والصحابة تأليف السير توماس ارنولد Sir thomes Arnold.

٨ – هل تكلم الكتاب المقدس عن النبي محمد تأليف جيمس روبسون Robson.

٩ – محمد في الاسلام للمؤلف نفسه، وقد نشرهما في عامي ١٩٣٥م – ١٩٣٦م.

١٠ – اخلاق العرب قبل عصر محمد تأليف وليم جونز Jones, Sir.

١١ – المحمدية على الاسلام او المذهب المحمدي: تأليف جب Gibb.

١٢ - حياة محمد وتأريخ الاسلام تأليف السير وليام موير The Life of Mahomet and Hiistory of Islam وقد نشره في لندن ويقع في أربعة مجلدات.

١٣ - الخلافة سموها وانحطاطها وسقوطها وقد نشره موير عام ١٨٩١م وكان قد دعاه بفاندو الى ان يكتب السيرة فأخذ بقراءة المراجع العربية عن السيرة النبوية وشرع في نشر عدة مقالات في مجلة كلكتا Calculta Revlew في عامي ١٨٦٣ و١٨٦٤م تناول فيها تاريخ العرب قبل الاسلام ومصادر السيرة النبوية وحياة محمد حتى الهجرة[١].

ثانياً: الدراسات الامريكية[٢]

من الامريكيين الذين تناولوا السيرة النبوية:

١ - سيرة النبي العربي (حياة محمد) تأليف واشنتجون ارفنج Lrving, W وقد نشره عام ١٨٤٩، وقد ترجمه الى العربية الدكتور علي حسني الخربوطلي.

٢ - تأريخ محمد تأليف ارثر جفريJeffery, A وقد نشره عام ١٩٢٦م.

٣ - نبي الاسلام للمؤلف نفسه وقد نشره عام ١٩٣٨م.

٤ - محمد تأليف ادوين كالفرلي.Calverley, E. E.

٥ - كتاب النبي والمسلمين تأليف تومسون Thomson, W.

---

(١) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص ٤٠٤ - ص ٤٠٥.

(٢) العقيقي: المستشرقون ٣/٩٩٢ - ١٠٠٩.

٦ – حياة محمد تأليف لاندراي.

٧ – ارث النبي للمؤلف نفسه.

٨ – أمية النبي تأليف صمويل زويمر Zewemer وقد نشره عام ١٩٢١م؛ ولهذا المؤلف كتاب (الحديث القدسي).

٩ – عقيدة الوحي في الاسلام تأليف دنكان بلاك ماكوونلد Macdonald, D. B..

ثالثاً: الدراسات الالمانية[1]

لقد كان الالمان من اكثر المستشرقين كتابة للسيرة النبوية وان ابرز المؤلفات في هذا الباب هي:

١ – الاسلام ومحمد تأليف فرانكيل Fraenkel, S وقد نشره في ليدن عام ١٨٨٠م.

٢ – سيرة محمد تأليف شبرنجر وقد نشره في ليدن عام ١٨٦١م.

٣ – هل كان لمحمد معلمون نصارى؟ للمؤلف نفسه. وقد عاونه في الطبعة الثانية نولد كه Noldeke, Th؛ ونشره عام ١٨٥٨م.

٤ – النبي محمد تأليف جنسين Jensen نشره عام ١٩٢٢.

٥ – دراسات عن النبي تأليف ارينز Ahrens نشره عام ١٩٣٥.

٦ – محمد تأليف هربرت Grimme, Hubert ويقع في جزئين نشرهما بين ١٨٩٢ – ١٩٠٤م.

---

(١) العقيقي: المستشرقون ٢/٧٤٣ – ٨٠٤.

٧ - اسم محمد، بحث نشره في مجلة الدراسات السامية عام ١٩٢٨.

٨ - مولد النبي ووفاته تأليف ميتفوخ Mittwoch, Eug عام ١٩٢٦م.

٩ - حياة محمد تأليف بوهل Buhl, F وقد اضاف اليه شايدر فصلاً ونشره في لا يبزج ١٩٣٠م.

١٠ - شروح السيرة تاليف هوينر باخ Hoener buch, W وهو رسالة جامعية حصل عليها المؤلف على درجة الدكتوراه عام ١٨٩٥م.

١١ - محمد تأليف جوزيف شاخت S. shacht دائرة المعارف الاسلامية.

١٢ - النبوة في القرآن تأليف هورفيتس. Joseph Horovitz.

١٣ - النبي محمد: حياته ومذهبه تأليف فايل Wetl وكان قد اعتمد على سيرة ابن هشام والسيرة الحلبية[1].

١٤ - محمد واحمد اسماء النبي العربي بحث لاوجست فشر August Fischer.

١٥ - محمد وتقديسه عند المسلمين للكاتب نفسه.

١٦ - محمد عند البيزنطيين للكاتب نفسه.

---

(١) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص ٢٧٢، ص ٢٨٣.

رابعاً: الدراسات الفرنسية[1]

للفرنسيين كتب وبحوث عن السيرة النبوية منها:

١ – حياة محمد تأليف بودي، وقد نشره عام ١٦٧١م واعيد نشره عام ١٨٣١م، وهو الكتاب الاول الذي وقف من خلال مباحثه الفرنسيون على الاسلام.

٢ – تاريخ العرب وحياة محمد تأليف الكونت دي بولنفلبيه ونشره عام ١٧٣٠م وقد ترجم الى اللغة الانكليزية عام ١٧٥٢م.

٣ – ناقل الاخبار الى النبي، بحث نشره هيار Huart. CI في المجلة الاسيوية عام ١٩٢٦م.

٤ – وضع دي باستوريت كتاباً للتوفيق بين ديانات الشرق الثلاث: زرادشت وكونفيشيوس ومحمد.

٥ – محمد في السيرة النبوية تأليف دينه Dinet, Et وقد ساعده سليمان بن ابراهيم ونشره بالفرنسية والانكليزية.

٦ – حياة محمد تأليف در منجم Dermenghem, E ويعد هذا الكتاب من خيرة الكتب التي تناولت السيرة النبوية.

٧ – محمد والسنة الاسلامية للمؤلف نفسه ونشره في باريس عام ١٩٥٥م .

---

(١) العقيقي: المستشرقون ٣٧٢/١ – ٤٠٠؛ عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص ١٨٢، ص ٣٤٢.

٨ – سيرة الرسول وتاريخ الخلفاء الراشدين لابي زرعة الدمشقي وقد نشره كلود كاهين Cahen, CL في المجلة الاسيوية عام ١٩٣٦.

٩ – حياة محمد والمشكلة الاجتماعية المتعلقة باصول الاسلام ، بحث نشره رودنسون Rodinson, M في مجلة ديوجين لليونسكو عام ١٩٦١.

١٠ – محمد تأليف فولتير.

١١ – محمد تأليف ديمومبين Demombynes وقد ترجمه الى العربية عادل زعيتر، ونشر في باريس ١٩٥٧م.

١٢ – كوسان دي برسفال Caussin De Perceval نشر بعنوان (تاريخ العرب قبل الاسلام وفي عصر النبي محمد) ويقع في ثلاثة اجزاء، باريس ١٨٤٧م.

خامساً: الدراسات الايطالية[1]

تناول الايطاليون الرسول الكريمﷺ والدين الاسلامي وغيرها من الدراسات المعنية بالتاريخ العربي الاسلامي وغيرها، وهي كالآتي:

١ – سيرة الرسول تأليف الامير كايتاني Caetani, Leane ونشره في ميلانو عام ١٩١٤م.

٢ – سيرة ابن هشام تأليف جوزيبي جابربيلي Gabrieli, Giuseppe وقد نشره في روما عام ١٩١٩م.

---

(١) العقيقي: المستشرقون ١/ ٣٧٢ – ٤٠٠.

٣ – سيرة الرسول تأليف برونو دوكاني Ducati, Bruno ونشره في فلورنسا عام ١٩٢٩م.

٤ – دراسة حديثة عن الرسول؛ تأليف دلا فيداDella Vida, G, Levi.

٥ – الرسول، بحث في دائرة المعارف الاسلامية للمؤلف نفسه.

٦ – محمد والاسلام الحديث تأليف انساباتو Insabato, Enrico نشره عام ١٩٣٠م.

سادساً: الدراسات البلجيكية[١]

١ – هل كان محمد اميناً للمؤلف نفسه نشر في مجلة ابحاث علوم الدين الجزء الثاني، باريس ١٩١١.

٢ – عصر محمد وتاريخ السيرة، للأب لامنس، نشره في المجلة الآسيوية ١٩١١م.

سابعاً: الدراسات الهولندية[٢]

كتب الهولنديون في السيرة الكتب والبحوث الآتية:

١ – محمد والقرآن، خمس دراسات كتبها فت Veth, p. J. عام ١٨٤٥م في مجلة الدليل الهولندية.

(١) العقيقي: المستشرقون ٣/ ١٠٢٨ – ١٠٦٩، بدوي: موسوعة المستشرقين ص ٢٤٨.
(٢) العقيقي: المستشرقون ٢، ٦٦٢ – ٦٦٨.

٢ – محمد، بحث كتبه سنوك هر جرونجه Snouck Hurgronje, G ونشره في مجلة تاريخ الاديان ٣، ١٨٩٣م.

٣ – سياسة النبي محمد الدينية، للكاتب نفسه نشره في المجلة الافريقية عام ١٩١٥م.

٤ – محمد واليهود تأليف فنسنك Wensinck, A. J.

٥ – موقف الرسول من يهود المدينة للمؤلف نفسه، وهذا الكتاب رسالة جامعية حصل عليها فنسنك على درجة الدكتوراه من ليدن عام ١٩٠٨م.

٦ – محمد والنبوة للمؤلف نفسه نشره عام ١٩٢٤م.

٧ – الديانة المحمدية تأليف ريلند، Reelan.

ثامناً: الدراسات الروسية[1]

الدراسات الاستشراقية في السيرة النبوية عند الروس قليلة قياساً الى زملائهم الغربيين ومنها:

١ – حكم النبي محمد تأليف تولستوي، وقد ترجمه سليم قبعين ونشر في مصر عام ١٩٢٤م.

٢ – السيرة النبوية تأليف سليم نوفل، وهو من اصل لبناني انتدب للتدريس في جامعة بطرسبرج.

---

(١)العقيقي: المستشرقون ٣/٩٢١ – ٩٦٣.

٣ – وحي النبي في ضوء علم السلالات تأليف فينكوف Vinnikow, I,N ونشره اولدنبورج عام ١٩٣٤م.

تاسعاً: دراسات استشراقية من دول مختلفة

درس بعض المستشرقين السيرة النبوية وهم ينتمون الى دول اوربية متعددة ومن هؤلاء:

١ – الكاتب النمساوي جور جشتال Hammer purg Stall, J كتب اقوال النبي محمد ونشره في فينا عام ١٨٥٣م[1].

٢ – الكاتب الدانماركي بوهل Buhl, F كتب حياة محمد باللغة الدنماركية عام ١٩٠٣م، وله مقالة بعنوان محمد، نشرها في مجلة عالم الاسلام عام ١٩١١م.

٣ – الكاتب السويدي اندراي (توراندرية) Andrae, Tor كتب محمد حياته وعقيدته، وقد نشره في استوكهلم عام ١٩٣٠م.

٤ – الكاتب الاسباني ارش برونيلش Erich Branulich كتب (الفرقة المحمدية).

عاشراً: دراسات استشراقية تناولت السيرة في بعض الفصول[2]، كتب بعض المستشرقين كتباً عن الاسلام والعرب والعلوم العربية الاسلامية، وكانت السيرة النبوية تحتل جانباً بارزاً في هذه الكتب وهي:

---

(١) العقيقي: المستشرقون ٢/ ٦٢٩، ٨٤٥، ٣/ ٨٩٥.

(٢) محمد كرد علي: الاسلام والحضارة العربية ٥٦/١، ١٧١، ١٩٤، ٢٠١، ٣٨١.

١ - تاريخ تركيا للكاتب الفرنسي لا مارتين، وقد اطرى فيه الرسولﷺ.

٢ - المعجم العربي التركي للكاتب الفرنسي دي كورتاري.

De Courteille, A. pavet وقد اشار في هذا الكتاب الى معجزات الرسولﷺ.

٤ - حول الابطال او عبادة البطل للكاتب الانكليزي توماس كارليل وقد عقد فيه فصلاً عن الرسولﷺ وترجم هذا الكتاب محمد السباعي.

٥ - قانون التاريخ للكاتب جوليفه كستلو J. Castelot: La Lot de Ihistoive واشار الى تقدم العرب بعد وفاة الرسولﷺ.

٦ - وكتب الكاتب الفرنسي بوتيه Pauthier, G في القرآن الكريم بحثاً مستفيضاً تناول فيه حياة العرب قبل عهد الرسولﷺ.

٧ - حاضر الاسلام ومستقبله للكاتب مونتيه Montet.

المدخل

لقد عنى المستشرقون بدراسة السيرة النبوية، وحاولوا فهم الرسول الكريمﷺ من زوايا وجوانب بعضها متكاملة، وبعضها ناقصة مبتورة، وكان هناك تفاوت على مستوى دراساتهم، وهذا ناتج على الاغلب من طبيعة البواعث والاغراض التي دفعتهم الى الدراسة، فقد انحرف بعضهم عن الصواب، ومال بعضهم الى التعصب المقيت، وحاول هؤلاء تشويه الحقائق، خضوعاً لنزعاتهم العرقية او التبشيرية او الاستعمارية، ولكن ثمة من التزم منهم بالامانة العلمية والموضوعية في بحوثه، وهؤلاء اضطلعوا بمهامهم بدقة، ولعبوا دوراً بارزاً في احياء الكثير من امهات تراثنا العربي والاسلامي؛ وانطلاقاً من هذه الثنائية في طبيعة الدراسات الاستشراقية سوف اشير الى كل جانب منها على انفراد.

اولاً: الدراسات المحايدة

تنبه بعض المستشرقين الى مغالطات عدد من زملائهم اذين احاطوا الرسول الكريمﷺ بارائهم البعيدة عن الانصاف؛ فجاءت كتاباتهم رداً على بعض هؤلاء اولاً، ودراسة للسيرة المحمدية بروح محايدة ثانياً وكان بعضهم يجمع بين الانصاف وعدمه.

وتبرز موضوعية الكاتب الانكليزي توماس كارليل (ت ١٨٨١ م) في كتابه "الابطال" الذي هو عبارة عن محاضرات ست القاها تباعاً ما بين ٥ – ٢٢ مايس عام ١٨٤٠م تعرض في محاضرته الثانية الى "البطل نبياً" تناول فيها

سيرة الرسولﷺ وقد ترجمها الاستاذ محمد السباعي الى اللغة العربية، في رده على بعض المتعصبين الغربيين بقوله:

"ويزعم المتعصبون والملحدون ان محمداً لم يكن يريد بقيامه الا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان. كلا وايم الله، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير، ابن القفار والفلوات؛ المتوقد المقلتين العظيم النفس المملوء رحمة وخيراً وحناناً وبراً، وحنكة وحجى واربه ونهى؛ انكار غير الطمع الدنيوي؛ ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه... وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم الا ان يكونوا ويسيرون طبق الاعتبارات الباطلة؛ اذا ترى محمداً لم يرض ان يتلفع بمألوف الاكاذيب ويتوشح بمتبع الاباطيل، لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة وبحقائق الامور والكائنات[1] ويمضي كارليل في رده على بعض المستشرقين فيقول:

"يزعم الكاذبون انه الطمع وحب الدنيا هو الذي اقام محمداً واثاره؟ حمق وايم الله، وسخافة وهوس أي فائدة لمثل هذا الرجل في جميع بلاد العرب، وفي تاج قيصر وصولجان كسرى، وجميع من في الارض من تيجان وصوالجة، واين تصير الممالك والتيجان والدول جميعها بعد حين من الدهر؟ او في مشيخة مكة، وقضيب مفضض الطرف، او في ملك كسرى وتاج ذهبي الذؤابة منجاة للمرء ومظفرة؟ كلا اذن فلنضرب صفحاً، عن مذهب الجائرين القائل ان محمداً كاذب ونعد مواقفهم عاراً وسخافة

(١) كارليل: الابطال ص٦٨- ص٦٩.

وحمقاً، فلنربأ بنفوسنا عنه ولنترفع"(١) وقد استشهد كارليل بالشاعر الالماني غوته بقوله: "اذا كان ذلك هو الاسلام فكلنا اذاً مسلمون نعم كل من كان فاضلا شريف الخلق فهو مسلم"(٢).

وعقب على رأي نوخاليس:"اليس الايمان هو المعجزة الحقة الدالة على الله؟" بقوله: فشعور محمد اذا اشتعلت روحه بلهيب هذه الحقيقة الساطعة بان الحقيقة المذكورة هي اهم ما يجب على الناس علمه، لم يك الا امراً بديهياً، وكون الله قد انعم عليه بكشفها له ونجاه من الهلاك والظلمة، وكونه قد اصبح مضطراً الى اظهاره للعالم اجمع، هذا كله هو معنى كلمة (محمد رسول الله) وهذا والصدق الجلي والحق المبين(٣).

والتاريخ في نظر كارليل مسيرة للابطال والعظماء وسجل منقبي لاعمالهم الاسطورية التي تشكل مادة ثرية لهواة كتاب السيرة والتراجم فبغير العظماء يعتقد كارليل ليس ثمة تاريخ(٤)فهو قد رد الكثير من الخرافات التي افتعلها كتاب القرون الوسطى حول النبيﷺ ورفضها فكان حين ذلك شجاعاً. وذكر الاستاذ الدكتور قاسم السامرائي ان كارليل كان يعتقد انه لم يعد محمد نبياً ولا القرآن كتاباً من الله تعالى(٥) ولكن لم اجد في كتاب

(١) كارليل: الابطال ص٧٠.
(٢)كارليل: الابطال ص ٧١.
(٣) ن . م ص ٧٢.
(٤) محمود اسماعيل: البطل التاريخي، مجلة المؤرخ العربي ص١٦٠ ص١٦١ العدد السابع.
(٥) السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ص١٣.

"الابطال" ما يعزز هذا القول بل على العكس ان كارليل كان يمجد القرآن ويقيمه تقييماً حسناً ويؤمن برسالة النبي الكريمﷺ فقد وصف النبيﷺ بانه رسول مبعوث من الابدية المجهولة برسالة الينا. وكان يقول: فلسنا نعد محمداً هذا قط رجلا كاذباً متصفاً يتذرع بالحيل والوسائل الى بغية او يطمح الى درجة صك او سلطان او غير ذلك من الحقائر الصغائر وما الرسالة التي اداها الا حق صراح وما كلمته الا صوت صادق صادر من العالم المجهول، كلا ما محمد بالكاذب ولا الملفق، وانما هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة فاذا هي شهاب قد اضاء العالم اجمع، ذلك امر الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وهذه حقيقة تدمغ كل باطل، وتدحض حجة القوم"(١).

وتبرز موضوعية كارليل في نظرته للرسولﷺ من قوله: "لقد اصبح من اكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر ان يصغي الى القول بأن دين الاسلام كذب وان محمداً خداع مزور ، فإن الرسالة التي اداها ذلك الرجل ما زالت السراج المنير فترة اثنى عشر قرناً لمئات الملايين من الناس امثالنا خلقهم الله الذي خلقنا، اكان احدكم يظن ان هذه الرسالة التي عاشت بها وماتت عليها هذه الملايين الفائتة الحصر والاحصاء اكذوبة وخدعة؟ اما انا فلا استطيع ان ارى هذا الرأي ابداً فلو ان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم ذلك التصديق والقبول، فما الناس الا بله ومجانين، وما الحياة الا سخف وعبث واضلولة

---

(١) كارليل: الابطال ص٦٠ – ص٦١.

كان الاولى بها ان لا تخلق"[١] وهذا القول رد جميل على بعض المستشرقين الذين دأبوا على الحط من اهمية النبيﷺ ومكانته، وهو عندما حلل شخصيته عليه السلام كشف عن نواحي عبقريته التي تتجلى فيها اسمى معاني الوحي، وانتهى الى ان محمداً كان مخلصاً في دعوته، صادقاً في عقيدته مثل غيره من العظماء فيقول:

"اذا خرجت الكلمة من اللسان لم تتجاوز الاذان، واذا خرجت من القلب نفذت الى القلب، والقرآن خارج من فؤاد محمد فهو جدير ان يصل الى افئدة سامعيه وقارئيه، وقد زعم "براديه" وامثاله انه طائفة من الاخاديع والتزاويق لفقها محمد، لتكون اعذاراً له عما كان يرتكب ويقترف، وذرائع لبلوغ مطامعه وغايته، ولكنه قد آن لنا ان نرفض جميع هذه الاقوال، فاني لأمقت كل من يرمي محمداً بمثل هذه الاكاذيب، وما كان ذو نظر صادق ليرى قط في القرآن مثل ذلك الرأي الباطل، والقرآن لو تبصرون ما هو الا جمرات ذاكيات قذفت بها نفس رجل كبير النفس، بعد ان اوقدتها الافكار الطوال في الخلوات الصامتات"[٢].

وكان بعض المستشرقين قد اعجبوا بشخصية الرسول محمدﷺ من حيث اخلاصه لأمته، فهو اخلاص لا يفرقه مع غيره من الروحانيين والقادة

---

(١) كارليل: الابطال ص٥٨. انظر محمد كرد علي: الاسلام والحضارة العربية ٦٥/١ – ٦٦ التهامي نقرة: مناهج المستشرقين ٢٤/١.

(٢) كارليل: الابطال ص٨٠.

والاصلاحيين من امثال: لوثر ورسو ونابليون وغيرهم، ومن هؤلاء تولستوي الذي يقول:

"ومما لا ريب فيه ان محمداً كان من اعاظم الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الانساني خدمة جليلة، ويكفيه فخراً انه هدى امة برمتها الى نور الحق، وجعلها تجنح للسكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية وهو عمل عظيم لا يقوم به الا شخص اوتي قوة ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والاكرام"[١].

ويميل بعض المستشرقين الى اعتبار النبيﷺ مجرد مصلح اكثر من كونه رسولا من الله الى البشرية، ولكن هذا لا يعني عدم وجود من يؤمن بنبوة محمدﷺ من المستشرقين ومن هؤلاء المستشرق الانكليزي سيل SALE[٢] والى ذلك يذهب موير في كتابه "حياة محمد" الى القول: [٣]

"امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه، وقد اتم من الاعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحاً ايقظ النفوس وأحيا الاخلاق، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد"[٤] وقد علل مونتيه في كتابه "حاضر الاسلام ومستقبله" مطاعن بعض الغربيين على الرسولﷺ

---

(١) محمد كرد علي: الاسلام والحضارة العربية ٦٦/١.

(٢) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص٢٥٢.

(٣) محمد كرد علي: الاسلام والحضارة العربية ١-٦٦.

(٤) ن . م ٦٧/١.

بقوله:"كثيراً ما حكمت عليه الاحكام القاسية، وما ذلك الا لانه ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثله، وان ما قام به من اصلاح الاخلاق وتطهير المجتمع يمكن ان يعد به من اعظم المحسنين للانسانية" وكان المستشرق الفرنسي كلود اتيان سافاري قد وصف الرسولﷺ في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم بالعظمة فيقول:(١)"اسس محمد ديانة عالمية، تقوم على عقيدة بسيطة لا تتضمن الا ما يقره العقل من ايمان بالاله الواحد الذي يكافيء على الفضيلة ويعاقب على الرذيلة، فالغربي المتنور وان لم يعترف بنبوته لا يستطيع الا ان يعتبره من اعظم الرجال الذين ظهروا في التاريخ".

وعقد الدكتور ماركس دودز في كتابه "محمد وبوذا والمسيح"

Mohammed & Buddha and Christ & By Dr Marcus Dodds

مقارنة بين الشخصيات الثلاث التي حملها اسم الكتاب فسألك "اليس محمد نبيا على وجه من الوجوه؟ ثم اجاب قائلا: انه على اليقين لصاحب فضيلتين من فضائل الانبياء، فقد عرف حقيقة عن الله لم يعرفها الناس من حوله، وتمكنت من نفسه نزعة باطنية لا تقاوم لنشر تلك الحقيقة وانه لخليق في هذه الفضيلة ان يساوي افر الانبياء شجاعة وبطولة بين بني اسرائيل، لانه جازف بحياته في سبيل الحق، وصبر على الايذاء يوماً بعد يوم عدة سنين، وقابل النفي والحرمان والضغينة، وفقد مودة الاصحاب بغير مبالاة، فصابر على الجملة قصارى ما يصبر عليه انسان دون الموت الذي نجا منه بالهجرة، ودأب مع هذا جميعه على بث رسالته غير قادر على اسكاته

(١) التهامي نقره: مناهج المستشرقين ٢٤/١.

وعد ولا وعيد ولا اغراء ... وربما اهتدى الى التوحيد اناس آخرون بين عباد الاوثان" الا ان احداً آخر غير محمد لم يقم في العالم مثل ما اقام من ايمان بالوحدانية دائم مكين، وما اتيح له ذلك الا لمضاء عزمه ان يحمل الآخرين على الايمان، فاذا سأل سائل: ما الذي دفع بمحمد الى اقناع غيره حيث رضى الموحدون بعبادة العزلة؟ فلا مناص لنا ان نسلم انه هو العمق والقوة في ايمانه بصدق ما دعا اليه)[١].

و من بين المستشرقين من حملته روح الانصاف والتجرد الى الدفاع عن النبيﷺ دفاعاً مشرفاً ضد مطاعن ذوي الاهواء والتعصب ومن هؤلاء مثلاً (لين بول) الذي يقول بهذا الصدد: (ان كثيراً من كتاب التراجم والسير من الاوربيين الذين تناولوا الكلام على سيرة محمد لم يتعففوا على ان يشوهوا هذه السيرة بما ادخلوه عليها من افتراءات وادعاءات كاتهامهم اياه بالقسوة وارتكاب الموبقات والانهماك في الشهوات وانه كان دجالاً دعياً وطاغياً متعطشاً لسفك الدماء)[٢]. وقد اشار (لين بول) الى صفات الرسولﷺ الحميدة وشجاعته الفائقة ومكارم اخلاقه: وكان المستشرق الفرنسي (ماسنيون) قد اشار كذلك الى ان محمداً كان مالكاً لعقله متمتعاً بصحته، وقد اعتمد عليه (درمنجم) في كتابه (حياة محمد)[٣] ولعل ماسنيون اراد بقوله هذا ان يرد على بعض المستشرقين حول ظاهرة الوحي، وما كان

---

(١) العقاد: عبقرية محمد ص ١٧٦ – ص ١٧٧.
(٢) محمد كرد علي: الاسلام والحضارة العربية ٦٦/١ – ٦٧.
(٣) ن. م ٦٥/١.

ينتاب الرسولﷺ من داء الصرع[1] على حد بعض مزاعم المستشرقين. وكانت المستشرقة الانكليزية (اللادي ايفلين كوبولد) في كتابها (البحث عن الله) والذي عربه عمر ابو النصر، قد دافعت عن الرسول الكريم ورسالته[2].

و قد اشار بعض المستشرقين الى صلة الاسلام بالمسيحية فيقول المستشرق الالماني (ماكس مولر): (سوف يعلم النصارى والدهشة اخذة منهم ان محمداً من انصار المسيح، وان الديانة المحمدية هي من فروع النصرانية واذ ذاك يدهش المسلمون والنصارى على السواء بما جاء في تاريخهما من الخصام والشقاق والعداء بسبب الدين) ولم يكن هذا المستشرق دقيقاً في رأيه اذ ان اعتراف النبيﷺ برسالة السيد المسيح، وصدقه ونبوته لا تعني اطلاقاً كون الاسلام فرعاً او امتداداً للمسيحية، والاسلام في جوهره وفي ابعاده كون قائم بذاته، وبه ختمت النبوات السماوية كافة وقد ذهب الى الرأي الذي ذكره ماكس مولر عدد المستشرقين الروس من امثال فلاديمير سولوفيف وبيتروف[3]. ولعل هؤلاء اشاروا الى جوهر الاديان وسماويتها وانسانيتها.

---

(١) شكيب ارسلان: حاضر العالم الاسلامي ٣٤/١، انظر حسن الحكيم مع المستشرقين في دراساتهم للشيخ الطوسي، مجلة الرابطة ص ١٠٦. العدد الرابع، السنة الثالثة ١٩٧٧م.

(٢) محسن جمال الدين: المستشرقون ص٢٠.

(٣) محمد كرد علي: الاسلام والحضارة العربية ٦٨/١.

وكان بعض المستشرقين قد اشار الى الاثر الذي تركه الرسول الكريمﷺ في الامة العربية، فيقول كليموفيج:

(ان محمداً واحد من عدة انبياء ظهروا وبشروا بالتوحيد وارادوا توحيد القبائل)[١].

ويقول كوسان دوبر سيفال: ان العرب حولوا الى امة من قبل محمد وان الاسلام كان اساساً اداة سياسية لا اداة روحية بأي شكل[٢]. ولاشك ان هذا المستشرق قد اصاب في الأول واخطأ في الثانية، حيث ان فصل سياسة النبيﷺ عن اصلها الروحي يؤكد افتقار الرجل الى فهم حقيقة الاسلام ومضامينه الدينية. وكان المستشرق الانكليزي جب دقيقاً في توضيح اثر الرسولﷺ في العرب فيقول:

(ان محمداً ككل شخصية مبدعة قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية المحيطة به من جهة، ثم هو من جهة اخرى قد شق طريقاً جديداً بين الافكار والعقائد السائدة في زمانه والدائرة في المكان الذي نشأ فيه.

وانطباع هذا الدور الممتاز لمكة يمكن ان نقف على اثره واضحاً في كل ادوار حياة محمد، وبتعبير انساني ان محمداً نجح، لانه كان واحداً من المكيين)[٣].

---

(١) عماد الدين خليل: مناهج المستشرقين ١/١٤٠.

(٢) ادورد سعيد: الاستشراق ص ١٦٩.

(٣) التهامي نقره: مناهج المستشرقين ١/٢٧ – ٢٨.

ثانياً: الدراسات المعادية

كان للتفاوت العقائدي بين الاسلام وثقافات المستشرقين ما جعل الكثيرين من هؤلاء يقعون في شطط عقلي وعلمي، وهذا ناتج عن قصورهم الذهني من جانب وعن تعصبهم الديني من جانب آخر، وتكاد لا تخلو كتابات المحايدين او المنصفين من بعض تلك الشطحات. وقد عرف جملة منهم بالحقد والكراهية والتعصب على الاسلام والرسول الكريمﷺ والعرب عموماً، ويلمس القارئ في كتابات هذا النفر كثيراً من التهجم والتجريح البعيدين عن الواقع العلمي، ولعل بعضها جاء بوحي من المبشرين الذين غزوا العالمين العربي والاسلامي، وارادوا تغطية فشلهم في بعض مخططاتهم فعمدوا الى تشويه حقيقة الرسولﷺ ورسالته ولا سيما الذين ينتمون الى الكنيسة وظيفياً، او من دخل في سلك رجال الدين، وفي هذا الصدد يقول المستشرق الفرنسي كارادي فو Gorrade V aux (ظل محمد زمناً طويلاً معروفاً في الغرب معرفة سيئة، فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة الا نسبوها اليه)[1] وكان لامنس وبنغوين ولفردكانتول سمث وامثالهم ممن وقف هذا الموقف المعادي. ومن الغريب ان تولستوف نفى وجود النبيﷺ اصلاً وعده شخصية اسطورية[2] وقد حاولت بلورة ابرز الاتهامات التي وجهها المستشرقون للرسولﷺ فجاءت على الوجه الآتي:

---

(١) التهامي نقره: مناهج المستشرقين ٢٢/١.

(٢) جواد علي: تاريخ العرب في الاسلام ٩/١ – ١١.

١ – ظاهرة الوحي

ان معظم المستشرقين لم يستطيعوا، ولم يريدوا تكوين فكرة صحيحة عن القرآن الكريم، وعن الوحي الذي انزل على الرسولﷺ ويكاد يكون هناك شبه اجماع على ان انفعالات الرسولﷺ عند نزول الوحي عليه ما هي الا نوع من انواع الصرع كان مصاباً به قبل النبوة، فيذكر نورمان دانيال: (ان نوبات الوحي وتصبب العرق وصلصلة الجرس فسروه بالصرع لو ان النبيﷺ كان يصيبه مس من الشيطان وان نبي العرب كان قد درب حمامة، او ان معلماً خبيثاً له دربها على النقاط الحب من اذنه، فكان يدعي ان هذه الحمامة هي الروح القدس توحي اليه بقرآنه)[١] ومن هذا النوع من التجني ما يقوله نولدكه: (ان سبب الوحي النازل على محمد والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع)[٢] اما جوستاف لوبون فيقول: (قيل ان محمداً كان مصاباً بالصرع، ولم اجد في تاريخ العرب ما يميز القطع بذلك، وكل ما في الامر ما رواه معاصروه وعائشة منهم: انه كان اذا انزل الوحي عليه اعتراه احتقان فغطيط فغثيان)[٣] ولم يستطع لوبون وهو من المعتدلين في حقل الاستشراق فهم طبيعة الانجذاب الروحي والتعبدي الذي كان يعتري النبيﷺ في لحظات نزول الوحي عليه ففسره اسوة بغيره من غلاة المتعصبين بانه مجرد حالة مرضية.

---

(١) السامرائي: الاستشراق بين الموضعية والافتعالية ص٦٢.

(٢) شكيب ارسلان: حاضر العالم الاسلامي ١/٢٤.

(٣) التهامي نقره: مناهج المستشرقين ١/٢٩.

لقد تعسف بعض المستشرقين في وصف ظاهرة الوحي تعسفاً ابعدهم عن الموضوعية والمنهج العلمي، دون الرجوع الى مصادر السيرة والتاريخ الاسلامي، اذ تشير بعض نصوصهما الى ان النبيﷺ كان يدرك بشكل واضح جلي الانفصال التام بين ذاته المتلقية والذات الالهية العليا الموحية، وقد نص الرسولﷺ نفسه على هذه الحقيقة بقوله: (احياناً يأليني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال، واحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فاعي ما يقول)[1]. وهذا التصريح النبوي الامين يؤكد ثنائية العلاقة بينه وبين مصدر الوحي وهو امر خارج الذات المحمدية التي كانت تعي ما تتلقاه من الوحي الالهي اولاً بأول، لتؤديه بعد ذلك الى الناس حرفياً، ودون تدخل شخصي او تصرف من الرسولﷺ ذاته. قال تعالى: ((واذا تتلى عليه آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحي الى، اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم. قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله افلا تعقلون))[2] وهناك الكثير من الآيات الكريمة التي تشير الى الوحي بالمعنى الذي عرضناه سلفاً تؤكد الفرق بين الذات الالهية والذات المحمدية كقوله تعالى: (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد)[3] وتبرز هذه الآيات الكمال الواعي للرسولﷺ في حالة التفريق بين الوحي واحاديثه

(١) ابن سيد الناس: عيون الاثر ٩٠/١.

(٢) يونس: ١٥، ١٦.

(٣) الكهف: ١١.

الخاصة التي كان يعبر عنها بالهام من الله، وهذا لاشك يؤيد استقلال ظاهرة الوحي عن ذات النبي استقلالا مطلقا، وتفردها عن العوامل النفسية تفرداً كاملاً. ونجد المستشرق موير في كتابه (حياة محمد) يرد على ادعاءات المستشرقين بقوله:

(وتصوير ما كان يبدو على محمد في ساعات الوحي على هذا النحو الخاطئ من الناحية العلمية افحش الخطأ، فنوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه أي ذكر لما مر به اثناءها بل هو ينسى هذه الفترة من حياته بعد افاقته من نوبته نسياناً تاماً ولا يذكر شيئاً مما صنع او حل به خلالها، لان حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام العطل، هذه اعراض الصرع كما يثبتها العلم، ولم يكن ذلك ما يصيب النبي العربي اثناء الوحي، بل كانت تتنبه حواسه المدركة في تلك الاثناء تنبها لا عهد للناس به يذكر بدقة - غاية الدقة - ما يتلقاه وما يتلوه بعد ذلك على اصحابه، ثم نزول الوحي لم يكن يقترن حتما بالغيبوبة الحسية مع تنبه الادراك الروحي غاية التنبه، بل كثيراً ما يحدث والنبي في تمام يقظته العادية)(١). ولكن المستشرق وات قد ترجم الرؤيا الصادقة بكلمة Vision ثم قال: "هذا شيء مختلف جداً عن الرؤيا المنامية، ورأيه هذا يخالف رأي المحدثين من ان الرؤيا الصادقة هي الرؤيا المنامية"(٢) وذهب الى ابعد من هذا بقوله: "ان تفسير المسلمين المعتاد لهذا

(١) الصغير: تاريخ القرآن ص١١ - ص١٢، بكري امين: التعبير الفني ص ١٩.
(٢) جعفر الشيخ ادريس: مناهج المستشرقين ٢١٤/١.

هو ان الرؤى المذكورة هنا هي رؤية النبي لجبريل، ولكن هناك اسباب تدعو للقول بأن محمداً فسر بداية ما رآه بأنه الله".

وربما صدر (وات) في رأيه هذا عن اعتماده على الطبري في بعض رواياته عن جابر بن عبدالله حول سورة المدثر اذ يقول محمدﷺ في الرواية: سمعت صوتاً يناديني فنظرت حولي فلم ار احداً فرفعت رأسي فاذا هو جالس على العرش[١] ويبدو ان المستشرق (وات) قد اغفل ما ورد في القرآن الكريم "لا تدركه الابصار" لانه لواقر بهذه الحقيقة لاعتقد ان القرآن الهي، فهو من جهة اراد ان يظهر ان محمداً قد غلب عليه الخيال والوهم، ومن جهة اخرى اراد ابراز التناقض في مسالة رؤية الله.

وكان المستشرق الامريكي واشنتجون ارفنج قد ادرك خصومة بعض الكتاب الغربيين للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وما نسبوا اليه من حالات مرضية عند تعرضهم لظاهرة الوحي وقد قال: "هي المسألة التي تثيرها خصومه من الكتاب المسيحيين"[٢] وقد ناقش الدكتور جوستاف ويل Dr Gustav Well في بحث بعنوان Mohammed der prophet. هذا الموضوع وفق رؤاه الخاصة.

٢ـ ظاهرة الاثر الديني

لا تقل ظاهرة الاثر الديني عن ظاهرة الوحي في مراميها واغراضها ويقصد منها النيل من شخصية الرسولﷺ وتأثره بالديانتين اليهودية

---

(١) الطبري: التاريخ ٢/٣٠٢.

(٢) ارفنج: حياة محمد ص ٥٦ ص٥٨.

والمسيحية، فبعض المستشرقين من خص التأثير باحدى الديانتين، وبعضهم من مزجهما معاً، ويعلل الدكتور جواد علي هذه الظاهرة الاستشراقية بالقول:

"ان معظم المستشرقين النصارى هم من طبقة رجال الدين او من المتخرجين من كليات اللاهوت، وهم عندما يتطرقون الى الموضوعات الحساسة من الاسلام يحاولون جهد امكانهم ردها الى اصل نصراني، وطائفة المستشرقين من اليهود وخاصة بعد تأسيس دولة اسرائيل وتحكم الصهيونية في غالبيتهم يجهدون انفسهم لرد كل ما هو اسلامي وعربي لاصل يهودي وكلتا الطائفتين في هذا الباب تبع لسلطان العواطف والاهواء"(١) وقد انساق وراء هذه الفرية عدد من المستشرقين وذهبوا الى القول ان الرسولﷺ قد اتصل باليهود في مكة، وانه كان يسأل خادمه زيداً، وهو مملوك للمسيحيين عن الديانتين المسيحية واليهودية ليأخذ منهما وقالوا: انه كان محمد في المدينة تلميذاً لليهود وهم الذين كونوه ثم بدأ جبريل يمده ببعض الاساطير التي عرفها اليهود والمسيحيون(٢) ويذكر الدكتور التهامي نقره نقلا عن هامش حداد على كتاب الدكتور موريس بوكان الطبيب الفرنسي في كتابه "القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم" قائلا:

---

(١) جواد علي: تاريخ العرب في الاسلام ٩/١ – ١١.

(٢) التهامي نقرة: مناهج المستشرقين٣٢/١.

"والسر الكبير في ثقافة محمد الكتابية والانجيلية وجود العالم المسيحي ورقة بن نوفل من بني اسد ابن عم السيدة خديجة في جوار النبي وهو الذي زوجه ابنة عمه، فقد اجمعت الاثار على ان ورقة تنصر، وكان يترجم التوراة والانجيل الى العرب، فهو اذن عالم مسيحي كبير، وقد عاش محمد في جواره خمسة عشر عاماً قبل مبعثه، الا تكفي هذه المدة لنابغة العرب محمد بن عبد الله لكي يأخذ عنه شيئاً من علوم التوراة والانجيل"(١) ويذهب توراندريه الى القول: ان اسلوب النبيﷺ قد تأثر بموعظة التبشير المسيحي على لسان المبشرين العرب من جنوب الجزيرة، ولا يقوم على صحة هذه الدعوة اثر في القرآن الكريم، او لمح من التاريخ، وكذلك ما ادعاه من وضوح التأثير النصراني في لغة النبيﷺ باطراد(٢).

وكان المستشرق بيدرو باسكال قد ربط الاثر المسيحي على الرسول الكريمﷺ بالراهب المسيحي(بحيرا) الذي وصفه بالراهب المرتد وقال: هو الذي كان يتعلم منه محمد تعاليمه، وان اعتزال محمد في تلال مكة كان يعد عدته مع هذا النصراني المرتد في السر لتهيئة تفاصيل التزوير(٣) وقد اختلط بحيرا هذا عند بعض المستشرقين بجريج الراهب او جرجيس، ومع هذا الاختلا ط فانه اخذ حظه من الاهانة والتجريح عند بعضهم، والمديح الشامل عند الآخرين، فقد وصفه جماعة بالقديس والحبر الكاثوليكي

(١)التهامي نقرة: مناهج المستشرقين ١/٣٧.

(٢) الصغير: تاريخ القرآن ص٢٣.

(٣) السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ص٥٥.

المخلص الذي علم محمداً الدين الصحيح، الا ان محمداً حرف تعاليم هذا الراهب ووصفه آخرون بانه مرتد خبيث يبطن اليهودية او الزندقة، ولذلك استغل محمداً للحط من دين روما حقداً او كرهاً للبابا. ومن الغريب ان بعضهم ذهب الى القول: ان محمداً كان كاردنالا كاثوليكياً، وكان يطمح ان يفوز بمقعد البابا فلما لم ينتخبه الكرادلة لكرسي البابوية غضب وذهب الى مكة واعلن ديناً جديداً مضاداً لروما ولما كان العرب كلهم نصارى فلذلك نجح في اغوائهم، ولكن هؤلاء قد اختلط عليهم الامر - عمداً او غفلة - فقد ربطوا بقن قصة النصراني النسطوري (او احياناً نسطور نفسه الذي ادين بالزندقة في مجمع اخسوس عام ٤٣٥م، وحكم عليه الامبراطور بالنفي) الذي ادانه مجمع القسطنطينية لانكاره ثنائية طبيعة المسيح واخترعوا له اسم سرجيس وجورجيس فذهب الى الجزيرة العربية فاعجب به محمد وجعله معلماً له وكان يسميه جبريل رئيس الملائكة[1].

وهناك نفر من المستشرقين من يردد ان الاسلام كله بقرآنه وحديثه وحضارته مستمد من اليهودية والنصرانية، وان القرآن الكريم هو صنع محمد في محاولة لازالة صفة الالوهية عنه، وصفة الرسالة السماوية عن النبيﷺ، فأرادوا بذلك ان النبيﷺ قد استقى قرآنه من الأحبار والرهبان وأنه تلقى تعاليمه عنهم وعن كتبهم المقدسة، والى ذلك يذهب جولد تزيهر، في رأيه أن المعرفة الدينية التي تلقاها الرسولﷺ تضم عنصرين خارجي وداخلي فيقول: فتبشير النبي العربي ليس الا مزيجاً منتخباً من

---

(١) السامرائي: الاستشراق ص٥٦.

معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثيراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بنى وطنه عاطفة دينية صادقة، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الاجنبية كانت في وجدانه ضرورية لاقرار لون من الحياة في اتجاه يريده الله.

لقد تأثر بهذه الافكار تأثراً وصل الى اعماق نفسه وادركها بايحاء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً[1]. ويذكر (وات) في كتابه (محمد في مكة): ان الحاجة الى العزلة واستحسانها، يمكن ان يدل عليه الاثر اليهودي والنصراني كمثل الرهبان، او ان يكون نتيجة تجربة شخصية قصيرة[2].

ومن الغريب ان المستشرق همفري بريد في كتابه (حياة محمد) والذي دونه المستشرق الامريكي ارفنج قد خلط بين الصحابي سلمان الفارسي وعبد الله بن سلام الذي كان يتهمه الكتاب المسيحيون بانه كان يساعد محمداً في تأليف القرآن[3].

ثالثاً: ظاهرة تعدد الزوجات

ضرب بعض المستشرقين على نغمة، ورددوها كثيراً في كتاباتهم، وهي توجيه النقد اللاذع للرسولﷺ على تعدد زوجاته واتهامه بانه مسرف في

---

(١) التهامي نقره: مناهج المستشرقين ٣١/١، جولد تزيهر: العقيدة والشريعة في الاسلام ص١٢.

(٢) وات: محمد في مكة ص٨١.

(٣) ارفنج: حياة محمد ص١٢١.

اللذة والمتعة فيقول(سذرن): فما دام محمد قد اعتبر ناشراً لوحي زائف، فقد اصبح هو كذلك تجسيدا للشبق والفسق والشذوذ الجنسي، وسلسلة كاملة من الخيانات المتنوعة التي اشتقت جميعها بصورة منطقية من انتحالاته المذهبية"[١] ويذكر الاستاذ العقاد انه قال له بعض المستشرقين ان تسع زوجات لدليل على فرط الميول الجنسية عند الرسولﷺ فأجابه انك لا تصف السد المسيح بانه قاصر الجنسية لانه لم يتزوج قط، فلا ينبغي ان تصف محمداً بانه مفرط الجنسية لانه جمع بين تسع نساء[٢]. وعلى الرغم من عرض المستشرق (ارفنج) للسيرة عرضا فيه قوة بيانية تملك القارئ في كثير من اجزائه، الا انه قد تحامل على الرسولﷺ في مسألة تعدد زوجاته فيقول: "رغم ان الاسلام لا يبيح للمسلم الزواج باكثر من اربعة الا ان محمداً لم يشأ ان يخضع لهذا القيد فان النبي له من الامتيازات ما يجعله غير خاضع لهذه القوانين"[٣].

فالرسول الكريمﷺ الذي قضى على الانحلال الخلقي والاجتماعي وكان مثال النبل وسمو الاخلاق لا يمكن ان يفكر في لذة او متعة، كما ان كثيراً من الانبياء الذين سبقوه قد تعددت زوجاتهم كابراهيم ويعقوب وموسى وداود، وبطبيعة الحال ان هؤلاء ما تعددت زوجاتهم لمجرد المتعة، وقد ظل الرسولﷺ مع زوجة واحدة، وفية مخلصة هي ام المؤمنين خديجة

---

(١) ادورد سعيد: الاستشراق ص٩٢.

(٢) العقاد: عبقرية محمد ص١١٨.

(٣) ارفنج: حياة محمد ص ٩٦.

بنت خويلد(رض) حتى وفاتها، وقد دفعه بعد ذلك الى تعدد الزوجات لاسباب سياسية واجتماعية وانسانية. ولم يخجل بعض المستشرقين من اعطاء بعض زوجات الرسولﷺ صفات لا اخلاقية، ولعل اغربها زواجه من السيدة زينب بنت جحش التي صورها هؤلاء بان الرسولﷺ رآها وهي نصف عارية او تكاد، وقد اندل شعرها على نناعم جسمها الناطق بما يكنه من كل معاني الهوى. ويذكر آخرون انه حين فتح باب زيد بن حارثة زوج زينب بنت جحش، لعب الهواء باستار غرفتها وكانت زينب ممددة على فراشها في ثياب نومها. فعصف منظرها بقلب هذا الرجل الشديد الولع بالمرأة ومفاتنها فكتم ما في نفسه وان لم يطق الصبر على ذلك طويلا. وامثال هذه الصورة التي ابدعها خيال بعض المستشرقين من امثال: موير ودرمنجم وارفنج ولامنس وغيرهم[١].

وكان المستشرق الامريكي ارفنج قد عرض هذه القصة بايجاز شديد قد يدعو الى الغموض والشك، ولم يحسن عرضها، ومن المحتمل انه اعتمد على بعض الروايات المضطربة او ذات الاثر الاسرائيلي، ولا يستبعد انه استقى بعض نصوصه من الطبري، فقد ورد فيه ان الرسولﷺ قد افتقد زيداً فجاء منزله، فهرعت زينب تستقبله، وقد اعجلتها اللهفة عن استكمال ثيابها للقاء الرسولﷺ فقالت: ليس هو هاهنا يا رسول الله فادخل بأبي انت وامي. وفي رواية اخرى للطبري: جاء الرسولﷺ يطلب زيداً، وعلى باب زينب بنت جحش ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشف عنها

---

(١) محمد حسنين هيكل: حياة محمد ص٣١٦.

وهي في حجرتها حاسرة، فوقع اعجابها في قلب النبيﷺ،فلما وقع ذلك كرهت الى الآخر قال: فجاء فقال: يا رسول الله، اني اريد ان افارق صاحبتي، فقال: مالك ارابك منها شيء، فقال: لا والله يا رسول الله، ما رابني منها شيء، ولا رأيت الا خيراً، فقال له رسول اللهﷺ امسك عليك زوجك واتق الله، فلذلك قول الله عزوجل: "واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه"(١) ونحن نستشف من هذه الرواية ان زينب بنت جحش قد تزوجت زيداً دون موافقتها، وهذا امر طبيعي في العلاقات الزوجية ويكون مؤداها الانفصال في نهاية المطاف وفي هذا الزواج والطلاق نزلت الآية الكريمة "فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها كي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولا"(٢) ونجد في عبارة المستشرق ارفنج "ولما كانت زينب في البيت فقد كانت لا تضع الخمار على وجهها، ووقعت انظار محمد على جمالها الفاتن وبدأ عليه علامات اعجابه بجمالها(٣) تدل على ضربه على نفس النغمة التي يرددها غيره من المستشرقين في تفسيرهم الجنسي لبعض احداث السيرة النبوية. ومن المفارقات التي ذكرها ارفنج حول زواج النبيﷺ من خديجة بنت خويلد(رضي الله عنها) يقول: "كان ابوها خويلد يحب النبيذ فاقبل يصب منه حتى ثمل، وطلبت خديجة من ابيها، وهو واقع تحت تاثير الخمر ان

---

(١) الطبري: التاريخ ٥٦٢/٢ -٥٦٤ انظر التفسير ١٠/٢٢ – ١١.

(٢) الاحزاب ٣٧.

(٣) ارفنج: حياة محمد ص١٧٣ – ص١٧٤.

يوافق على زواجها من محمد، فابدى موافقته متناسياً فقر محمد" ولعل الاكثر غرابة ان مترجم هذا الكتاب الدكتور علي حسني الخربوطلي لم يعترض على هذا القول وكأنه يؤكد هذه الرواية بالقول:

"انتهزت خديجة فرصة وقوع ابيها تحت تأثير الخمر فطلبت منه الموافقة على زواجها بمحمد فوافق دون تفكير، فقامت خديجة - حسب العادة العربية - الى ابيها تعطره والبسته حلة جميلة، حتى اذا عاد الى وعيه امتنع عن الموافقة، فقالت خديجة: الا تستحي، تريد ان تسفه نفسك عند قريش، تخبرهم انك كنت سكران؟ فاضطر الى القبول[1].

رابعاً - نسبة القرآن الكريم الى النبي ﷺ

اطلق بعض المستشرقين على القرآن الكريم لفظ "كتاب محمد" يقول المستشرق فايل:

"ان النبي كان يعرف القراءة والكتابة، وان القرآن يشير الى ذلك ولكنه اخفق في الاستدلال المقنع في الموضوع"[2] وكان الكثير من المستشرقين وراء الرأي الذاهب الى معرفة الرسول ﷺ القراءة والكتابة في محاولة لاثبات القرآن الكريم لمحمد ﷺ والشك في الهيته وسماويته ولذلك حاولوا ايجاد بعض الجوانب في محاولة الدخول منها لاجل نقد القرآن نقداً لاذعاً، يول المستشرق الفرنسي شانوبريان:

(١) الخربوطلي: هامش حياة محمد لارفنج ص٥٠.

(٢) الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية ص٢٨.

"كان القرآن (كتاب محمد) وهو لم يحتو على أي مبدأ للحضارة أو أي تعليم يسمو بالشخصية"(١).

ونجد الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو في حديثه عن القرآن الكريم وشخصية الرسولﷺ يخلط بين التقليل من اهمية القرآن، وبين تأثير محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على الناس لتعزيز اهمية القرآن في النفوس فيقول:

"من الناس من يتعلم قليلا من العربية، ثم يقرأ القرآن يضحك منه ولو انه سمع محمداً يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة، وذاك الصوت المقنع المطرب، المؤثر في شغاف القلوب، ورآه يؤيد احكامه بقوة البيان، لخر ساجداً على الارض وناداه ايها النبي رسول الله خذ بأيدينا الى مواقف الشرف والفخار او مواقع التهلكة والاخطار، فنحن من اجلك نود الموت او الانتصار"(٢).

اما امستشرق شبرنكر Sprenger فانه نحا في العلاقة بين النبيﷺ والقرآن الكريم منحى آخر فيه لون جديد من الغرابة فيقول:

"ان اسم النبي ورد في اربع سور من القرآن هي آل عمران والاحزاب ومحمد والفتح وكلها سور مدنية، ومن ثم فان لفظة (محمد) لم تكن اسم علم للرسول قبل الهجرة، وانما اتخذه بتأثير قراءته للانجيل واتصاله بالنصارى"(٣) واذا كان النبيﷺ قد التقط اسم (محمد) من خلال قراءاته

---

(١) ادورد سعيد: الاستشراق ص١٨٦.

(٢) محمد كرد علي: الاسلام والحضارة العربية ٧١/١.

(٣) جواد علي: تاريخ العرب في الاسلام ٧٨/١.

لنبوءات الانجيل فاين ذهب اذن (محمد) من خلال قراءاته لنبوءات الانجيل فاين ذهب اذن (محمد) الحقيقي الذي بشر به العهدان القديم والجديد[١].

وكثير من المستشرقين لم يكن لديهم تصور واضح عن مصدر القرآن الكريم، ولا عن نزول الوحي، ولذا اخذوا وفق منظوراتهم الخاصة يفسرون القرآن والوحي تفسيرات تتفق مع اهوائهم وآرائهم فقد ذكر احد المستشرقين ما يلي:

"كان اسلوب النبي في القرآن اول عهد بالدعوة مفعماً بالعواطف قصير العبارات: فخم الصورة، يقدم اوصاف العقاب والثواب في الوان صارخة، وكثيراً ما يكرر الآيات تكراراً مملا، حتى تنقلب معانيها الى الضد، فلما تقدم الزمن بالنبي فقد الاسلوب منهجه الاول، واخذ يغص في نغمات هادئة بديعة قصص الانبياء، مثلما تراه في قصة حب يوسف وزوجته بوتيفار، وكانت هذه الصورة مثيرة لخيال كثير من شعراء الفرس والترك، وفي آخر عهد النبي فقد الاسلوب كل حرارة وكل فن واغرم بالجدل الديني مع اليهود والنصارى"[٢].

ونحن لا نريد ان نتوسع في موضوع القرآن الكريم وترجمته ولكن اود الاشارة الى ان بعض الترجمات المشوشة والمشوهة التي جاءت عمداً او جهلا، وهذه العملية لاشك تؤدي الى تحريف مشوه للقرآن الكريم فقد حرفت – على سبيل المثال – كلمة المسلمين الى الاسماعيليين في بعض

(١) عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ص١٩: مناهج المستشرقين ١/١٣١.

(٢) محمد صبيح: القرآن ص١٤٤ – ١٤٧.

الترجمات، وكان ابرز المستشرقين في هذا الباب "روبرت اف كيتون" فقد اصدر قرآناً مصنوعاً، فاعتمد المدافعون عن النصرانية على قرآنه هذا وعلى امثاله من الترجمات الممسوخة وفسروها كما شاء لهم هواهم[1].

وكانت مسألة التحريف التي اثارها المستشرقون قد نالت اهتماماً كبيراً عند الاستاذ بول Fr.Bull فكتب في موضوع التحريف بحثاً في دائرة المعارف الاسلامية باللغة الالمانية، وعد التحريف تغييراً مباشراً لصيغة مكتوبة، وان الامر الذي حدا بالمسلمين الى الاشتغال بهذه الفكرة هو ما جاء بالقرآن الكريم من آيات اتهم فيها النبيﷺ اليهود بتغيير ما انزل اليهم من كتب وبخاصة التوراة، ولكن عرضه للوقائع والشرائع التي جاءت في التوراة انطوى على ادراك خاطئ اثار عليه النقد والسخرية من جانب اليهود، فكان في نظرهم مبطلا.

وهنا اثار الكاتب دعاوى لم يستطع ان يدلل على صحة واحدة منها على الاطلاق، فكيف استنتج ان ما عرضه النبي من شرائع اليهود انطوى على ادراك خاطيء، وما هو مصدر هذا الزعم ومن صرح به، وكيف اصبح النبي مبطلا في نظر اليهود؟ ولم يذهب الى تعصب اليهود في ذلك؟ وليته اكتفى بهذا اضاف بان دعوى النبيﷺ انه هو يأتي بالنص الصحيح دعوى جريئة نظراً لان كتب اليهود كانت مجهولة عند اتباع محمد من المؤمنين بصدق كلماته، واذا كانت هذه الكتب مجهولة عند قومه، فهل

(١) السامرائي: الاستشراق ص٦٣.

جهلت عند اليهود، ولم يعارض ذلك بدليل تاريخي عندهم[١] وعندما يخونهم الدليل يعمدون الى مثل هذه المزاعم الباطلة دون نقد او تمحيص، ومثال ذلك يقول موير في كتاب "الخلافة سموها وانحطاطها وسقوطها":

"ان سيف محمد والقرآن، هما اكثر اعداء الحضارة والحرية"[٢] وفي موضوع القرآن الكريم وحركة الاستشراق، كتب عدد من الباحثين ولا سيما زميلي الاستاذ الدكتور محمد حسين علي الصغير في كتابه "المستشرقون والدراسات القرآنية" ونحن هنا اوردنا القضايا المشتركة التي اوردها المستشرقون بين القرآن والسيرة النبوية دون الاشارة الى المزاعم التي اوردوها حول القرآن الكريم والتي وصلت في بعضها الى حد الغلو، واختم حديثي في هذا الموضوع بان انوه بالجهد الكبير الذي قدمه الاستاذ نولدكه في تاريخ القرآن الذي بحيث فيه حقيقة الوحي والنبوة وشخصية الرسولﷺ وقد سلك في كشف تاريخ السور مسلكاً قويماً يهدي الى الحق احياناً، فانه جعل الحروب والغزوات الحادثة في زمن النبيﷺ وعام تاريخها كموقعة بدر والخندق وصلح الحديبية واشباهها من المواقع لفهم تاريخ ما نزل من القرآن فيها، وجعل ايضاً اختلاف لهجة القرآن واسلوبه الخطابي دليلا آخر لتاريخ آياته[٣].

---

(١) الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية ص٣٩.

(٢) ادورد سعيد: الاستشراق ص١٦٨.

(٣) الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية ص٨٨ – ٨٩.

خامساً: الديانة المحمدية

يطلق الكثير من المستشرقين لفظ "الديانة المحمدية" و"المذهب المحمدي" على الاسلام في محاولة لابعاد الدين الاسلامي عن سماويته، واعتباره ديناً ناسخاً للديانات السابقة له، ولذا كالوا الشتائم والسباب لهذه الديانة. يقول المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه "ميثولوجيا الاسلام":

"ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس واخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً بل هو مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الانسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما الا ليسفك الدماء، ويدمن معاقرة الخمور ويجمع في القبائح، وما قبر محمد الا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم الى الاتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي وتكرار لفظة (الله) الى ما لا نهاية والتعود على عادات تنقلب الى طباع أصيلة ككراهة لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى وترتيب ما يستنبط من افكار القسوة والفجور والانغماس في اللذات"(١) وعلى هذا الوتد ضرب المونيسنيور كولي في كتابه "البحث عن الدين الحق" فهو يقول:

"برز في الشرق عدو جديد هو الاسلام الذي اسس على القوة وقام على اشد انواع التعصب، ولقد وضع محمد السيف في ايدي الذين تبعوه وتساهل في اقدس قوانين الاخلاق ثم سمح لاتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات في الجنة"(٢).

---

(١) محمد عبده: التاريخ ٤٠٩/٣ عماد الدين خليل: مناهج المستشرقين ١٢٧/١.
(٢) عماد الدين خليل: مناهج المستشرقين ١٢٧/١.

واشار جويليان في كتابه "تاريخ فرنسا" الى ان محمداً مؤسس دين المسلمين، فقد امر اتباعه ان يخضعوا العالم، وان يبدلوا جميع الاديان بدينه هو، ما اعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين والنصارى ان هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس اسلموا او موتوا، بينما اتباع المسيح اراحوا النفوس ببرهم واحسانهم، ماذا كانت حال العالم او ان العرب انتصروا علينا؟ اذن لكنا مسلمين كالجزائريين والمراكشيين.

وفي اسطورة "السيف" التي قال بها بعض المستشرقين وذهبوا الى ان السيف هو الاساس في بناء الاسلام، والى ذلك يقول دوزي في كتابه "تاريخ مسلمي الاندلس" "كان قواد محمد يدعون للدين حاملين القرآن في يد والسيف في اخرى"[١] واخذ الدكتور غلوور في كتابه "تقدم التبشير العالمي" بتوجيه نقد لاذع لشخصية الرسولﷺ فيقول:

"كان محمد حاكماً مطلقا، وكان يعتقد ان من حق الملك على الشعب ان يتبع هواه ويعمل ما يشاء وكان مجبولا على هذه الفكرة، فقد كان عازماً على ان يقطع عنق كل من لا يوافقه في هواه؛ اما جيشه العربي فكان يتعطش للتهديد والتغلب، وقد ارشدهم رسولهم ان يقتلوا كل من يرفض اتباعهم ويبعد عن طريقهم"[٢].

والى اسطورة "السيف" التي اشاعها المستشرقون عن الاسلام يشير الاستاذ عباس محمود العقاد بقوله:

---

(١) دوزي: تاريخ مسلمي الاندلس ١/٢٧ - ٢٨.

(٢) عماد الدين خليل: مناهج المستشرقين ١/١٢٨.

"شاع عن الاسلام انه دين السيف وهو قول يصح في هذا الدين اذا اراد قائله انه دين يفرض الجهاد ومنه الجهاد بالسلاح، ولكنه غلط بين اذا اريد به ان الاسلام قد انتشر بحد السيف او انه يضع القتال في موضع الاقناع، وقد فطن لسخف هذا الادعاء توماس كارليل فيقول: ان انهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم، اذ ليس مما يجز في الفهم ان يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس او يستجيبوا لدعوته، فاذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين وتعرضوا للحرب من اعدائهم قبل ان يقدروا عليها"(١).

وكان بعض المستشرقين قد اتهم الاسلام بالقهر والعدوان، واستعمال السيف والقوة في تفسيرهم لانتشاره عن طريق عمليات التحرير للعالم، ومن هؤلاء الكاتب البلجيكي (هنري بيرين) Henri Pirenne في كتابه "محمد وشارلمان" يقول:

"ان تدهور اوربا البيزنطية اقتصادياً وحضارياً ادى الى ظهور الاسلام بعد ان كانت اوربا تعيش في بحبوحة وثراء. لان طرق التجارة الموصلة الى شواطئ سوريا البيزنطية كانت مفتوحة لتوصيل الذهب والحرير والقراطيس وانواع التوابل الشرقية" فكان الذهب يضرب نقوداً بيزنطية ليدفع ثمناً لمواد الترف الاسيوية كالتوابل من اندونيسيا، والقراطيس من مصر، والحرير من الصين، وقد انقطع هذا الترف في بداية القرن السابع /

---

(١) العقاد: حقائق الاسلام واباطيل خصومه ص٢٣٧.

الاول الهجري فانقطع سيل الذهب واختفت النقود الذهبية من العملات الاوربية ومعها اختفت البضائع الاسيوية وسبب هذا كله يمكن تلخيصه بكلمة واحدة (محمد) الذي اخضع الجزيرة العربية لدينه، ومن بعده تولى خلفاؤه اخضاع سوريا ومصر وشمال افريقيا واسبانيا حيث تم على ايديهم قطع شريان الحياة نهائياً عن اوربا"(١):

ولا شك ان ما اورده المستشرقون حول انتشار الاسلام بالسيف، وان ما حرره المسلمون ديار غيرهم فكان القرآن باحدى اليدين والسيف بالاخرى بهتان عظيم، ترفضه النصوص التاريخية وانما شهر العرب المسلمون سيوفهم دفاعاً عن انفسهم، وكفاً للعدوان عنهم، ثم كانت عمليات التحرير بعد ذلك من ضرورة نظام الحكم والادارة، ولم يكن المسلمون مع غيرهم اعداء قتلة الا انهم جاوروهم فكان الحوار طريق العلم بالاسلام، وكانت الحاجة لصلاح العقل والعمل داعية الانتقال اليه(٢) وكان المستشرق (فويلز) G. Wells قد تخيل الرسول الكريم محمداًﷺ رجلا دفعته طموحاته ووساوسه في سن الكهولة الى تأسيس دين ليعد في زمرة القديسين، فالف مجموعة من عقائد خرافية، وآداب سطحية، وقام بنشرها في قومه، فاتبعها رجال منهم(٣) ويعتقد فولتير: ان محمداً رجل سياسة ذو

(١) السامرائي: الاستشراق ص٣٢.
(٢) محمد عبده: الاعمال الكاملة ٤٦٢/٣.
(٣) التهامي نقره: مناهج المستشرقين ٣١/١.

تفكير عميق، ومؤسس لدين عقلاني[١] دون الاشارة الى نبوته ورسالته السماوية، بل ان المستشرق (ريكولدو) قد نفى ذلك كلياً فيقول:

"يا محمد انا لا اصدق انك قد تسلمت هذه الآراء من الله لانك عجيب غريب في رسالتك لانك لا تتفق مع أي كتاب مقدس آخر... يجب ان ننبذ ما ادعى محمد انه تسلمه من الله لانه مناقض تماماً للاحكام التي كتبها موسى والانبياء والرسل بعده بوحي وامر من الله"[٢] ويبلغ الحقد عند بعض المستشرقين الى حد التعاطف مع اعداء الاسلام وبخاصة مشركي قريش حيث وصفوهم بالعقل والشجاعة، وصبوا اللعنات على يهود المدينة، لانهم لم يقضوا على الاسلام في مهده. وقد وجه المستشرق بيدرو باسكال نداء للمكيين المشركين قائلاً:[٣]

"يا اهل مكة انه لكان من الاحسن لو دمتم في مقاومتكم لدين محمد".

سادساً: مغالطات من هنا وهناك

لقد اندفع بعض المستشرقين الى اعطاء صورة مغلوطة عن جانب معين من جوانب السيرة النبوية، ووقعوا في اوهام نتيجة لعدم قراءتهم التاريخ والسيرة قراءة عميقة مستفيضة، ففي عام ١٧٢٠ م نشر احد الكتاب المجهولين

---

(١) شاخت وبوزورت: تراث الاسلام ٦٦/١ – ٦٧.

(٢) السامرائي: الاستشراق ص٦٢.

(٣) ن . م ص٦٣.

كراساً يحمل عنواناً فيه الكثير من التحدي للرسول الكريمﷺ سماه "محمد ليس مبدعاً"[١] Mahomet no Impostor.

ونرى المستشرق الالماني بروكلمان يغفل الاشارة - متعمداً - الى دور اليهود في تأليب الاحزاب على المدينة او الى نقض يهود بني قريظة عهدها مع الرسول ﷺ في اشد ساعات محنته وحرجه ويقول: "ثم هاجم المسلمون بني قريظة الذين كان سلوكهم غامضاً، على كل حال"[٢] ويظهر مرغوليوث عطفه على اليهود ويرى ان اقتحام المسلمين حصن خبير محض ظلم نزل باليهود ولا مسوغ له على الاطلاق فيقول: عاش محمد هذه السنين ما بعد هجرته على التلصص والسلب والنهب، ولكن نهب اهل مكة قد يسوغه طرده من بلده ومسقط رأسه وضياع املاكه وكذلك بالنسبة الى القبائل اليهودية في المدينة، فقد كان هناك - على أي حال - سبب ما حقيقياً كان ام مصطنعاً، يدعو الى انتقامه منهم الا ان خيبر التي تبعد عن المدينة كل هذا البعد، لم يرتكب اهلها في حقه، ولا في حق اتباعه خطأ يعتبر تعدياً منهم جميعاً لان قتل احدهم رسول محمد لا يصح ان يكون ذريعة للانتقام[٣] ولم يتورع المستشرق الامريكي ارفنج حينما وصف العلاقة بين الرسولﷺ واليهود في المدينة من ان يقول: انها نقطة سوداء في تاريخ محمد، ثم يقول ايضاً: "يلاحظ ان محمداً في بعض مراحل حياته كان رسول

(١) شاخت وبوزورت: تراث الاسلام ٦٦/١ - ٦٧.

(٢) بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ٦٢/١.

(٣) عماد الدين خليل: مناهج المستشرقين ١٣٨/١.

Mohammed nnd The Rise of Islam.PP . ٢٦٢,٦٣

السيف"[١] وقد اعطى بندلي جوزي فرضيات ونتائج دون ان يشير الى مصادره التي استقى منها نصوصه فيقول:

"ان سياسة النبي مع المكيين قد تغيرت كثيراً في المدينة تحت تأثير عوامل جديدة ولاسباب عديدة اوجدتها الظروف وادى اليها الاختيار وحب النبي لوطنه الاصلي واهله وذويه الى غير ذلك من الانفعالات النفسية والعوامل السياسية التي ظهرت بعد موقعتي بدر وأحد وحصار المدينة، وكان من نتائجها ان النبي اخذ يلطف من سياسته نحو اخوانه المكيين، كما ان اصحاب السلطة في مكة رأوا، بعدما اصابهم في موقعة بدر، وبعدما لحق بتجارتهم من الخسائر، ان يتساهلوا في امور كثيرة مع النبي على شروط تضمن بقاء الكعبة والحج وعكاظ على ما كانت عليه قبل الاسلام وان يشملهم بالعفو ويشركهم في عمله الجديد الذي اخذوا يتوقعون منه خيراً وربما كان من شروطهم التفاهم".

وعندما تعرض الى صلح الحديبية وما نتج عنه من شروط قال:

"ان من جملة الشروط التي انفق عليها الطرفان في الحديبية – او في زمان او مكان آخرين – ان يكف النبي عن الطعن في الملأ المكي، والا يحرض صعاليك العاصمة الحجازية وارقاءها عليه، وهذا على ما يظهر لي احد اهم اسباب خلو السور المدنية ولا سيما تلك التي نزلت في الدور الاخير من العبارات القارصة والطعن في سكان مكة"[٢] وكان ارفنج هو

(١) ارفنج: حياة محمد ص١٩١.

(٢) عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ص٢٣.

الآخر قد ساح في خيال أبعده عن العقلانية عند تعرضه لصلح الحديبية فقال:

"يبدو ان الرسول لم تكن لديه القوى الكافية لقتال المشركين في ذلك الحين، فتخلى عن المسائل الشكلية، ورضي ان يكتب في الوثيقة (محمد بن عبد الله) بدلا من (محمد رسول الله) ولكن هذا اغضب بعض المسلمين"[١] وكان يشير بذلك الى ما روي عن الخليفة عمر بن الخطاب انه قال للرسول ﷺ:[٢]

ألست رسول الله؟

قال: بلى

قال: اولسنا بالمسلمين

قال: بلى

قال: اوليسوا بالمشركين

قال: بلى

قال: فعلام نعطي الدنية من ديننا

فقال الرسول ﷺ: انا عبدالله ورسوله، ولن اخالف امره ولن يضيعني.

---

(١) ارفنج: حياة محمد ص ١٩٥.

(٢) الطبري: التاريخ ٢/٦٣٤.

ان من حقنا ان نطالب بعض المستشرقين ان يذكروا المصادر التي اعتمدوها في دراسة السيرة النبوية، او أي جانب من جوانبها، فالمستشرق الامريكي ارفنج في دراسته "حياة محمد" ينساق مع خياله عند تعرضه لمؤامرة قريش على قتل النبيﷺ ليلة الهجرة فيقول:

"هناك رواية اخرى محتملة الحدوث، تقول ان محمداً قفز من فوق حائط خلفي بالبيت، ويساعده خادم له على النزول بان احنى له ظهره فاتخذه سلماً، واستطاع محمد النزول ومغادرة البيت"(١).

ولاشك ان هذا القول خيال هو اقرب الى القصص البوليسية او الافلام ذات الطابع اللصوصي او فعاليات العصابات، ولم تكن هذه هفوة ارفنج الوحيدة، فان لديه هفوات اخرى تخالف النصوص المعتمدة منها قوله: "كان عمر الرسولﷺ شهرين عندما توفى والده"(٢) وهذا القول يناقض ما اجتمعت عليه المصادر من ان وفاة عبد الله كانت قبل ولادة النبي الكريم محمدﷺ.

ونختم حديثنا بذكر بعض المغالطات بشأن وفاة الرسولﷺ فنجد كازانوفا في كتابه "محمد ونهاية العالم" يقول:

"ان النبيﷺ لما كان مؤمناً بان العالم لن يستمر بعد وفاته، وان الساعة ستقوم قبل موته او بعده مباشرة لم يعين من يخلفه على المسلمين"(٣) ومن

---

(١) الطبري: التاريخ ٦٣٤/٢.

(٢) ارفنج: حياة محمد ص٣٣.

(٣) التهامي نقره: مناهج المستشرقين ٤٢/١.

الحكايات الاسطورية التي ذهب اليها بعض المستشرقين ان النبيﷺ افرغ على جسده ماءاً لانه اراد ان يعمد نفسه قبل وفاته الا ان الشيطان منعه من ذلك، ولم يقف بهم الخيال عند حد بل اخذهم بعيداً عن الواقع فقالوا ان جسد النبيﷺ اكلته الخنازير ولهذا السبب منع القرآن اكل لحم الخنازير[١] وعد لامنس الاحاديث النبوية كلها موضوعة، وقد تحامل على الرسول الكريمﷺ تحاملا شديداً في كتبه: "القرآن والسنة" و"هل كان محمد اميناً" و"عصر محمد وتاريخ السيرة" و"وفاطمة وبنات محمد" وغيرها[٢] وكان لامنس يتجاوز الادلة كثيراً، اذ ان طريقته العابثة في المعالجة ليست طريقة علمية، فهو يرفض هذا الرأي ويقبل الآخر حسب افكاره الخاصة ومعتقداته، دون ان يعبأ بالموضوعية[٣].

---

(١) السامرائي: الاستشراق ص٦٨ نقلا عن كتاب: Islam and The West . P ١٠٣.

(٢) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص٣٤٨.

(٣) عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ص ١٦ – ص١٧.

ظاهرة الوحي في الدراسات الاستشراقية

إن قصور بعض المستشرقين الذهني في فهم الإسلام ودقائقه - إضافة إلى تعصبهم الديني - أوقعهم في منزلقات سوء الفهم الذي انعكس على دراساتهم للسيرة النبوية، وقد أشار إلى هذه الظاهرة المستشرق البريطاني "السير هاملتون جب" Gibb, Sir, Hamilton, A.R. بقوله: "قامت في صفوف المستشرقين في السنوات الأخيرة محاولة ايجابية، تحاول النفاذ بصدق وإخلاص إلى أعماق الفكر الديني للمسلمين، بل السطحية الغامضة التي صبغت دراساتهم السابقة ولكن ورغم ذلك فإن التأثر الأحكام التي صدرت مسبقاً على الإسلام والتي أتخذت صورة تقليد منهجي في الغرب لا زال قوياً في بحوثهم ولا يمكن الإغفال عنها في أية دراسة لهم عن الإسلام"(١) وإلى صورة السطحية الاستشراقية هذه، قد اشار إليها المستشرق البريطاني "جيوم Alfred Guillame" بقوله: "إن ما جاء به الإسلام على عهد الرسول لا يصلح للتطبيق في حياته في جماعة المسلمين، ويجب أن يقتصر اعتباره على عهده ووقته فقط وإن كل مسلم يعلم أن كثيراً من القرآن جاء للوجود كي يلتقي مع بعض أزمات معينة أو لأحوال مؤقتة في حياة محمد لكن من هو الذي يعلم أن الواجبات والمحرمات والمكروهات التي جاءت في الإسلام مقصود أن لا تساس بها حياة الملايين بعده، كي تظل تعيش في أوضاع لا تتصور وهي أوضاع القرن السابع الميلادي"(٢) وإلى

---

(١) عرفان عبد الحميد: المستشرقون ص٥.

(٢) البهي: الفكر الإسلامي الحديث ص ٢٥٢.

قصور فهم الإسلام والشخصية المحمدية، حار بعض المستشرقين في مفهوم الوحي والنبوة، حيرة الجاهليين، أينسبون القرآن الكريم والوحي إلى غير النبيﷺ فيزعمون بأنه تلقفه من هنا وهنا أو يردوه إلى ذات محمد وشخصه فيزعمون أن ما جاء به نتاج الفكر العميق والمشاعر المرهفة، فهو شاعر أو كاهن[١] كما أشارت الآية الكريمة: "فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون أنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون"[٢] وإذا كان الفيلسوف والشاعر الفرنسي فولتير (ت١٧٧٨م) قد ناصب النصرانية والكنيسة العداء في القرن الثامن عشر، فلماذا أمعن في البغض للإسلام والرسول الكريم[٣] ومن الغريب أن فولتير الذي كان يعد النموذج الأمثل لرواد حركة التنوير في أوربا، فإنه يصف النبيﷺ بالقول: "أنه مثير فتن، وجدال يدعي كذباً المناجاة مع روح القدس، ويزعم أنه صاحب رسالة كل سطر فيها ينم عن السخف الذي يناقض مبادئ العقل الأولى[٤] وتكشف هذه الأقوال عن عدم أدراك ظاهرة الوحي ومفهوم الرسالة المحمدية، وتكوين فكرة صحيحة عن القرآن الكريم، ويكاد يكون شبه إجماع لدى المستشرقين على أن الوحي مرجعه إلى تخيلات في ذهن النبيﷺ وأن انفعالات الرسولﷺ عند نزول الوحي عليه ما هو إلا نوع من أنواع الصرع كان مصاباً به قبل النبوة، يقول نومارن دانيال: "إن نوبات

---

(١) حسن ضياء الدين: نبوة محمد في القرآن ص ٢٢٦.

(٢) الحاقة: ٣٨ – ٤٢.

(٣) البهي: الفكر الإسلامي الحديث ١٨٨.

(٤) عرفان عبد الحميد: التراث العربي الإسلامي ص ٧١.

الوحي، وتصبب العرق، وصلصلة الجرس فسروه بالصرع لو أن النبيﷺ كان يصيبه مس من الشيطان وأن نبي العرب كان قد درب حمامة، أو أن معلماً خبيثاً له دربها على التقاط الحب من أذنه، فكان يدعي أن هذه الحمامة هي الروح القدس توحي إليه بقرانه"(١) وإلى هذا النوع من التجني على الحقيقة أشار المستشرق نولدكه Noldeke, Th (ت ١٩٣١م) بقوله: "إن سبب الوحي النازل على محمد والدعوة التي قام بها، ما كان ينتابه من داء الصرع"(٢). أما جوستاف لوبون فيقول: أن محمداً كان مصاباً بالصرع، ولم أجد في تاريخ العرب ما يميز القطع بذلك، وكل ما في الأمر ما رواه معاصروه وعائشة منهم: "أنه كان إذا أنزل الوحي عليه اعتراه احتقان فغطيط فغثيان"(٣) ولم يستطع لوبن – وهو من المعتدلين في حقل الاستشراق – فهم طبيعة الانجذاب الروحي والتعبدي الذي كان يعتري النبيﷺ في لحظات نزول الوحي عليه ففسروه أسوة بغيره من غلاة المتعصبين بأنه مجرد حالة مرضية، ولم نجد المستشرق "جب: يرد على هذا الوهم في معرض الصاق داء الصرع بالرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام من قبل بعض المستشرقين وغيرهم(٤) بينما نجد "ماكس مايرهوف" قد أزال هذا الوهم بقوله: "أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلاً مصاباً بعرض عصبي أو بداء الصرع ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره ليس فيه شيء يدل على

(١) السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ص ٦٢.
(٢) شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامي ٢٤/١.
(٣) لوبون: حضارة العرب ص ١١٤، ينظر التهامي نقرة: مناهج المستشرقين ٢٩/١.
(٤) Sir Hamilton Gibb:. Mohammedanism. P. ٢٣

هذا، كما أن ما قام به بما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول[١] ويفند الأستاذ "دي غويه" هذه الفرية بقوله: إن هذا الافتراض ليس بصحيح، لأن الذاكرة عند المصابين بالصرع تكون معطلة، والحال هي العكس عند محمد الذي كان يتذكر كل ما كان يسمعه في أثناء هذه النوبات. وقد حاول "لورافشكيا فاليبري" فصل الحديث النبوي الشريف عن القرآن الكريم، وهو بذلك قد حاول فصل الوحي عن الأمور الشخصية للرسول الكريم، فيقول: إن القرآن قد نزل على رجل لم يتعلم شيئاً إلا ما أوحاه الله إليه، وقد أوحى إليه من القرآن[٢] وقد تعسف بعض المستشرقين في وصف ظاهرة الوحي تعسفاً قد أبعدهم عن الموضوعية والمنهج العلمي، دون الرجوع إلى مصادر السيرة النبوية، وكتب التفاسير، والتاريخ الإسلامي، كقول الدكتور نبيه سافقلة: إن رؤى محمد كانت مسببة أحياناً يخور قواه من الجوع فكان يسمع أثناء صومه مواء القطط، وماهي بحمى هاذية دامت يومين[٣]و إذا تصفحنا مصادر السيرة نجد فيها وضوحاً تاماً عن ظاهرة الوحي، فإنها تشير إلى أن الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام كان يدرك بشكل واضح جلي الانفصال التام بين ذاته المتلقية والذات الإلهية العليا. وقد نص على هذه الواقعية بقوله: "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيلصم علي، وقد وعيت ما قال: وأحياناً يتمثل لي

---

(١) كاظم آل نوح: محمد والقرآن ص ٥١.

(٢) م. ن ص ١٦١.

(٣) الجندي: الإسلام والثقافة العربية ص ١٢٧.

الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول[١] هذا التصريح النبوي الأمين يؤكد ثنائية العلاقة بينه وبين مصدر الوحي. وهو أمر خارج الذات المحمدية التي كانت تعي ما تتلقاه من الوحي الإلهي أولا يأول لتؤديه بعد ذلك إلى الناس حرفياً، ودون تدخل لشخصي أو تصرف من الرسول الكريم ذاته، قال تعالى: "وإذا تتلى عليه أياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا أئت بقرآن غير هذا أو أبدله قل ما يكون لي أن أبله من تلقاء نفسي أن أتبع إلا ما يوحي إلي ❖ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم❖ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون"[٢] وهناك الكثير من الآيات الكريمة التي تشير إلى الوحي بالمعنى الذي عرضناه سلفاً تؤكد الفرق بين الذات الإلهية والذات المحمدية كقوله تعالى: "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى إنما إلهكم إله واحد"[٣] وتبرز هذه الآيات الكريمة الكمال الواعي للنبيﷺ في حالة التفريق بين الوحي وأحاديثه الخاصة التي كان يعبر عنها بالإلهام من الله تعالى. وهذا لا شك يؤيد استقلال ظاهرة الوحي عن الذات المحمدية استقلالاً مطلقاً وتفردها عن العوامل النفسية تفرداً كاملاً، وإلى ذلك أشار الكاتب الفرنسي" الكونت هنري دي كاستري" بقوله: كان محمد ينفرد بما نزل به من الفكر العظيم وهو وحدانية الله اعتكف في جبل حراء وأرخى العنان لفكرة يجول في بحار التأملات عابداً متهجداً، ومضت عليه بهذه الحالة ليال من ليالي

(١) البخاري: الصحيح ٥٩/١، أبن سيد الناس: عيون الأثر ٩٠/١.

(٢) يونس: ١٥ – ١٦؟

(٣) الكهف: ١١.

هاتيك البقاع التي تملأ النفس انشراحاً. ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل العظيم الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الذكاء ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقول بحدة التخيل وقوة الإدراك لا يوضع المقدمات وتعليق النتائج عليها ما كان إلا أن يقول مراراً ويعيد تكرار هذه الكلمات: الله أحد، الله أحد، كلمات رددها المسلمون من بعده وغاب عنا معشر المسبحين ممغزاها لبعدنا عن فكرة التوحيد حتى ظهر هذا الفكر في كلامه على صور مختلفة جاءت في النص أن لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد(١). وقد أكد المستشرق "اربري Arbrry" على معجزة القرآن الكريم وسماته بقوله: "لا يمكن ترجمة القرآن لأنه معجزة إلهية وأنه كلام الله، لذلك يجب على المؤمن لكي يحفظ معناه فيجب أن يحفظه بلغته الأصلية(٢) وقال المستشرق البريطاني "جب Gibb: أن القرآن الكريم هو الكلام المباشر لله تعالى(٣).

وأدرك المستشرق البريطاني "السير وليم موير Mair, Sir William (ت ١٩٠٥) إلى حد ما حقيقة الوحي، وقد رد على بعض المستشرقين في تفسير أنهم الخاطئة لهذه الظاهرة بقوله: "وتصوير ما كان يبدو على محمد في ساعات الوحي على هذا النحو الخاطئ من الناحية العلمية أفحش الخطأ، فنوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه أي ذكر لما مر به أثناءها بل هو ينسى

---

(١) كاظم آل نوح: محمد والقرآن ص ٢٥.

(٢) .p.ix. The Koran INTERPRETED: Arthur, J. Arberry

(٣) p.٣..H.A.R. Gibb: Moderm Trends in Isalm

هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياناً تاماً ولا يذكر شيئاً مما صنع أو حل به من خلالها لأن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام العطل هذه أعراض الصرع كما يثبتها العلم، ولم يكن ما يصيب النبي العربي أثناء الوحي، بل كانت تتنبه حواسه المدركة في تلك الأثناء تنبها لا عهد للناس به يذكر بدقة - غاية الدقة - ما يتلقاه بعد ذلك على أصحابه، ثم نزول الوحي لم يكن يقترن حتماً بالغيبوبة الحسية مع تنبه الإدراك الروحي غاية التنبيه. بل كثيراً ما يحدث والنبي في تمام يقظته العادية[(١)] "و لكن المستشرق البريطاني" مونتجو مري وات Montgomer, Watt" قد ترجم الرؤيا الصادقة بكلمة "Vision" ثم قال: هذا شيء مختلف جداً عن الرؤيا المنامية، ورأيه هذا يخالف رأي المحدثين من أن الرؤيا الصادقة هي الرؤية المنامية"[(٢)] وذهب إلى أبعد من هذا بقوله: إن تفسير المسلمين المعتاد لهذا أن الرؤى المذكورة هنا هي رؤية النبي لجبريل، ولكن هناك أسباب تدعو للقول بأن محمداً فسر بداية ما رآه بأنه الله، وربما صور "وات" في رأيه هذا على اعتماده على المؤرخ الطبري (ت ٣١٠هـ) في بعض رواياته عن جابر بن عبد الله الأنصاري حول سورة المدثر إذ يقول النبيﷺ في الرواية: سمعت صوتاً يناديني فنظرت حولي فلم أر أحداً فرفعت رأسي فإذ هو جالس على العرش[(٣)] ويبدو أن المستشرق "وات" قد أغفل ما ورد في القرآن الكريم

---

(١) بكري أمين: التعبير الفني ص ١٩، الصغير: تاريخ القرآن ص ١١ - ١٢.
(٢) جعفر الشيخ إدريس: مناهج المستشرقين ٢١٤/١.
(٣) الطبري: التاريخ ٢/ ٣٠٢.

"لاتدركه الأبصار"(١) لأنه لو أقر بهذه الحقيقة لاعتقد أن القرآن الكريم هو كلام الله تبارك وتعالى فهو من جهة أراد أن يظهر محمداًﷺ قد غلب عليه الخيال والوهم. ومن جهة أخرى أراد إبراز التناقض في مسألة رؤية الله تعالى.

و ذهب بعض المستشرقين إلى إن النبيﷺ حينما سمع الوحي تصور أنه إنما يسمعه من الله عز وجل مستدلين على زعمهم هذا بآيات من سورة النجم(٢) قال تعالى: "و ما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى،علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى"(٣). وإلى هذا أشار الدكتور والف لنتون بقوله: "وجاء الوحي في صورة أحلام، وأصبح مقتنعاً أن الله قد اختاره ليكون وسيلة لهداية الناس.

ويبدو أن ظاهرة الوحي قد غطت مساحة كبيرة في دراسات المستشرقين وذهبوا فيها إلى أراء مختلفة، وكانت كلها تصب في رافد وأحد هو أن النبيﷺ كان مصاباً بحالة مرضية مستهدفين بذلك التشكيك بنبوته أولاً، ولسماوية القرآن الكريم ثانياً، وقد أدرك المستشرق الأمريكي واشنتجون ارفنج (w. Irving.) خصومة الكتاب الغربيين للنبيﷺ ومانسبوا إليه من حالات مرضية عند تعرضهم لظاهرة الوحي بقوله: "وهي المسألة التي يثيرها خصومه من الكتاب المسيحيين، وقد ناقش ذلك الدكتور جوستاف ويل

(١) الانعام : ١٠٣.

(٢) النجم : ٣-٦.

(٣) النجم: ٣-٦.

(Dr Gustav Wall في بحث عنوانه: Mohammed der prophet[1] وقد أجاب المستشرق" ، "درمنجهم" على سؤال: هل كان النبيﷺ يغرق في تأمل عميق في المشكلة الدينية يقوده نوع من إلهام الدعوة المستقبلية؟ ولكن هذه الإجابة فيما يبدو لنا لاتعدو أن تكون تخيلاً، ولم يعتمد فيها - كما يظهر من تلك النقطة - على شهادة تاريخية غير قابلة للطعن والتجريح -= وهي شهادة القرآن الكريم، بقوله تعالى: "و ما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين"[2] فهل معنى هذا إلا أنه لم يكن لديه أدنى أمل في أن يقوم بدور في دعوة من أجله هو لا قبل عزلته ولاخلالها. ومع ذلك فهذا هو المعنى النفيس للآية. الذي غابت أهميته التاريخية عند (درمنجهم) مع أنه لم يرتب مطلقاً في صحة القرآن التاريخية[3] وأشار المستشرق "جبGibb" إلى الدوافع الدينية التي سار عليها الرسول الكريمﷺ بقوله: كان حكمه للأشخاص محكومة بتصوراته الخاصة وبالحكم الإلهي[4].

---

(١) أرفنج: حياة محمد ص ٥٦ - ٥٨.

(٢) القصص: ٨٦.

(٣) مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٤) Sir Hamilton Gibb: Mohammedainsm p٢٣

تخرصات المستشرقين للسيرة النبوية
(واشنطون ارفنج انموذجاً)

عنى المستشرقون بدراسة السيرة النبوية، وحاولوا فهم الشخصية المحمدية الكريمة من زوايا وجوانب بعضها متكاملة، وبعضها ناقصة مبتورة، وكان هناك تفاوت في مستوى دراساتهم، وهذا ناتج في الأغلب من طبيعة البواعث والاغراض التي دفعتهم الى الدراسة، فقد انحرف بعضهم عن الصواب، ومال بعضهم الآخر الى التعصب، وقد حاول هؤلاء تشويه الحقائق، خضوعاً لنزعاتهم العرقية أو التبشيرية أو الاستعمارية، ولكن ثمة من التزم منهم بالامانة والموضوعية في التاليف والكتابة، وهؤلاء قد اضطلعوا بمهماتهم بدقة، ولعبوا دوراً بارزاً في احياء الكثير من امهات الكتب التراثية في الفكر العربي الاسلامي. وانطلاقاً من هذه الثنائية في طبيعة الدراسات الاستشراقية للسيرة النبوية الشريفة، يمكن القول: ان المستشرقين هم طبقة من الباحثين فيهم الاديب والمؤرخ والفيلسوف وفيهم الباحث البارع العالم، وفيهم الكاتب العادي الخائب، وفيهم الامين السليم، والمتعصب المقيت، وعلى ضوء هذه الثنائية جاءت دراسات المستشرقين للسيرة النبوية على النحو الاتي:

١- الدراسات المحايدة

٢- الدراسات المعادية

كان بعض المستشرقين قد تنبه الى مغالطات عدد من زملائهم الذين احاطوا الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام بآراء بعيدة عن الواقعية والانصاف، فجاءت كتاباتهم رداً على بعض هؤلاء، فدرسوا السيرة النبوية بروح محايدة، وبدءاً من القرن الثامن عشر الميلادي اخذت الدراسات الاستشراقية تميل نحو التحليل العلمي، والتتبع الدقيق بحرية تكاد ان تكون مطلقة. كان من ايجابياتها ظهور فئة من المستشرقين المنصفين والمحايدين، فيقول الكتب الانكليزي (سيمون اكلي): اني اعتزم تكريس حياتي لمحو ذلك العدوان الكبير الذي وجه للعرب وحضارتهم عن عمد وسوء قصد[1]. وهناك نفر من المستشرقين قد جمع في بحوثه بين الانصاف وعدمه، فنراه في بعض دراساته محايداً، وفي بعضها معاديا، واذا اخذنا الجانب الايجابي من هذه الدراسات نجد في بعضها روحاً علمية، فالكاتب الفرنسي (جي جانيه J.Gaynier) قد رد على المستشرق البريطاني (بريدو). والمستشرق الفرنسي (دي بوليفيه) حيث كان موقفه ايجابياً تجاه الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام. والدعوة الاسلامية[2] وقد رد المؤرخ (كارليل) على بعض المتعصبين الغربيين بقوله: (يزعم المتعصبون والملحدون ان محمداً لم يكن يريد بقيامه الا الشهرة الشخصية، ومفاخر الجاه والسلطان، كلا وايم الله، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات، المتوقد المقلتين، العظيم النفس، المملوء رحمة وخيراً وحناناً وبراً

---

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة تاريخ محمد ص١٢.

(٢) عبد الجبار ناجي: تطور الاستشراق ص٩٤.

وحكمة وحجى. واربة ونهى، افكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه[١] وكان قد رد الكثير من الخرافات التي افتعلها كتاب القرون الوسطى حول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم. ورفضها رفضاً قاطعاً فكان في موقفه هذا شجاعاً جريئاً، وقد تصدى الكاتب(الين بولِ) للمستشرقين المتعصبين بقوله: (ان كثيراً من كتاب التراجم والسير من الاوربيين الذين تناولوا الكلام على سيرة محمد لم يتعففوا على ان يشوهوا هذه السيرة بما ادخلوه عليها من افتراءات وادعاءات كأتهامهم اياه بالقسوة وارتكاب الموبقات والانهماك في الشهوات وانه كان دجالاً دعياً وطاغياً متعطشاً لسفك الدماء)[٢] ولاشك ان نفراً من المستشرقين قد وجه نقداً عنيفاً للرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام، والدين الاسلامي الحنيف جملة وتفصيلاً، وهذا ناتج من الاسباب الاتية:

١- التعصب الديني

٢- عدم فهم الاسلام

وازاء هذين السببين لم يدرك الكثير من المستشرقين ظاهرة الوحي او تكوين فكرة صحيحة عن القرآن الكريم، وحاول بعضهم التماس جوانب من الاثر الديني (اليهودي والمسيحي) بالرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام، وضرب بعضهم على نغمات اريد منها النيل من الاسلام والرسالة كظاهرة تعدد الزوجات، والصاق صفة البشرية للقرآن الكريم

---

(١) كارليل: الابطال، ص٦٨.

(٢) محمد كرد علي: الاسلام والحضارة العربية ٦٦/١ – ٦٧.

باطلاقهم لفظ (كتاب محمد) وعلى الاخذ بالاحاديث الضعيفة والموضوعة في محاولة للنيل من الرسول الكريم والدين الاسلامي الحنيف، وقد كان المستشرق (كايتاني) قد اولع بالخبر الغريب، واخذ الروايات المتأخرة والضعيفة التي لا وجود لها في كتب السيرة الاولى، وفي الموارد الاخرى، وابدى فيها آراء مبنية على العاطفة في الغالب(١) وكنا قد درسنا كتاب (حياة محمد) للمستشرق الامريكي (واشنطن ارفنج Lrving.w) كنموذج لكتابات المستشرقين للسيرة النبوية، فهو في بعض جوانب الكتاب كان محايداً وموضوعياً، وفي الجوانب الاخرى قد ابتعد عن الحياد والموضوعية ووقع في اغاليط وشطحات، علماً انه قد اعتمد على مصادر عربية واسلامية، عدا مصادره الغربية.

تخرصات المستشرق واشنطون ارفنج

لقد تمخضت تخرصات المستشرق الامريكي (واشنطون ارفنج) في كتابه (حياة محمد) عن العاملين الاساسيين اللذين وقع فيهما معظم المستشرقين وهما: التعصب الديني، وعدم فهم الاسلام، وكان على هذا المستشرق الذي اتسمت الكثير من كتاباته بالموضوعية والحياد الرجوع الى المصادر الموثوقة والمعتمدة حتى لا يقع في الهنات التي رصدناها في كتابه (حياة محمد) وهي على النحو الآتي:

---

(١) جواد علي: تاريخ العرب في الاسلام، ص٩ – ص١٠.

١ – المولد النبوي الشريف

خصص (ارفنج) الفصل الثاني من كتابه لمولدالرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام وقال: ان عبد الله – والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم – قد توفي، وكان عمر الرسول عليه السلام شهرين[١] في حين انه عليه افضل الصلاة والسلام قد ولد يتيماً، وقد اجمعت المصادر والروايات الاسلامية، وكتب السيرة والتاريخ على ذلك، واشارت الى ان عبد الله بن عبد المطلب قد توفي قبيل ولادة الرسول الكريم، ومن المحتمل انه اعتمد على رواية ضعيفة اوردها ابن سعد عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي تقول: (توفي عبد الله بن عبد المطلب بعد ما اتى على رسول الله صلى الله عليه وىله وسلم ثمانية وعشرين شهراً، ويقال: سبعة اشهر)، ولكن المؤرخ ابن سعد لم يأخذ بهذه الرواية، بل اعتمد الرواية القائلة: ان عبد الله توفي ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حمل[٢]و يقول المؤرخ الطبري: ان عبد الله بن عبد المطلب اقبل من الشام في عير لقريش، فنزل بالمدينة وهو مريض، فاقام بها حتى توفي ودفن في دار النابغة، وقيل: التابعة، وليس بين اصحابنا في هذا اختلاف[٣].

(١) ارفنج: حياة محمد ص ٣٢ – ص٣٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/١٠٠.

(٣) الطبري: التاريخ ٢/٢٤٦.

٢ – الأثر الديني:

حذا المستشرق(ارفنج) حذو المستشرقين الآخرين في الرأي الذاهب الى أثر الديانتين اليهودية والمسيحية في الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام، وذلك في الفصل الرابع من كتابه، وعند حديثه عن رحلة النبي الكريم الى بلاد الشام بصحبة عمه أبي طالب، ولقائه بالراهب بحيرى في مدينة بصرى، فيقول: (من الطبيعي أن يحرص هذا الراهب على ان يمنع ذلك الشاب الذي قد ينجح في تحويله الى المسيحية من اعتناق اليهودية)[1] وقد اراد (ارفنج) بقوله: ان النبي الكريم كان يتأرجح بين الديانيتين: اليهودية والمسيحية في سبيل اختيار احدهما، وهو في ذلك يحاول نفي الرسالة الاسلامية الجديدة التي نسخت الديانتين السابقتين، واصبح الرسول الكريم عليه الفضل الصلاة والسلام خاتم الانبياء والمرسلين، واصبح الاسلام خاتم الاديان السماوية.

٣ – الزواج والابناء

تعرض المستشرق (ارفنج) في الفصل الخامس من كتابه (حياة محمد) الى زواج الرسول الكريم من السيدة الجليلة خديجة بنت خويلد رضوان الله عليها، وقد اعتمد على نص بعيد عن العقلانية والواقع العلمي وقد استقاه من بعض المصادر دون تحقيق وتحليل فيقول: (اقامت خديجة حفلاً كبيراً ودعت أباها وبعض اقاربها، وعمي محمد ابا طالب وحمزة، وبعض رجالات قريش، وكان ابوها خويلد يحب النبيذ، فأقبل يعب منه حتى ثمل،

---

(١) ارفنج: حياة محمد ص ٤٥.

وطلبت خديجة من ابيها، وهو واقع تحت تأثير الخمر، أن يوافق على زواجها من محمد فابدى موافقته متناسياً فقر محمد)[١] وكان على المؤرخ ارفنج استعراض المصادر التاريخية وكتب السيرة للوقوف على حقيقة هذا الخبر، فالمؤرخ ابن سعد يقول: ان السيدة خديجة ارسلت الى عمها عمرو بن اسد ليزوجها، لان اباها خويلد قد مات قبل حرب الفجار[٢] وحينما تحدث ارفنج عن ابناء السيدة خديجة من الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام يقول: انها انجبت اربع بنات وولداً واحداً يدعى القاسم[٣] ولكن المصادر تقول: ان السيدة خديجة رضوان الله عليها قد أولدت من الذكور اربعة وهم: القاسم، وعبد الله، والطاهر، والطيب[٤] واشارت بعض المصادر الى ان الطاهر والطيب لقبان لعبد الله.

وعند حديث (ارفنج) عن زواج الرسول الكريم عليه افضل اصالة والسلام من السيدة زنب بنت جحش رضي الله عنها قال في خاتمة الفصل العشرين من كتاب (حياة محمد) بعد طلاقها من زيد بن حارثة، وسار على خط المستشرقين الآخرين في تفسير هذا الحدث تفسيراً عاطفياً، دون الاخذ بنظر الاعتبار المعاني الاجتماعية الكامنة وراء هذا الزواج، ويشكل التفسير الجنسي لهذا الحدث اساءة للرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) ارفنج: حياة محمد ص ٥٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١٣٣/١ - ١٣٣.

(٣) ارفنج: حياة محمد، ص ٥٣.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١٣٣/١، ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٠٢/١، الطبري: التاريخ ٢٨١/٢، ابن سيد الناس: عيون الأثر، ٢/ ٢٨٨.

٤ – العبادة والتحنث

تحدث المؤرخ (ارفنج) عن السيدة خديجة رضي الله عنها، وايمانها المبكر بالاسلام وبرسالة الرسول الاعظم محمد عليه افضل الصلاة والسلام، ولكنه وقع في شطط جديد بقوله: (كانت زوجته المخلصة، ترقب محمداً في وحدته وتعبده بعين من القلق ولنتساءل عن السبب الذي يدعو الى ذلك، ولكنها كانت تخفي قلقها وتساؤلها)[١] وفي الحقيقة ان العبادة والتحنث كانت معروفة عند العرب قبل ظهور الاسلام، فهناك من ينقطع عن الناس في بعض اشهر السنة في سبيل التقرب الى الالهة، ولما كانت هذه العادة التعبدية سائدة عند العرب في جاهليتهم، فلماذا تتساءل السيدة خديجة عن سر عبادة النبي عليه افضل الصلاة والسلام التي هي حالة طبيعية عند قومه، ولما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمرة الاولى، كانت السيدة خديجة المؤمنة الاولى بالرسالة الاسلامية، وقد خاطبت النبي عليه افضل الصلاة والسلام بالقول: (ابشر فوالله لايخزيك الله ابداً، والله انك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدي الامانة، وتحمل الكل، وتقري الضعيف، وتعين على نوائب الحق).[٢]

---

(١) ارفنج: حياة محمد، ص٥٥.

(٢) الطبري: التاريخ ٢/٤٧.

٥ – اعتناق الاسلام

اكدت المصادر التاريخية وكتب السيرة النبوية على ان السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها اول من آمن بالرسالة من النساء، وان الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، اول من آمن من الرجال، ولكن المستشرق (ارفنج) قد جانب هذه الحقيقة، وعد الصحابي زيد بن حارثة رضي الله عنه اول من اعتنق الاسلام[١] وقد ورد عن الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه قوله: (اول من صلى علي بن ابي طالب) وعن الحكم بن عيينة قوله: خديجة اول من صدق، وعلي اول من صلى الى القبلة[٢] وقد اكدت مصادر التاريخ والحديث والرجال وغيرها على هذه الحقيقة التاريخية فكان على المستشرق (ارفنج) التثبت من الاحداث.

٦ – القرآن الكريم

انضم الكاتب (ارفنج) الى مجموعة المستشرقين القائلين بتحريف القرآن الكريم، وضرب على الوتر الذي اتخذه هؤلاء وسيلة للنيل من الاسلام ومبادئه وعقائده فيقول: (ان القرآن الموجود في الوقت الحاضر ليس نفس القرآن الذي لقنه محمد للمسلمين اذ دخل عله بعض التحريف) ويبدو انه كان متعمداً لتدوين هذا الرأي دون الرجوع الى المصادر العربية والاسلامية القائلة بالاجماع على بطلان الزيادة والنقصان في القرآن الكريم[٣] وكان

---

(١) ارفنج: حياة محمد ص ٦٢.

(٢) المحب الطبري: ذخائر العقبى ص ٦٨ – ص ٦٩.

(٣) الطوسي: التبيان ١/٣.

وراء نغمة (التحريف) هذه اشعال نار الفتنة بين صفوف المسلمين بعد ان وجد المستشرقون القرآن الكريم وسيلة الوحدة المتينة للعرب والمسلمين.

٧ – المغازي والفتوح

تحدث ارفنج بصورة مقتضبة عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبذلك قد اهمل جوانب مهمة من خصوصيات البطولات العسكرية وصمود المسلمين في تلك المعارك مع اعدائهم المشركين واليهود، ولم يعط لفتح مكة أهمية تتناسب مع الحدث، وكان قد دون رواية غريبة في بابها في موضوع هجرة الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام الى المدينة المنورة بقوله: (وهناك رواية اخرى محتملة الحدوث تقول: ان محمداً قفز من فوق حائط خلف البيت وساعده خادم له على النزول بأن احنى له ظهره فاتخذه سلماً واستطاع النزول ومغادرة البيت)[1].

٨ – الموقف من اليهود

تناول ارفنج في الفصل الثالث والعشرين من كتابه (حياة محمد) موقف الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام من اليهود بعد انتصار المسلمين في موقعة الخندق. ولكنه كشف عن تعاطف مع اليهود بصورة ملفتة للنظر، دون تقدير للموقف العدائي الذي سلكه اليهود مع المسلمين، وبخاصة يهود بني قريظة في المدينة فيقول: (عامل محمد اليهود معاملة تنطوي على القسوة، فقد جعل محمد مصيرهم في يد رجل قاس، لذا نعتبر تلك المذبحة التي

---

(١) ارفنج: حياة محمد ص ١١٨.

شهدتها سوق المدينة نقطة سوداء في تاريخ محمد، وفي الحقيقة يعتبر موقف الرجل من هذا الجنس، منذ ان اصبحت السلطة والنفوذ في يده، يخالف ما نعرفه عنه من رحمة وانسانية، وقد يكون الرسول مدفوعاً الى ذلك بما بدر عن اليهود من غدر وخيانة وحقد، ولكننا نلاحظ ان محمداً في بعض مراحل حياته كان رسول السيف)[1] وكان هذا الاتهام السافر نابع من تعاطف (ارفنج) وكثير من المستشرقين مع اليهود، ويقول الدكتور علي حسني الخربوطلي، معقباً على هذا الرأي: (بينما يتهم المؤلف بالقسوة، ولم ينس ان يذكر موقف اليهود من الرسول، وما اتصف به من غدر وخيانة وحقد، والحقيقة ان اليهود ما كانوا يستحقون مطلقاً أي رحمة أو شفقة لتكرار غدرهم بالرسول، عندما هاجر الرسول الى المدينة، اراد تحقيق احد امرين: جذب اليهود الى الاسلام. او اكتساب صداقتهم مع بقائهم على دينهم. وكتب كتاباً شمل حقوقهم وواجباتهم، لكنهم اندفعوا في عدائهم للرسول على غير هدى، فاخذوا يصرحون بالشك في رسالته لا لشيء سوى انه عربي والنبوة في نظرهم مقصورة عليهم، ولانه بعث في الحجاز والنبوة في رأيهم انما تكون في الشام موطن الانبياء، كذلك اثار اليهود بين الانصار فذكر وهم بعداء الاوس والخزرج، كما مالوا ناحية قريش في حربها مع الرسول، ورثى الشعراء اليهود قتلى بدر وهاجموا المسلمين[2].

---

(١) ارفنج: حياة محمد ص ١٩١.

(٢) الخربوطلي: هامش كتاب (حياة محمد) ص ١٩١.

اشراقات محمدية في الأدب الاستشراقي

نستشف من بعض النصوص الاستشراقية ملامح الحياد والموضوعية في تحليل شخصية رسول الانسانية ومنقذ البشرية محمد عليه افضل الصلاة والسلام، فقد خصص بعض المستشرقين دراسة للسيرة المحمدية الشريفة أوضحوا فيها الصورة الواقعية للاسلام فكتب المستشرق "موير" كتاب "سيرة محمد" فجاء في احدى صفحاته "امتاز محمد بوضوح كلامه ويسير دينه، وقد أتم من الاعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس، واحيا الاخلاق، ورفع شأن الفضيلة، في زمن قصير كما فعل محمد وأشار الاستاذ محمد كرد علي في كتابه الاسلام والحضارة العربية الى الكاتب الروسي تولستوي عن دور الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم في انقاذ البشرية بقوله: ومما لا ريب فيه ان النبي محمداً كان من عظام الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الانساني خدمة جليلة، ويكفيه فخراً انه أهدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء، وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة، ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والاكرام. وقد استقى بعض المستشرقين نصوصاً من مصادر اسلامية للحديث عن السيرة النبوية فالمستشرق الفرنسي "ارنست جانييه Ernest Gagnier" استمد من أبي الفداء نصوصاً في كتاباته، قد ابعدته عن التعصب الأعمى، ويقول الاستاذ عبد الرحمن صدقي في كتابه الشرق والاسلام أن المؤرخ هنري كونت بولا

نفلييه Herri Comte de Boulainvilliers في كتابه حياة محمد" الذي ألفه عام ١٧٣٥م، قد أخذ عليه المتعصبون الغربيون أنه يتحدث عن صاحب الدعوة الاسلامية بوصفه رسولاً للعناية الالهية، وقد اطلع الشاعر "جوته عام ١٧٧٣م على الجزءين الاولين من كتاب "تاريخ محمد – مشرع العربية " للكاتب الفرنسي "ترين Henri Turpin" وفي الحقيقة ان الشاعر جوته قد كتب عن القرآن الكريم وشخصية الرسول الاعظم، والدين الاسلامي بروح حيادية وموضوعية علمية، وقد نشر في ا لتقويم الشعري الصادر في مدينة "جوتنجن Gottingen" عام ١٧٧٣م نشبدأ على صورة مقطعات يتناوب انشادها منها:

علي القائد الشجاع الأمين

فاطمة زوجته بنت الرسول

تحية للنبي:

يقول الاستاذ عبد الرحمن صدقي: أن في هذه المقطعات تصويرا رائعا لهذه القوة التي فجرها الله على يد رسوله خاتم المرسلين ووصفا شعرياً لفيض الاسلام، وسرعة ذيوعه حتى انتظم النجاد والوهاد وبلغ الى المحيط الاعظم، وقد ضم الشاعر جوته إلى مجموعة اشعاره التي نشرها عام ١٧٨٩م قصيدة ادرجها على غير نسق الحوار الذي كانت عليه وعنوانها النشيد المحمدي وكان الفصل الاول بعنوان مناجاة محمد وقد ورد فيه وهو فتى وقد خلا بنفسه بالليل بعيداً في البادية، تحت سماء صافية سافرة النجوم وقد استمد جوته من الآية الكريمة ((وإذ قال ابراهيم لأبيه ازر اتتخذ

اصناماً الهة اني اراك وقومه في ضلال مبين * وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والارض وليكون من الموقنين * فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي* فما أفل قال لا أحب الافلين* فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين* فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر* فلما افلت قال يا قوم اني برئ مما تشركون * اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين))[1] وختم الشاعر جوته مناجاة النبي عليه افضل الصلاة والسلام بقوله:

فارتفع أيها القلب العامر بالحب نحو الخالق

انك وحدك مولاي يا رب

انك الحب المحيط بكل شيء

خالق الشمس والقمر والكواكب

خالق السماء والارض وخالق نفسي

فكانت الصورة الوحدانية التي أشار إليها الشاعر "جوته" مستوحاة من الآية الكريمة المتقدمة.

و تصدى بعض المستشرقين للرد على تخرصات زملائهم من الكتاب والمؤرخين الذين جعلوا التعصب نصب أعينهم ، وابعدوا انفسهم عن الموضوعية في تحليل الشخصية المحمدية، وقد كان العالم الهولندي "ادريان

---

(١) الانعام : ٧٤-٧٩.

ريلان Adrien Reland" أول من أمسك القلم للرد على الاقلام المضلة والحاقدة، وذكر الاستاذ محمد كرد علي في كتابه "الاسلام والحضارة العربية" ان المستشرق "مونتيه في كتابه "حاضر الاسلام" ان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قد قام باصلاح الاخلاق وتطهير المجتمع، ويمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للانسانية وجاء في وصف "لين بول" للشخصية المحمدية مطابقاً للمصادر الاسلامية بقوله "أن محمداً كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة كاللطف والشجاعة ومكارم الاخلاق حتى ان الانسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون ان يتأثر بما تتركه هذه الصفات في نفسه من أثر، ودون أن يكون هذا الحكم صادراً من غير ميل أو هوى، كيف لا وقد احتمل محمد عداء اهله وعشيرته أعواماً، فلم يهن له عزم، ولا سعفت له قوة وبلغ من نبله انه لم يكن في حياته البادئ بسحب يده من يد مصافحة، حتى لو كان المصافح طفلاً، وان لم يمر بجماعة يوماً رجالاً كانوا أم أطفالاً، دون أن يقرأهم السلام، وعلى شفتيه ابتسامة حلوة، وفي فيه نغمة جميلة كانت تكفي وحدها لتسحر سامعها وتجذب القلوب إلى صاحبها جذباً، وذكر المستشرق "كارليل" في كتابه "الابطال" ان النبي العربي اصبح قبلة العلوم والمعارف، وان المسلمين حملوها للعالم الاسلامي، ولم يأت عليهم قرن حتى استضاءت اطراف الدنيا بعقولهم وعلومهم وتصدى "لين بول" لكتاب السير من الاوربيين الذين لم يتعففوا عن تشويه السيرة المحمدية وادخلوا عليها افتراءات وادعاءات وعلى نقيض هؤلاء كان المنصفون والمحايدون قد دخلت الاشراقات المحمدية في ضمائرهم ووجدانهم.

ماذا كتب المستشرقون الروس عن السيرة النبوية الشريفة؟

كانت الدراسات الروسية عن السيرة النبوية الشريفة قليلة قياساً بدراسات المستشرقين من الاوربيين والأمريكان، فتناول بعض الروس القرآن الكريم على وفق مفاهيم مختلفة، وترجمه آخرون الى اللغة الروسية، وكانت الكتابات تتفاوت بين الموضوعية وعدمها، وبين المادية والروحية شأنها شأن الدراسات الاستشراقية الأخرى ويأتي كتاب "حكم النبي محمد" للكاتب الروسي "تولستوي" في مقدمة الدراسات الاستشراقية الروسية، وجاء تأليفه بعد حملة ظالمة شنت على الاسلام، وعلى شخصية الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، فيقول الاستاذ عبد الحليم محمود في كتابه "أوربا والاسلام" أنه كتب رأيه في هذا الدين الذي أعجب به وتحدث عن رسوله الذي نال اكباره، وكان جزاؤه على ذلك، أي على كلمة الحق التي يدين لها: ان حرمه البابا من رحمة الله، وكان المستشرق "تولستوي" قد عدّ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من عظماء الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الانساني خدمة جليلة، ويكفيه فخراً انه هدى أمة برمتها الى نور الحق، وجلعها تجنح إلى السكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء، وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهذا عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة، ورجل مثل هذا لجدير بالاحترام والاجلال ومن الغرابة ان بعض المستشرقين الروس قد ابتعد عن الحقيقة والواقع التاريخي، ولما ترجم الكاتب "نيقولا لييف" القرآن الكريم إلى اللغة الروسية، اطلق عليه لفظ "قرآن محمد" وورد

في الموسوعة الروسية الكبيرة التي صدرت عام ١٨٥٤م وفي جزئها الثامن والعشرين ما يلي: قد يمكن أن يكون لمحمد وجود تأريخي ولكن الخرافات قد عملت عملها في تكوين هذه الشخصية وقلب حقيقتها قلباً تاماً، واقدم مصدر بين أيدينا يبحث قصة محمد يرجع الى النصف الثاني من القرن الثامن، كتبه ميمون بن اسحاق باسم حياة رسول الله، وذلك بأمر الخليفة العباسي في بغداد، ويضم هذا الكتاب فضلاً على الحقائق الراهنة في حياة محمد عدداً كبيراً من القصص والخرافات التي استغرقت شخصية محمد التاريخية في ما كتبه المحدثون عن حياته وقد اعتقدت الأجيال المسلمة المتأخرة بقداسة محمد وبقدرته على صنع المعجزات وبشفاعته للمؤمنين. ولاشك أن المزاعم التي وردت في هذه الموسوعة، تفندها المصادر التاريخية، ومصادر الحديث الشريف، وروايات الائمة من آل البيت والصحابة الكرام، فقد ورد في الموسوعة المذكورة ميمون بن اسحاق، وان الصحيح هو صاحب السيرة الشهير محمد بن اسحاق، المتوفى عام ١٥١هـ، ولم تشر الموسوعة إلى الاخباريين المسلمين الذين سبقوا محمد بن اسحاق، بأكثر من نصف قرن ، وان احاديث الائمة من آل البيت عليهم السلام، قد تصل لأكثر من قرن على روايات محمد بن اسحاق، إذ أنه روى عن الامامين محمد بن علي (الباقر) وجعفر بن محمد (الصادق) عليهما السلام. ولدينا تحفظات على المستشرق الروسي كراتشوفسكي" في كتابه "تاريخ الأدب الجغرافي العربي" وبخاصة بعض ارائه في القرآن الكريم كقوله: "ان القرآن هو جماع تلك المعارف التي حصل عليها محمد عن طريق السماع، وهي

تمثل نموذجاً عاماً لمستوى الثقافة العام في هذا المجال، ومن الثابت أن هذا المستشرق قد شكك بالوحي، واعتقد ببشرية القرآن الكريم، وانما اراد أن يقول: انه حصيلة ما كان يسمعه الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام من هذا اوذلك سواء من العرب في الجزيرة أم من خارجها، وكان المستشرقون الروس وغيرهم من الاوربيين والامريكان دراسة اللغة العربية، دراسة مستنفيضة وذلك للوقوف على مفرداتها بدقة دون الرجوع الى الكتب المترجمة بلغاتهم، ولعل اخطرها ترجمات القرآن الكريم، لأن ترجماتهم لا تؤدي المعنى الحقيقي للنصوص، ولاسيما القرآن الكريم الذي تخضع تفاسيره لعدد كبير من المفسرين من ذوي الاجتهادات المختلفة وكان على المستشرقين أن يعلموا ان الرسالة المحمدية، عالمية في أغراضها ومراميها، كما ورد في قوله تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"، وان رسول الانسانية عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو منقذ البشرية، وان المصادر الأساسية تؤكد ذلك.

الفصل الثاني

آل البيت I في الدراسات الاستشراقية

المقدمة

وقفنا على دراسات المستشرقين من خلال تناولهم لشخصية الامام علي(عليه السلام). وشخصية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وآراء المستشرق (دوندلسن) في الامام الصادق(عليه السلام) وكنا قد اخترنا جوانب محددة من هذه الشخصيات الاسلامية الكبيرة وعلى النحو الآتي:

١ - فروسية الامام علي (عليه السلام) في كتابات المستشرقين. بحث منشور في مجلة العترة، العدد الاول لسنة ٢٠٠٦م.

٢ - الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقي بحث منشور في مجلة ينابيع، العدد (١٢) السنة الثالثة ٢٠٠٦هـ .

٣ - المستشرق (دونلدسن) الامام الصادق وتلامذته كونوا مدرسة في علم الكلام والفقه، بحث في جريدة الفرات، العدد(١٣) بتاريخ ٢٠٠٠/٧/١٩.

و قد جاءت مضامين بعض آراء المستشرقين عن أهل البيت عليهم السلام من خلال الكتب المؤلفة في السيرة النبوية الشريفة فأكدت النصوص الى الصولات الحيدرية والمنازلات الفروسية في المعارك التي خاضها المسلمون مع المشركين في عهد الرسالة، وقد استحق أن يقال أن امير المؤمنين عليه السلام هو (بطل الابطال).

و قد وقف بعض المستشرقين على السيرة الفاطمية مستعرضين بعض الجوانب الحساسة في التاريخ الاسلامي ، وفي مقدمتها مسألة (فدك) وقد

استعان بعضهم بالآيات الكريمةالتي نزلت في السيدة فاطمة الزهراء وآل البيت عليهم السلام.

و قد خص المستشرق (دونلدسن) الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بالدراسة لكونه صاحب مدرسة علمية كبيرة في التاريخ الاسلامي وان تلاميذه قد حافظوا على مدرسته في علم الكلام والفقه.

واننا في هذا المواضيع العلمية الثلاثة وجدنا المستشرقين موضوعين في دراساتهم، محايدين الى حد ما في عرض آرائهم. دون أن يكون خطا ساخناً في مضامين دراساتهم وكان أملنا أن تكون جميع دراسات المستشرقين تسير وفق هذا الخط السليم، مبتعدين عن التعصب المقيت.

فروسية الامام علي عليه السلام
في كتابات المستشرقين

تجلت في شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خصائص وانفرادات، ومن يتعمق في تفاصيل سيرته يجد فيها ما يميزه عن غيره من رجال عصره، وكانت شجاعته وفروسيته إحدى الخصائص المنفردة، وقد سلط عليها الباحثون من عرب ومسلمين ومستشرقين أضواء لكشف ملامحها، وكانت كتابات المستشرقين تتارجح بين التحليل العلمي الدقيق، وبين السطحية وعدم التعمق في فصائل التاريخ الإسلامي، فقد كان مبيت الإمام علي عليه السلام في فراش النبي الكريم صلى الله عليه وآله في ليلة الهجرة فيما قد أجمعت المصادر الإسلامية على حقيقتها، حيث كان موقفاً بطولياً وفدائيةً نادرة، لم يشد لها التاريخ من مثيل، وفي هذا الموقف العلوي الفريد، نزلت الآية الكريمة {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد} وقد أكدت رواية الإمام الباقر عن أبيه زين العابدين عليه السلام، أنها نزلت في الإمام علي ليلة الهجرة، وهذه الرواية تلتقي تماماً مع النصوص التاريخية ونصوص كتب التفسير والحديث، ومن الغرابة إن المستشرق الروماني (كونستانس جيورجيو) قال: إن الآية الكريمة نزلت في الصحابي صهيب الرومي، ولم يعط إشارة للحادثة التي نزلت فيها هذه الآية، وبذلك خالف المستشرق المذكور إجماع الروايات والنصوص، في حين إن المستشرق الأمريكي (ارفنج) في كتابه (حياة محمد) أكد على نزول الآية الكريمة في الإمام علي عليه السلام ليلة الهجرة وقال: (التف ابن عمه المخلص علي في بردته، وأخذ

مكانه في فراشه). وأكد المستشرق الفرنسي (جان بروا) هذا الحدث التاريخي في كتابه (محمد نابليون السماء) بقوله: (ترك علي فراشه نهبا لسيوف المؤامرة، البطل المضحي، والمؤمن الشاب، ابن عمه وربيبه علي بن أبي طالب). فالمبيت ليلة الهجرة تضحية وفداءن لا يضاهيه موقف آخر. فقد كانت عينا علي عليه السلام تسبح لله، وسيفه يلهج بنصر الله.

وتحدث المستشرق البريطاني (بودلي) عن السيرة النبوية الشريفة، فتناول بطولة الإمام علي وفروسيته بقوله: (كان علي جندياً باسلاً، وواضع خطط حربية وعبقريا).

و قد تناول المستشرقون معركة خيبر بشيء من التفصيل، لأنها من المعارك الفاصلة بين المسلمين واليهود، وكان المستشرق (كاراديفو) قد أشار اليها بقوله: (قلقل علي بيده باباً ضخماً من حديد. ثم رفعه فوق رأسه متخذاً منه ترساً مجناً) ولم يتوسع هذا المستشرق في تفاصيل المعركة، ولم يشر إلى قلع الباب وفتحه، في الوقت الذي كانت المصادر الإسلامية قد أعطت لهذا الموضوع أهمية كبيرة، لأن معركة خيبر تعد من المعارك الفاصلة في تاريخ الرسالة الإسلامية، وقد أصاب المستشرق (جان بروا) في تحليله للحادثة وقال: (أقترب البطل علي، وملء ثوبه العزيمة، ومعجزة النبوة، وبشرى الفتح، واقترب بهديره وزئيره وجنوده من خلفه، والراية ترفرف في يديه، راية النصر المؤكد والفتح المبين).

ووصف البارون (كارديفو) بطولة الإمام علي عليه السلام بقوله: (وحارب علي بطلاً إلى جانب النبي ، وقام بمآثر معجزات). وقد وقف على معركة

بدر الكبرى، موقفاً متأملاً في دراستها بدقة، ووصف دور الإمام علي القيادي فيها بقوله: (كان علي في العشرين من عمره يشطر الفارس القرشي شطرين اثنين بضربة واحدة من سيفه) أما في معركة أحد التي انتكس فيها المسلمون، وتعرض النبي الكريم صلى الله عليه وآله الى جراحات خطيرة، واستشهد أسد الله ورسوله الحمزة بن عبد المطلب، وكان علي عليه السلام في هذه المعركة يصاول المشركين، ويدافع عن الرسول الكريم، فوصف (كاراديفو) هذا الموقف البطولي بقوله: (تسلح بسيف النبي ذي الفقار، فكان يشق المغافر بضربات سيفه، ويخرق الدروع).

ووصف المستشرق (بودلي) فروسية الإمام علي وبطولته الفائقة في معركة الخندق، يوم تقدم لنزال فارس الجزيرة ومغوراها عمرو بن عبد ود العامري بقوله: (برزم علي فوراً لنزال عمرو، فلما رأى المقاتل المحنك من برز له ضحك، فقد كان يعرف علياً مذ كان طفلاً، وأنه لا يزال يعتبره غلاماً، ولكن علياً عليه السلام قد فلق هامته وطرحه جثة هامدة).

و ربط المستشرق (ارفنج) بين عقلية الإمام علي الراجحة، وإيمانه العميق وفروسيته النادرة، وقد أستحق بذلك على لقب أسد الله)، وأشار هذا المستشرق إلى سيف ذي الفقار بقوله: (سيف عجيب ظل الرسول يستعمل هذا السيف في جميع المعارك ثم ورثه علي بن أبي طالب عنه بعد وفاته) ووصف شجاعة الإمام وفروسيته بقوله (علي الجندي الأمين الباسل، وكان محمد بطله، وكان القتال هوايته، أنه رجل العسكر والقتال).

و كان المؤرخ الإنكليزي (كارليل) في كتابه (الابطال) قد أحب فروسية الإمام علي وشجاعته فيقول: (أما علي فلا يسعنا إلا أن نحبه ونتعشقه، فإنه فتى شريف القدر، كبير النفس، يفيض وجدانه رحمة وبراً، ويتلظى فؤاده نجدة وحماسة وشجاعة، فهو أشجع من ليث، ولكنها شجاعة ممزوجة برقة ولطف ورأفة وحنان).

و تطرق الكاتب (جان بروا) إلى فتح مكة ودور الإمام علي عليه السلام في عملية الفتح بقوله: (أقترب البطل علي وملء ثوبه العزيمة).

و على الرغم من إعجاب بعض المستشرقين بالإمام علي وبطولته وشجاعته وفروسيته، لكن علينا أن نأخذ دراساتهم بالحذر والحيطة، لأن هناك من يكن موضوعياً في جانب ومتطرفاً من جانب آخر ، وبعيداً عن العلمية والحقيقة التاريخية.

الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام في الفكر الاستشراقي

كان اهتمام الكثير من المستشرقين بالسيرة النبوية الشريفة فصدرت كتب بلغات عديدة، وترجم بعضها إلى اللغة العربية وهي تتأرجح بين السلب والإيجاب أو بين التعصب والحياد، ومن خلالها تبرز السيرة العلوية وطابعها البطولي، والسيرة الفاطمية وملامحها التاريخية، ويرد اسم الزهراء عليها السلام في أثناء تعداد أبناء وبنات النبي صلى الله عليه وآله.

فيقول المؤرخ الهندي السيد أمير علي (Ameer Ali sayed) إن فاطمة عليها السلام هي أصغر أخواتها، وقد لقبت بالزهراء، لجمالها، ويدعوها المسلمون (سيدتنا)، وقد تزوجت من الإمام علي عليه السلام.

واستعرض المستشرق (ارندنك) (C.Van Arendonk) ذرية النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله بقوله: إن لأبناء فاطمة الحق الأول في أن يسموا (أبناء رسول الله) فينتسبوا بذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله، ولذلك فإن عبارة (ابن رسول الله) هي العبارة المفضلة في مخاطبتهم، وقد استقى معلوماته من مصادر إسلامية منها:

الطبراني، وابن حجر، والنبهاني، عند تعرضهم للحديث النبوي الشريف (كل أبناء آدم ينتسبون إلى عصبة أبيهم، إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم، وأنا عصبتهم).

وتحدث المستشرق (دونلدسن) عن غزوة الحديبية وقال: إن النبيﷺ قد أصطحب معه الحسن والحسين وفاطمةعليها السلام، وقد عقب على ذلك بقوله: (ولا يمكن أن يخلفه حفيداه إلا أنها أعترفت بعلي خلفاً له، فإنه ليس من العرب رد النسب إلى ابنته فاطمة وقد خفي على هذا المستشرق أنه التشريع الإسلامي نصوص مستمدة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف معارضة للاعراف الإجتماعية القديمة، القائمة على التقاليد الجاهلية ولعل أهم مشكلة يتعرض لها الكثير من المستشرقين هي عدم فهمهم للإسلام ونظمه، وعدم إحاطتهم باللغة العربية وبلاغتها، وإنما يأخذون النصوص من ملامحها الظاهرية.

وتطرق المستشرق (دونلدسن) الى وفاة الزهراءعليها السلام، معتمداً على المؤرخين ابن سعد واليعقوبي وعلى المحدث أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم، وعدم الرجوع إلى المصادر الإمامية.

في حين أن المستشرق الفرنسي (لامنس) قال: إن فاطمةعليها السلام ماتت لم تتجاوز الشباب. وهو بذلك قد اقتبس من روايات الإمامية في عمر السيدة فاطمةعليها السلام عند وفاتها، والمدة التي قضتها بعد وفاة أبيهاﷺ اما المستشرق(دونلدسن) انه تحدث عن وفاة النبي الأعظمﷺ وأورد نصاً اقترب فيه من رأي الشيعة الإمامية جاء فيه: (ثم أدنى علياً إليه، ووضع رأسه في حجر علي وتغيرت سحنته، وعرق جبينه، وكانت فاطمة جالسة بقربه، فلما رأت ذلك اصابها الحزن، وأخذت بيدي الحسن والحسين وجعلت تندب أباها، ففتح الرسول عينيه، ووضع رأسه على صدرها،

وقال: اللهم ألهم فاطمة الصبر ثم قال: أبشري يا فاطمة فستكونين أول من يلحق بي، وجعل يعالج سكرات الموت، فأخذت تبكي بكاءً شديداً، فأراد علي إسكاتها، فقال النبي: دعها تبكي أباها، ثم أغمض عينيه وأسلم روحه.

وأعطى (دونلدسن) ملامح عن الوضع العالم في المدينة المنورة عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله بقوله: (فبلغ أبا بكر وعمر إن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي في منزل فاطمة بنت رسول الله، وزوج علي، فذهبا ليطلعا على دخيلة الأمر).

و في الحقيقة أن أبا بكر وعمر وجماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لاختيار من يخلف النبي صلى الله عليه وآله في إدارة الدولة، وأرسلا إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام جماعة لاستطلاع الأمر، حيث كان الإمام علي عليه السلام وبعض الصحابة منشغلين في تجهيز النبي صلى الله عليه وآله استعداداً لدفنه، ولم يكن أمر الخلافة والوصول إلى السلطة في هذا الوقت المبكر من وفاة النبي صلى الله عليه وآله في حساباتهم وتفكيرهم، وقد توقع المسلمون أن هذا الموضوع قد حسم أمره في بيعة الغدير، وأن أمير المؤمنين عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه.

و تحدث المستشرق (دونلدسن) عن فدك وميراث فاطمة عليها السلام بقوله: (ولم يمض على فاة الرسول زمن طويل حتى جاءت فاطمة ومعها علي إلى أبي بكر تسأله ميراثها من أبيها، فقال لها: أشهدكما الله، ألم تعلما

أو تسمعا أن رسول اللهﷺ قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، قالا: نعم ولكن رسول الله كان ينفق على أهله وهو بار بهم).

و كان ينبغي على هذا الباحث والمؤرخ الوقوف على حقيقة الحديث المروي (نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة)، وعلى خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في أضعافه، لأنها أقرب زمانياً ومكانياً من صدور الأحاديث الشريفة، وإذا كان الحديث المذكور صحيحاً وسليماً كيف جاز للخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز عدم الأخذ بمضمونه.

و قد كشف المستشرق (فلهوزن) عن هذا الجانب بقوله: أن قضية فدك قد تداولها الحاكمون حتى عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١هـ) فردها إلى ما كانت عليه أول أمرها، وأعطاها لآل النبيﷺ، وبذلك ألغى عمر بن عبد العزيز ما كان قد جرى عليه أبو بكر وعمر، ومعنى هذا أنه لم يكن يتبعهما اتباعاً تاماً.

و كان لقب (الشريف) قد لحق بأبناء فاطمةعليها السلام من ذرية الإمامين الحسن والحسينعليهما السلام، وقد أشار المستشرق (ارندك) إلى أن هذا اللقب قد أطلق فيما بعد على أبناء محمد بن الحنفية، أو أبناء الإمام علي الآخرين، وكذلك لأبناء أخيه جعفر وأخيه عقيل، وأبناء عمه العباس.

و قد اعتمد على المؤرخين الذهبي والسيوطي في إلحاق لقب الشريف بهؤلاء حتى قيل: الشريف العباسي أو العقيلي أو الجعفري أو الزينبي، وقال: (غير أن هذا ليس له كبير دلالة بالنسبة للصدر الأول).

و من الملاحظ أن الشريف الطالبي أو العلوي في العصر العباسي قد ألحق بسلالة الحسن والحسين عليهما السلام، أما لقب الشريف الهاشمي فإنه ألحق بسلالة العباس بن عبد المطلب.

و كان بعض المستشرقين قد استقى من آية التطهير (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) ومن الحديث الشريف: (الكساء أو العباءة) أن آل البيت عليهم السلام هم من سلالة علي وفاطمة عليهما السلام.

و يقول: إن أهل الكساء يطلق على آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وهم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

و ذكر المستشرق (ارندنك): أن لقب (السيد) يطلق على العلويين دون غيرهم من الهاشميين، وقد اعتمد على كتاب (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب) لابن عنبة الداودي، وكتاب (تاريخ الإسلام) للذهبي، وكتاب (نهاية الأرب) للنويري، وكتاب (العقود اللؤلؤية) للخزرجي، وقال: إن الفاطميين في مصر قد أطلقوا لقب (الشريف) على أبناء الحسن والحسين عليهما السلام، وبقي هذا اللقب إلى أيام المؤرخ السيوطي المتوفى عام (٩١١هـ).

أما لقب (السيد) فإنه بقي يلازم أبناء الحسن والحسين عليهما السلام في حضرموت. وربط بين لفظ السيد الذي تعارف عليه الناس على مدى التاريخ وبين الأحاديث النبوية الشريفة التي أشارت إلى هذا اللفظ كقول النبي صلى الله عليه وآله: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، ومخاطبة كل من الحسن والحسين عليهما السلام بلفظ (سيد العرب وسيد المسلمين).

كما لقبت فاطمة الزهراءؑ بلقب (سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة) وقد أطلق على الإمام أمير المؤمنين عليؑ لفظ (سيد الناس)، وقد حاول المستشرق (ارندنك) من خلال هذه الأحاديث الشريفة، إعطاء صفة العمق التاريخي لتلكم الألفاظ الدالة على مكانة أهل البيتؑ، معتمداً على كتب الصحاح والسنن ومصادر التاريخ، وقد أشار إلى (حديث الثقلين) المرتبط بأهل البيتؑ، وقال: إن الصدقة لا تجوز عليهم، وأشار إلى أن بعض المصادر تشير إلى الطالبيين والعباسيين في حرمة الصدقة عليهم.

وأن خاتمة القول عن حديث المستشرقين عن الصديقة فاطمة الزهراءؑ هو موضع قبرها، إذ من الصعب الجزم على موضع معين كما أشارات المصادر والروايات، ولكن أقربها إلى الواقع أنها دفنت في بيتها، وعفي موضع قبرها، وأن مصادر الإمامية الصريحة في هذا المعنى.

و لكن المستشرق (دونلدسن) يجزم أنهاؑ دفنت بالبقيع، وقد دفن بالقرب منها ولدها الإمام الحسنؑ. وإن رواية دفن الزهراءؑ بالبقيع قد تضعفه بعض الروايات، وإن من الثابت تاريخياً أن الإمام الحسنؑ دفن بالبقيع، وبقرب جدته فاطمة بنت أسد، ولعل (دونلدسن) خلط بين الفاطميتين ونحتاج في الوقت الحاضر إلى دراسات علمية دقيقة للمجهود العلمي الذي بذله المستشرقون في دراسة التراث الإسلامي، والوقوف على الحالات التي تلتقي مع فكرنا الاسلامي أو المتعارضة معه.

المناظرات العلمية ودورها في تطور الفكر الاسلامي

المستشرق (دونلدسن):

الامام الصادق وتلامذته كونوا مدرسة في علم الكلام والفقه

تعد المناظرات لونا من الوان المعرفة والتعليم، وصورة من صور النقد العلمي، وكانت تعقد في المساجد والمدارس وخزائن الكتب وبيوت العلماء، ويحضرها احياناً بعض المسؤولين من رجال الدولة، وممن لهم اهتمامات بالعلم والفكر، ويبرز في هذه المناظرات البارع في العلم والمبدع في فروع المعرفة، ولذا يقال لهذا : أنه له يد بيضاء في النظر، وهذا يتطابق تماما مع اصول التربية الحديثة الذاهبة الى أن التدريس السليم لا يتحقق الا بقدر كاف من المناقشات وغرضها الوصول الى الحقيقة بكل ما يحيط بها من اسباب وعلل. ويقول ابو حيان التوحيدي في كتاب (البصائر والذخائر ١٧٥/١): ان الامام علياً عليه السلام سمع قارئا يقرأ على غَيَر وجه الصواب فساءه ذلك فتقدم الى ابي الاسود الدؤلي حتى وضع للناس اصلاً وقياساً بعد ان فتق له حاشيته ومهد له مهاده وضرب له قواعده.

و روى ابو عبد الله محمد بن محمد البغدادي العكبري المعروف بالشيخ المفيد المتوفى ٤١٣هـ: ان ابن ابي العوجاء، وابن طالوت في نفر من الزنادقة قد اجتمعوا بالمسجد الحرام، والامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كان اذ ذاك يفتي الناس، ويفسر لهم القرآن الكريم ويجيب على المسائل بالحجج والبينات. واورد الشيخ المفيد في كتابه (الارشاد) نماذج من المناظرات العلمية والفكرية، وهذا له دلالة على ان الحلقات العلمية كانت تعقد

للدرس والمناظرة والوعظ، واشارت المصادر الى هذه الحلقات في مساجد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد ودمشق والقاهرة وغيرها وما كان يدور فيها من مناظرات ومحاججات، فيروي ياقوت الحموي في كتابه (معجم الادباء ١٥٥/١): ان البويطي، وابن عبد الحكم تنازعاً الحلقة في ثناء مرض الامام الشافعي. فاخبر بذلك وهو على فراش المرض فقال: الحلقة للبويطي، واشار المستشرق (دونلدسن) الى حلقات درس الامام الصادق عليه السلام بقوله: (ان الامام الصادق وتلامذته كونوا شبه مدرسة سقراطية، وان عددا من تلامذته اسهموا اسهاما كبيرا في تقدم علمي الكلام والفقه.

وتعود اصول التعليم والتدريس على هياة حلقات الى عصر الرسالة، فقد اتخذ المسلمون دار الارقم بن ابي الارقم مركزاً للتعليم والمناظرة وقد ذكر المؤرخ الطبري في التاريخ ٣٣٥/٣ الى اجتماع المسلمين في هذه الدار ليتعلموا مبادئ الدين الاسلامي الحنيف، واستمرت بيوت العلماء تؤدي دورها العلمي في العصور العربية الاسلامية، فذكر المؤرخ ابن الجوزي في كتابة (المنتظم في تاريخ الملوك والامم ١٧٧/٧) ان محمد بن عمران المرزباني، المتوفى عام ٣٨٤هـ. يحضر في داره عدد من العلماء والدارسين. وكان عنده خمسون ما بين (لحاف ودواج) معدة لأهل العلم الذين يبيتون عنده. ونستفيد من مجالس العلم في البيوت ملامح من تطور الفكر الاسلامي وفي اداء الوظيفة التعليمية، ويقول الشيخ ابو العباس احمد بن علي النجاشي في كتابه (الرجال ص ٢٧١): ان دار ابي النظر بن مسعود

العياشي. كانت كالمسجد بين ناسخ او مقابل او قارئ او معلق مملوءة من الناس. وكان للشيخ العياشي مجلسان للدرس احدهما خاص والآخر عام.

و استخدمت دور الكتب وخزائنها للبحث والدرس والمناظرة، وكانت موئلاً للعلماء والباحثين، يتناقشون فيها مختلف العلوم، ويبحثون مختلف المواضيع، ويقصدها طلاب العلم من مسافات بعيدة في سبيل الحصول على كتاب معين، او يلتقي مع شيخ معروف، ففي عام ٣٩٩هـ . قصد الشاعر ابو العلاء المعري مدينة بغداد، واعتكف في دار العلم. وكانت هذه الدار تأتي بالاهمية بعد (دار الحكمة) التي اسسها هارون الرشيد ووسع قاعدتها المأمون، ويذهب الاستاذ (طيباوي Tibawi) الى ان منحا مالية تقدم للعلماء (Scholars) ويعدون اماكن للعيش والمسكن المجاني لطلبة العلم الذين يقصدون بغداد من الاماكن البعيدة، وكان يشرف على المؤسسات العلمية المذكورة موظفون اجراء، ويقوم بالتدريس علماء وفقهاء، وكانت مفتحة الابواب لكل من يرغب بارتيادها من طلبة العلم للدرس والمناقشة والمناظرة. وقد اشرت في رسالتي الجامعية (الشيخ الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن) الى (دار العلم) التي اسسها الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي المتوفى عام ٤٠٦هـ، وقد خصص لطلبة العلم فيها جميع ما يحتاجون اليه. وكانت دار علم ودراسة وسكن للطلاب، وهي اشبه بالمدرسة ذات الاقسام الداخلية، ويقول المستشرق (مارجليوث في رسائله Litters of Abul Ala: ان الشريف الرضي قد اتخذ بيتا خاصا يجتمع فيه الدارسون والمعجبون. وقد سعي الشريف المرتضى علي بن الحسين

الموسوي المتوفى عام ٤٣٦هـ الى تنمية الحركة العلمية الفكرية بمدينة بغداد فاوقف (قرية على كاغد الفقهاء) كما تشير الى ذلك المصادر.

و كانت له مجالس تعني بالعلم والادب، وقد جمعت بكتاب (الدرر والغرر) وهي مجالس املاها ويشتمل الكتاب على فنون من معاني الادب، وقد لازمه الكثير من طلبة العلم فاستفاد من علمه.

و كان الشريف المرتضى يجري على تلامذته رزقاً، حسب مقامه العلمي، وحتى على الطلبة من اهل الذمة، وقد ساعدت المؤسسات العلمية والتربوية على تطور التعليم ومناهجه في العصور العربية والاسلامية على مدى تاريخنا وحتى الوقت الحاضر.

الفصل الثالث

الحضارة العربية الاسلامية
في الدراسات الاستشراقية

المقدمة

أخذت الحضارة العربية والاسلامية من كتابات المستشرقين مساحة عريضة من الدراسات الاسلامية، لانها اخذت طابعاً عالمياً، وامتدت الى بلاد الغرب في مراحل عديدة من تاريخنا، وقد اختص بعض المستشرقين بدراسة التراث الاسلامي بالوانه المعرفية، او التخصص بدراسة جانب معين وقد وقفنا على هذه الدراسات وفق المحاور الآتية:

١ - الحضارة العربية الاسلامية في فلسفة توينبي للتاريخ، بحث نشر في مجلة (المؤرخون العرب) العدد ٢١ لسنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢ - المستشرقون ودراسة التراث العربي والاسلامي، بحث نشر في جريدة الزمان البغدادية، العدد (٢٠٦٦) بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢٣.

٣ - مراجعة في منجز المستشرقين الالمان، بحث نشر في جريدة الزمان، العدد (٢١١٢) بتاريخ ٢٠٠٥/٥/١٧.

٤ - الاستشراق والنموذج العربي، بحث نشر في جريدة الزمان، العدد (١٩٦٥) بتاريخ ٢٠٠٤/١١/١١.

٥ - دراسات علماء الغرب للموسيقى العربية، بحث نشر في جريدة الزمان العد (٢٠٤٩) بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢.

٦ - الحضارة العربية في الفكر الاستشراقي، بحث نشر في جريدة الزمان، العدد (٢١٠٠) بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٣.

وقد كشف بعض المستشرقين عن صور الابداع في الحضارة الاسلامية، وقد اكدت الصلات بين الشرق والغرب على هذا الجانب، وقد استوعب جماعة من المستشرقين جذور الحضارة ومعطياتها الانسانية في حالة الماهم الدقيق باصول الدين الاسلامي وفروعه، وباللغة العربية ومفرداتها. وقد تخصص بعضهم بالادب والفن والموسيقى، في حين تخصص الآخرون بالطب والكيمياء والهندسة وتخصص فريق بالفقه والتفسير والحديث والتاريخ، وهذه التخصصات وغيرها جعلت الحضارة العربية والاسلامية تحتل المقام الاوفى في الفكر الاستشراقي.

الحضارة العربية الاسلامية في فلسفة توينبي للتاريخ

كان بزوغ فجر الاسلام ايذانا" بظهور الحضارة العربية الاسلامية التي جمعت بين القيم الروحية الخلاقة وبين التوجه نحو تربية الانسان، وتطوير ظروفه المادية والاقتصادية والفكرية مما جعلها تؤثر تأثيرا "مباشراً" بما جاورها من الامم التي حملها ما وجدته في الاسلام واهله من تسامح وقيم انسانية الى الاندماج في المجتمع العربي الاسلامي والاسهام بحركته الصاعدة في شتى مجالات الحياة، فالحضارة العربية الاسلامية وهي محصلة الفكر العربي المجدد الذي تمثل في الاسلام. وفي قيمه وافكاره التي كانت بالغة للنفع والعطاء والاستلهام من قبل الامم والشعوب التي دخلت في الدولة الفتية التي صنعتها حركات التحرير العربية الاسلامية. ومبادئ الدين الاسلامي الحنيف، وكان دخول الاسلام واللغة العربية في الامم والشعوب المحررة، صحبة امتزاج العرب المسلمين فكريا وحضاريا مع السكان الاصليين. لذلك اكتسبت الحضارة العربية الاسلامية طابعها العالمي نزوعها الانساني في تجديد حضارة الانسان وتطويرها، على الرغم من التحديدات التي واجهتها لمسخ هويتها المتميزة والحيلولة دون ممارسة تاثيراتها في تغيير مصائر شعوبها، وعلى هذا النحو استطاعت الحضارة العربية الاسلامية ان توفق بين مواقفها وقضاياها العامة وبين جملة من رواسب وتناقضات الشعوب التي دخلت الاسلام بظل ما تحمله من ثقافات متخلفة عفا عليها الزمن، وكانت هذه الخصائص الاساسية التي تميزت بها الحضارة العربية

الاسلامية وراء الاهتمام الذي لقيته لدى شيخ المؤرخين ارنولدتوينبي وقد قسمته الى ثلاثة أقسام هي:-

١- الاسلام واثاره الانسانية.

٢- الحضارة العربية الاسلامية واثارها العالمية.

٣- ملامح اسلامية في فلسفة توينبي للتاريخ.

اولا: الاسلام واثاره الانسانية

تحدث أرنولد توينبي عن الاسلام ومبادئه وخصائصه وتحدث عن الرسالة الاسلامية، وقسمها الى مرحلتين هما:-

١- المرحلة الدينية الخالصة.

٢- المرحلة السياسية والدينية.

وذهب توينبي الى قوة الاسلام قد تجسدت في المرحلة الأولى. وقال: ان الرسالة الاسلامية في اصلها هو التوحيد وان المبدأ الذي حمله محمدﷺ الى اتباعه هو اسلام النفس لله، وهذا معنى كلمة الاسلام في العربية، بالاضافة الى الواجب المترتب على الاغنياء والاقوياء نحو الفقراء والضعفاء والارامل واليتامى[1]. وفي اشارته الى خصائص المرحلة الثانية ميل الى اعتبارها بداية الانحلال الروحية الاسلامية وهو يرى ان محمداًﷺ لو ظل داعيا دينيا فقط، ولم يصبح رجل سياسة، لاصبح الاسلام من الناحية الروحية اسمى مما هو

(١) توينبي: تاريخ البشرية ٨٤/٢.

عليه، وان بداية انحلال الروحية الاسلامية منذ الهجرة او بتحديد ادق منذ غزوة بدر[١]. ولا تعجب من توينبي هذا الرأي فهو كغيره من الكتاب المسيحيين الذين يرون فصل الدين عن الدولة عملا بالمقولة المأثورة (اعطوا لقيصر ما لقيصر وما لله لله) دون الرجوع الى وجهة النظر الاسلامية الداعية الى عالمية الرسالة كما ورد بقوله تعالى(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)[٢].

واذا انتقل توينبي الى دراسة المجتمع الاسلامي فانه يذهب الى القول: (ان النظام الاسلامي ديني عالمي تقوم الدولة على اساسه) ويعطي نماذج من العصور التاريخية التي مرت عليها الدولة العربية الاسلامية، فهو عند حديثه عن الدولة العباسية اشار بالقول: (ان الحكم العباسي ببغداد قد خلق نوعا من الحضارة بلغة اصيلة هي اللغة العربية بينما لم تستطع امبراطورية تيمورلنك ان تعرب عن نفسها الا من خلال الاستعانة بلغة الحضارة العربية الاسلامية أي اللغة العربية)[٣]. وهذا تأكيد على أن الاسلام بما يمتلك من خصائص ذاتية جعله يدخل في اعماق الشعوب غير العربية. وتصبح لغة القرآن الكريم هي اللغة السائدة، وان هناك مناطق عديدة من العالم كما ينص توينبي قد انتشر الاسلام فيها عن طريق الاقتناع الفعلي دينا لا عن طريق الفتح[٤]. وهذه الحقيقة قد اكدها توينبي في

(١) احمد محمود: في فلسفة التاريخ ص٢٩٦.
(٢) محي الدين اسماعيل: توينبي ص٣٩.
(٣) محي الدين اسماعيل: توينبي ص٣٩.
(٤) توينبي: تاريخ البشرية ١٨٣/٢.

كتابه(تاريخ البشرية) ومن جهة اخرى فأن توينبي قد اكد على الحرية الدينية التي وفرها الاسلام لاهل الذمة، والتسامح الكبير الذي عامل به جميع الناس فيقول:- (وكان مما اعان العرب ان القرآن نص على ان اهل الكتاب، يجب ان يكونوا موضع التسامح والحماية اذا قبلوا بالحكومة الاسلامية ودفعوا الجزية[1]. ويقول أيضاً (كان اليهود والمسيحيون في نظر الاسلام اهل الكتاب، وكان القرآن اخر ما نزل على النبيين وقد انزل قرآنا عربيا لعل الناس يعقلون، وكان محمد ينتظر من المتهودة في يثرب ان يولوه تأييدهم، وان يقفوا الى جانبه، وقد كان ما يحمله على ذلك كون التوحيد هو الحقيقة الرئيسية في الاسلام[2]).

ان نظرة الاسلام المتسامحة للشعوب المؤمنة بالديانات الاخرى هو الذي جعله يحكم السيطرة على الشاطي الافريقي المطل على المحيط الأطلسي، والممتد من بوغاز جبل طارق حتى السنغال وان الموجاب العربية الاسلامية اخذت تتدافع الى القارة السوداء والوصول الى شواطئ المحيط الهندي، وبذلك اصبح هذا المحيط بحيرة عربية لم يكن للبنادقة سبيل اليه، وبمرور الزمن تمكن المسلمون من الوصول الى اندونيسيا وانتزاعها من الهندوس والى الفلبين الذين اطلق عليهم الاسبان اسم المراكشيين لطول احتكاكهم

(١)توينبي: تاريخ البشرية ٩٠/٢.
(٢) ن.م. ٨٥/٢.

بمسيحي المغرب[1] وهذه الخارطة التي عين توينبي حدودها لدولة الاسلام، هي حقيقة تاريخية تؤكدها جميع المصادر.

ثانيا: الحضارة العربية الاسلامية وآثارها العالمية

لقد تناول أرنولد توينبي الحضارة العربية الاسلامية وفق عصورها التاريخية فيقول (ان الحضارة التي انتشرت في شمال افريقيا هي في الواقع من عمل الاسلام ودعامته العرب)[2] ويقول ايضا (انهم الذين زرعوا المدنية في المروج المنبسطة ما وراء فوليوبوليس، تلك المروج العذراء التي تركها الرومان لم يمسوها، كما ان اندفاع الحضارة العربية الاسلامية لم يقع اسير حاجز جبال الاطلس وعلى ايديهم زحفت المدينة جنوبا الى السنغال ثم تخطت ذلك جنوبا الى السودان الغربي[3] واشار الى الاثر الذي تركته الحضارة العربية الاسلامية في الحضارة الغربية فيقول: (لقد كان اثر هذا الاصطدام في المسيحية الغربية مقيدا بالجملة وان الثقافة الغربية في العصور الوسيطة تدين بالشئ الكثير الى ايبرية المسلمة[4]) وقد كانت هذه الحضارة تحديا للحضارة المسيحية الاوربية في امتدادها الى اسبانيا من جهة، ثم اجزاء من شرق اوربا من جهة اخرى، لذلك احدثت تحديات عنيفة خلال العصور الوسطى في الحضارة الاوربية لحضارة الاسلام ممثلة في الحروب

---

(١) محمد فؤاد شبل: حضارة الاسلام ص٥٦- ٥٧.

(٢) توينبي: الوحدة العربية آتية ص٢٦.

(٣) ن.م.

(٤) توينبي: بحث في التاريخ ٢٩٩/٢.

الصليبية[١]. ولذلك اعتبر هذه الحروب واسطة نقل للحضارة الغربية التي عزيت في مصدرها الى اثر امارات الصليبيين في سوريا انما جاء في الواقع من شبه جزيرة ايبرية المسلمة)[٢].

وبقي الاثر الحضاري الغربي الاسلامي في اوربا حتى بعد الانحسار السياسي للعرب، والى هذه الحقيقة يشير توينبي بالقول: ان حضارة المسلمين في ايبرية استغلها اعداؤها المنتصرون عليهم لمنفعتهم، فقد ساهم علماء اسبانيا المسلمون بدون قصد منهم في البناء الفلسفي الذي اقامه الفلاسفة المدرسيون من المسيحيين الغربيين في القرون الوسطى، وان جملة مؤلفات الفيلسوف الهيليني (أرسطو) قد جاءت الى العالم المسيحي الغربي بترجمتها للعربية[٣].

وكانت الترجمة العربية منذ عهد الخليفة المأمون قد ساهمت على نقل التراث العربي والاسلامي الى الامم والشعوب، والى نقل ما لدى هذه الامم من تراث الى العرب، ولاسيما الفكر اليوناني، فقد ترجمت عدد من المؤلفات عن السريانية وهذا يؤكد على وجود حركة فكرية كبيرة، وقراء مثقفين نشطين، وكانت مدينة بغداد مركز انطلاق لهذه الحركة، فأصبحت مدينة عالمية على نحو ما كانت عليه تشانغ -آن في الصين في مدة المئة والخمسين سنة السابقة. وتطوير اللغة العربية في المعهد الفكري في بغداد في

(١) احمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ ص٢٨٥.

(٢) توينبي: بحث في التاريخ ٢٣٩/١.

(٣) توينبي: بحث في التاريخ ٢٣٩/١.

القرن التاسع جعل منها الالة التي اصبحت اللغة الحضارية للعالم الاسلامي بكامله من حوض سيحون وجيحون الى المحيط الاطلس[١]. ولاشك ان هذا الرأي الذي ذهب اليه توينبي لم يوافقه عليه بعض المستشرقين المتعصبين في القرن التاسع عشر. الذين تعمدوا على الاستخفاف بدور العرب في بناء الحضارة الانسانية، والاصرار على الحضارة الاوربية التي لاتدين بالفضل لغير اجدادهم من اليونان والرومان[٢].

وبقيت الحضارة العربية الاسلامية راسخة لدى الشعوب التي حررها العرب المسلمون، حتى بعد ان اختطف البرتغاليون السيادة البحرية العربية في المحيط الهندي، ولكنهم لم يتمكنوا من اختطاف الاسس الحضارية. وقد وصف توينبي[٣] عملية القرصنة هذه بالقول (وضع الطوق حول رقبة الفريسة) لذلك كان العالم العربي الاسلامي قد صمد امام قوة الروس من الشمال، وقوة البرتغاليين والأسبان من الجنوب في القرنيين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، ويفسر توينبي هذا الصمود بقوة المجتمع العربي الاسلامي على سحق العدوان الصليبي والتتري خلال القرن الثالث عشر[٤].

(١) توينبي: تاريخ البشرية ١٠٧/٢.
(٢) توفيق الطويل: في تراثنا العربي الاسلامي ص٥٨.
(٣) فؤاد محمد شبل: حضارة الاسلام ص٦٠.
(٤) ن.م. ص٦٢.

وكان توينبي يؤمن بعودة السيادة العربية وتحقيق الوحدة فيقول: ان العالم العربي سيتوحد عاجلا او اجلا - وكان يعزز رأيه هذا بما يحصل عند الألمان والايطاليين من توحيد بعد تمزيق، وكيف أزيحت امامهما العقبات حتى تمت وحدتها في خلال ٥٦عاما. ويخلص الى القول: بان العرب على هذا الاساس في الوقت الكافي لكيما ينجزوا وحدتهم، ويمضي توينبي فيتساءل (اية عقبات هناك اعظم من العقبات التي قهرتها ايطاليا في القرن التاسع عشر حقيقة؟ وليس نكبة العالم العربي الحاضر اذ مكنت المقارنة على قدر من السوء يوازي نكبة ايطاليا في القرن التاسع عشر في بداية الامر. فالعالم العربي اليوم على وشك ان يتخلص تماما من آخر آثار السيطرة الأجنبية على ارجائه[1]، فهو في تفاؤل تام من امكانية تحقيق الوحدة العربية التي يستند اليها ازدهار الحضار الاسلامية.

ويكن ان نوجز ما توصل اليه أرنولد توينبي من تعيين موضع الاسلام في الحضارة العالمية بما يلي:

١- العقيدة الاسلامية، كما انبثقت في عهد الرسولﷺ وتطورت على ايدي المسلمين تحت تأثير البيئة والزمن.

٢- الدولة والمجتمع الاسلاميان، فقد وضع الرسولﷺ قواعدهما ثم استطالا في سرعة مذهلة.

٣- الحضارة الاسلامية وهي نتاج فرعي للعقيدة الاسلامية.

---

(١) توينبي: الوحدة العربية آتية ص١٧٥- ص١٧٦.

انظر: احمد سوسة تاريخ وحضارة وادي الرافدين ٣٤٦/١.

٤- البلاد الاسلامية من صراع القوى السياسية الدولية.

ويؤكد توينبي على ان الحضارة العربية الاسلامية لها قوة ابداعية لم تكن غريبة عن مجتمعه، وان اليهودية والمسيحية التطورية قد استعانتا بعناصر الثقافة السورية النابعة من المجتمع العربي لمواجهة التأثيرات الحضارية الهيلينية[١] وكان يؤكد على ان الاسلام كان وحدة الاستجابة الناجحة التي قام بها المجتمع السورياني ردا على تحدى الهيلينية[٢] فهو قد ذهب الى اصالة الحضارة العربية الاسلامية ومعطياتها للبشرية. وقد ساهمت في بناء الحضارة الانسانية فخصص في موسوعته التاريخية، وبخاصة الاجزاء السابع والثامن والتاسع، والثاني عشر فصولا لهذه الحضارة، كما افرد للاسلام كعقيدة دينية مكانا بارزا في كتابه (مدخل تاريخي للدين) ويشهد للاسلام في هذا الكتاب بان اكثر العقائد الدينية اتفاقا مع المنطق واشدها صرامة مع الايمان[٣] وافرد في الجزء الثالث ملحقا خاصا للسيرة النبوية من الجانب السياسي اذ اعتبرها عاملا من اهم العوامل وابرزها في تواريخ الحضارات[٤] ويبدو ان ما ذهب اليه توينبي في فلسفته للتاريخ ونظرته للحضارات، ولاسيما الحضارة العربية الاسلامية، لم ترق للمؤرخين الغربيين، ولذلك لم يكن توينبي محبوبا لديهم، وهذا مما جعله عرضة للانتقاد الاوربي، والازدراء اليهودي حتى ان (اتون) قد اخرجه من

(١) محي الدين السماعيل: توينبي ص٤٠.

(٢) احمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ ص٢٨٥.

(٣) فؤاد محمد شبل: حضارة الاسلام ص٤.

(٤) ن.م.ص١٩.

صفوف المؤرخين، وقال ناقدوه ان كتابه (دراسة التاريخ) هو ليس التاريخ[١]. ووصف بانه مفكر لاهوتي خرج استنتاجاته الفكرية لكثير من القيم والرؤى الروحية[٢]. وهذا لاشك ناتج عن تعصب مقيت الفكر هذا المؤرخ الكبير الذي تميز فكره بالعمق ورحابة الافق والفهم الدقيق لمجرى الاحداث فيما لو درسناه دراسة علمية بعيدة عن الاهواء والميول. وقد اشار الاستاذ طه باقر في مقدمته لكتاب (بحث في التاريخ)[٣]. ولكن في الوقت نفسه نكير فيه موضوعيته لكثير من احداث التاريخ العربي الاسلامي فهو عند حديثه عن العصر العباسي الثاني، وما تخللته من كيانات سياسية، فانه لم يفضل الدور الحضاري لهذه الكيانات بوجود العدد الكبير من العلماء والمفكرين ومساهمات رسائل اخوان الصفا، والجامع الازهر في الفكر والحضارة فيقول ((فمن النظرة العامة كان تمزق الامبراطورية العباسية سياسيا ذا فائدة للأدب والفن فتعدد البلاطات المحلية زاد عدد الذين يرعون هذه الامور. فاللغة العربية بقيت لغة الدولة الاسلامية للشؤون الادارية، كما انها استمرت لغةالشعر، حتى انه اخذت كل محل اللغات الاخرى لتصبح لغة التخاطب)) وكان ايسر على اللغة العربية ان تحل مع الزمن محل اختها السامية اللغة السريانية التي كانت لغة التخاطب)[٤] في الريف في الهلال الخصيب ايام الفتح العربي، وانتشرت

(١) الحكيم محمد سعيد: توينبي المؤرخ ص٧٨- ص٧٩.
(٢) عماد الدين خليل: التفسير الاسلامي ص١٥.
(٣) طه باقر: مقدمة (بحث في التاريخ) ص م.
(٤) توينبي: تاريخ البشرية ٢/ ١٣٨.

العربية تدريجيا على حساب اللغة القبطية في مصر وبسرعة اكبر في شمال غرب افريقيا على حساب بعض اللهجات البربرية(١).

وعلى الرغم من الصراعات الداخلية والاخطار الخارجية المحيطة بالدولة العربية الاسلامية، كانت حدود الاسلام تتسع بشكل كبير في الوقت الذي كانت الدولة الاسلامية الواحدة تتمزق، ومن الناحية النظرية فان الدول الواحدة اطار ضروري للدين.

الا ان هذه النظرية قد أبطلتها التجربة إذا أثبتت هذه ان الاسلام بقي وانتشر دون ان تسنده الحكومة الواحدة(٢).

وقد اكد توينبي على بقاء الاسلام على الرغم من التمزق السياسي، وتعرض البلاد لهجمات المغول من جهة، والصليبيين من جهة اخرى، وعتبر الفتوة واحدة من المنظمات العربية الاسلامية الجديدة التي مكنت الاسلام من الصمود امام الفتح المغولي(٣).

ثالثا: ملامح اسلامية في فلسفة توينبي للتاريخ

يستند أرنولد توينبي في فلسفته للتاريخ على نظرية التحدي والاستجابة في انهيار الحضارات وبقائها، فان استمرار التحدي وتكراره على حضارة من الحضارات ينتهي بغزو عميق لتلك الحضارة اذا ما اخفقت في خلق استجابات تطرحها ازاء تلك الحضارات واما اذا استطاعت تلك الحضارة

---

(١) توينبي: تاريخ البشرية ٢/١٠٧-١٠٨.

(٢) ن.م ١/١٤١.

(٣) ن.م ٢/١٥٨.

ان تجيب على التحدي، فان الحضارة تصنع ذاتها في طريق صاعد يحقق لها اوجاً جديداً في طريق التقدم الحضاري وكذلك سلسلة التحديات المتكررة دون ان تحقق استجابات إزاءها هي في الحقيقة مصدر سلسلة الفواجع الحضارية التي شهدتها الانسانية في تاريخها الطويل، ويؤكد توينبي على عامل اساسي في اعتبار الحضارات هو عامل الانشطارات التي تحصل في جسد المجتمع، وهناك نوعان من الانشطارات، اولهما: الانشطارات العمودية بين الجماعات البشرية المنسجمة من الناحية الجغرافية، وثانيهما الانشطارات الافقية بين المجتمعات البشرية الممتزجة جغرافيا، ولكن المنعزلة عن بعضها البعض من الناحية الاجتماعية[1]. من هذا المفهوم يتابع توينبي الحضارات الانسانية ويرصد انهياراتها وفق نظريته، حتى اذا ما وصل الى الحضارة الغربية أحس بوقوع الفاجعة لها، ودعا الى ضرورة انقاذها وذلك بالتضرع الى القوة الإلهية والعودة الى الدين، وكان رأيه هذا ناتجا عن تعديل لنظريته، اذ انه كان يرى ان الدين امر ثانوي وموصل حضاري ينقل جذوة الحضارة وبذلك يبقيها حية[2]. لذلك كان قد حذر تحذيرا صادقا نابعا عن مسؤولية انسانية عميقة من ان هناك ما تزال في عالم اليوم ارادة مدمرة هي (ارادة الحرب). التي ستجعل العالم باسره، تحت سطوة قوة لا ترحم هي سطوة القنبلة الذرية واسلحة الفناء الجماعي، وان التطورات العلمية والتكنولوجية التي حققتها الحضارة الغربية المعاصرة وقد تكون

---

(١) محي الدين اسماعيل: توينبي ص٧٠.

(٢) محمود زايد: سيرة الفكر التاريخي ص٧٤.

وهماً يؤرق الانسان وتنظيمه العالمي وقواه المبدعه ان لم تكن قوة قاهرة ستبلع الانسان بجميع قضاياه التي يدافع عنها اليوم[١].

واذا امعنا النظر في نظرية توينبي الدورية للحضارات الانسانية والمراحل التي مرت بها من عصر التطور الى عصر الانهيار والانحلال، نجد صورة هذه النظرية في القرآن الكريم (لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)[٢]. فيقول الامام الباقر عليه السلام (يريد بذلك عذابا ينزل من السماء)[٣] وقوله تعالى (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس)[٤] فالقرآن الكريم في هاتين الآيتين أشار الى دور الحضارات بدءاً من الميلاد وانتهاءاً بالوفاة، وهذه الحقيقة التاريخية كانت أصيلة في بابها قبل ان يتنبه اليها توينبي وغيره من فلاسفة التاريخ، وقد ذهب المفسرون الى معنى (نداولها) الواردة في الآية الكريمة الى (تدارك القوم الشيء اذا صار من بعضهم الى بعض، أي انه مرة لجماعة ومرة عليها)[٥] فالقرآن الكريم رسم لنا حقيقة التعاقب الحضاري، ليكون موضع اعتبار قال تعالى (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا

(١)محمود زايد: سيرة الفكر التاريخي ص٨٥.

(٢) يونس: ٤٩.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان ٥/١١٤.

(٤) آل عمران ١٤٠.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان ٢/٥٠٨-٥٠٩.

أنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[١] فالآية الكريمة تشير الى ان الماضي بكل ما فيه من نور مشرق، وآلام مبرحة يتكرر متخذا ثوب المستقبل[٢]. وان الذين أقاموا حضارة في الارض ثم تركوها وصاروا الى القبور والى الهلاك والثبور[٣].

وقد أوجز القرآن الكريم حياة الجماعات البشرية باعتبارها كائنات عضوية بقوله تعالى (ولكل امة اجل)[٤] ومعنى الآية الكريمة (الكل جماعة واهل عصر وقت لاتسئصالهم) ويقول الجبائي المراد بالاجل هنا اجل العمر الذي هو مدة الحياة، وهذا اقوى لانه يعم جميع الامم[٥] فابن خلدون يقول احوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الاخر لان الخلق شايع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعدو في الغالب خمسة اطوار ويكون الطور الخامس هو (طور الهرم) اذ يستولي على الدولة المرض المزمن الذي لاتكاد تخلص منه ولا يكون لها معه برء الى ان تنقرض)[٦]. وهكذا يبرز لنا التراث العربي الاسلامي بوضوح مسألة توالي الحضارات وليس الامر مجرد اشارة ولذلك نجد لهذه المسالة الهامة في التاريخ صدى في فكر أرنولد توينبي ومن يذهب اليه في نشأة الحضارات وسقوطها فيقول ان حركة الدولاب دون ريب حركة اعادة وتكرار بالنسبة

---

(١) الروم: ٩.

(٢) عبد الحميد صديقي: تفسير التاريخ ص١٤١.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان ٢٨٧/٨.

(٤) الاعراف: ٣٤.

(٥) الطبرسي: مجمع البيان ٤١٤/٤-٤١٥.

(٦) ابن خلدون: المقدمة ص١٧٥-١٧٦.

الى جزع الدولاب -المحور الذي يدور عليه الدولاب نفسه- ولكن الدولاب نفسه لم يصنع ويركب جزعه الا لاجل ان تستطيع العربة ان تتحرك بواسطته، وهو ليس من العربة غير جزء، اما ان العربة التي هي علة وجود هذا الدولاب لا تستطيع ان تتحرك الا بفضل حركة الدولاب الدائرية حول جزعه فها لا يرغم العربة نفسها على ان تسير كدوران الاطفال في طريق دائري[1] ونفهم من هذا النص الذي أورده توينبي أن الإنسانية ومصيرها المتكرر المعاد تسير وفق حركة الدولاب، ولا دولاب نشاطها لا يدور الا حول جزع طبيعتها، وعندما تندفع العربة الى الامام فان الجزع نادرا ما يتحرك الى الامام أيضا، ولكن قد غاب عن ذهن توينبي ان التغيير لا يقع الا بعد ان تغير دواخل الناس او الامم كما ورد في قوله تعالى (ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)[2] والى هذا المعنى نشير الى قول الامام علي ﷺ (إذا امتلت عينهم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر)[3].

واذا انتقلنا الى البعد الاجتماعي لنظرية توينبي والتي يرى فيها المجتمع نظاماً لكائنات البشرية. او يرى في الفرد كائنا اجتماعيا لكن المجتمع مجرد وسط او ميدان للفعل الفردي وبالتالي تصبح افعال الافراد هي الثقل في عملية الحراك الاجتماعي، فهو في ذلك اخذ بنظرية البطل في التاريخ،

---

(١) Aronl Toynbee: Astudy of history by. Somevel p.٤٥٣.

(٢) الرعد: ١١.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان ٤/٢٨١.

ولكنه اشرك مع البطل في عملية التغيير الاجتماعي صفوة من الناس او أقلية مبدعة، وتتالف الاقلية المبدعة من الافراد القلائل الذين يستطيعون ان يجابهوا التحدي الذي يواجهه المجتمع[١]. وكان في ذلك قد تأثر بتاريخ الأنبياء وحواريهم كما في المسيحية والاسلام، ولكن لما كان هؤلاء في درجة ادنى حيث لا ترتقى طبيعتهم الى طبيعة الابطال، ويبقى للبطل التأثير الفعال ويصب العامل الحاسم في التحولات التاريخية[٢] ومن المحتمل ان هذا الرأي الذي ذهب اليه توينبي هذا استعارة من المؤرخ ابن خلدون في حديثه عن النبوة والأنبياء فيقول (ان يكون للنفس استعداد للانسلاخ من البشرية الى الملكية ليصير بالفعل من نفس الملائكة وقتا من الاوقات في لمحة من اللمحات وذلك بعد ان تكمل ذاتها الروحانية بالفعل ويكون لها اتصال بالافق الذي بعدها شان الموجودات المرتبة)[٣] ولذلك نرى توينبي في كتابه (دراسة التاريخ) يثني على ابن خلدون ويعتبر كتابه من اهم المؤلفات من نوعه لم يؤلفه احد في أي زمان ومكان[٤].

ويقول أيضا (انه لم يستلهم أحدا من السابقين ولا يدانيه احد من معاصريه بل لم يثر قبس الالهام لدى تابعيه مع انه في مقدمته للتاريخ العالمي قد تصور وصاغ فلسفة للتاريخ تعد بلاشك اعظم عمل من نوعه)[٥]

(١) كولنويلسون: سقوط الحضارة ص١٥٠.
(٢) محي الدين السماعيل: البطل التاريخي ص١٦٥.
(٣) ابن خلدون: المقدمة ص٩٦.
(٤) الحكيم محمد سعيد: توينبي المؤرخ ص٧٧.
(٥) احمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ ص١٣٤.

ولم يكن توينبي وحده قد اخذ بنظرية الدور في الحضارة فا الفيلسوف الألماني إوز والد شبنجلر قد سبقه إليها، وكلاهما قد تأثر على ما يبدو بابن خلدون الذي كان يرى ان الحضارات تأخذ في الدعة والراحة ثم تنغمس في الملذات والشهوات ثم تميل الى الرضا والترف فتأخذ بمبادئ العطب وتتضعضع أحوال وتنزل بها أمراض مزمنة من الهرم إلى أن يقضى عليها[١].

(١) احمد سوسة: تاريخ حضارة وادي الرافدين ١/٣٤٦.

المستشرقون ودراسة التراث العربي الاسلامي

تناول المستشرقون جميع ادبيات المشرق وعلومه، من حضارة وفكر وادب وفن وعقائد، كما تناولوا الشعوب والاجناس والمذاهب والفرق، وأشار إلى ذلك المستشرق الألماني "البرت ديتريش" استاذ الدراسات الاسلامية في جامعة "جوتنجن" بقوله: ان المستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأنى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق، وقد أصاب الاستاذ البرت ديتريش الحقيقة، إذ ان بعض المستشرقين لم يتقنوا اللغة العربية وعقائد المسلمين، وان درسوا حضارة الشرق واديانه، وقد شجعت الحروب الصليبية على تطلع الغرب الى حضارة العالم الاسلامي، وما تبعها من استعمار وهيمنة على اقتصادبات وثروات المنطقة، وقد صاحب الاستعمار الغربي عدد من العلماء والمفكرين، فتعمق بعضهم بدراسة القرآن كريم والفكر الاسلامي والتاريخ واللغة العربية بروح اقرب إلى الواقعية، في حين ان البعض الاخر انحرف عن جادة الصواب، وأصبح التعصب المقيت طريقا لهؤلاء، انطلاقاً من بواعث تبشيرية أو سلوكية استعمارية، ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه ما يقال عن الاسلام كتب عن الاسلام في الغرب اناس يتشيعون له بمقدار ثورته على سلطة الدين في بلادهم، فهم يتطلبون محاسنه، ويقابلون بها مساوئ السلطة التي يثورون عليها، ولا يندر فيهم من ينصف الاسلام، ويهتدي إلى محاسنه السمحة، وان لم يدن به ولم يكن على دين غيره. وفي الحقيقة التي نذهب اليها، استناداً لمدونات المستشرقين

وما فيها من تناقض، وقفنا على اهداف المستشرقين واهدافهم على النحو الآتي:

طلاب الحقيقة والمعرفة

سار فريق من المستشرقين في طريق العلم والكشف عن الحقائق العلمية، من غير ان يكون الدين او الجنس حائلاً دون ابراز الحقيقة فكان الحياد منهجاً في الكتابة، فتناول هؤلاء التاريخ الاسلامي والحضارة والنظم والعقائد، فعالجوا النصوص معالجة علمية وقد تكون نسبتهم قليلة اذا ما قورنت بالآخرين من المستشرقين من اصحاب الدراسات الحاقدة، فيقول الاستاذ العقاد: "ان العلماء المتجردين للبحث العلمي عندهم بتحررون جهدهم من الاهواء النفسية التي تحول بين الباحث وتقرير ما يراه كما يراه، ومنهم من يقرر مذهباً له فلا يفرق بين المشاهدات التي تؤيد مذهبه والمشاهدات التي تنقضه أو تشكك فيه او تذره معلقا بين النقض والتأييد، فينتهي الى ترجيح مذهبه ثم يتبع الترجيح لقوله ان المذهب حتى الآن ثابت لولا ما يرد عليه من هذه المشاهدة أو تلك في جملة المشاهدات.

جماعة التعصب

لقد مال فريق من المستشرقين نحو التعصب المقيت للغرب وحاولوا تجريد الاسلام من مفاهيمه الاصيلة، والحضارة العربية والاسلامية من الابداع، وحاول هذا الفريق ابراز جوانب اقتباس العرب والمسلمين من الامم والشعوب ذات الاصول الحضارية والفكرية القديمة كالهنود والفرس واليونان والرومان، وقد اندفع هؤلاء الى التفريق بين العقلية السامية وبين

العقلية الارية، فقد ذكر المستشرق الفرنسي "ريناند" في كتابه "قواعد اللغات السامية المقارنة" بقوله: ان من صفات الامم السامية الضعف والاخفاق في كل شيء، ويتخذ عقيدة التوحيد دليلاً على ذلك، فيزعم ان ظهور عقيدة التوحيد عند هذه الامم في العصور القديمة دليل على ان خيالهم ضئيل ذو لون واحد بخلاف الامم الوثنية، فان خيالها واسع قوي. وقد حاول المستشرق "رينالد" وغيره من المستشرقين انكار فضل العرب على الحضارة الانسانية، وقولهم ان العرب لا يمكن لهم ان يكونوا مبدعين في ما يأتون به من فكر، ويحققونه من انجاز حضاري، ولا ينبغي لهم ذلك، وان الذهنية او العقلية العربية، -على ما يخرصون- ذات طبيعة تحليلية لا تقوى على الخلق الذي هو خاصية العقلية التركيبية، وقصارى ما يمكن ان تأتي به هذه العقلية التحليلية هو الملاحظة الدقيقة والرصد الجزئي للوقائع والاحداث.

جماعة المبشرين

لقد جند فريق من المستشرقين انفسهم لخدمة التبشير بالدين المسيحي، وهناك من جمع بين التبشير الديني وخدمة المستعمر فقد جعل هذا الفريق من كتاباته سهاماً لطعن الاسلام، فجاءت مشوهة للقرآن الكريم والدين الاسلامي، وتعرضوا للرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام، فيقول الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "مطلع النور او طلائع البعثة المحمدية": ان هذه الجماعة من المستشرقين تقرن سوء الفهم بسوء النية لانهم يخدمون سياسة المستعمرين، أو سياسة المبشرين المحترفين أو ينظرون في بحوثهم نظرة الغربي الذي نظر إلى الشرقي نظرة المتعالي عليه في حاضره وماضيه، غير

انهم ما عدا القليل منهم مجدودون سطحيون يحومون حول المسائل الحسية ولا يتوسعون في النظر أو يتعمقون وراء الظواهر التي يلمسها شاهد الحس لمسأ فلا تخرج عنده من حدود ما يثبته أو ينفيه من وقائع العيان والسماع. وان ما ذكره الاستاذ العقاد هو حقيقة واقعة كما تشير النصوص الى ذلك، اذ نهج هؤلاء سياسة "فرقد تسد" في محاولة السيطرة على الاقطار الضعيفة عسكرياً، واشعال نار الفتنة بين المذاهب والطوائف.

جماعة الملحدين

تصدى الملحدون والماديون من المستشرقين للعقائد الدينية والروحية وخامر بعضهم الشك في عقائدهم التي ولدوا عليها، فأخذوا يدعون الى هدم المجتمعات القائمة على أسس دينية، مستهزئين بالقضايا الروحية والغيبية، وقد عدوا الاديان عقبة في طريق التقدم والحضارة والمدنية، ولذا وجهوا سهاماً للاسلام والقرآن الكريم وللرسول الاعظم عليه افضل الصلاة والسلام ملتمسين نصوص الضعف والوضع في التراث العربي والاسلامي لتكون ذريعة لتعزيز ارائهم:

وإذا كنا طلاب علم وحقيقة، فما علينا الا افراز الاهداف التي تبناها المستشرقون، دون اعطاء صفة التعميم في السلب والايجاب.

مراجعة في منجز المستشرقين الألمان

توزعت جهود المستشرقين الألمان على ثلاثة محاور، احدها في دراسة التاريخ الاسلامي. اضافة الى جهودهم في حقول الفلسفة والاديان وتحقيق المخطوطات واعداد الفهارس، فكان المستشرق الالماني "كارل بروكلمان" في مقدمة المستشرقين الالمان حيث كتب "تاريخ الادب العربي والاسلامي" وقد تتبع العصور التاريخية في دراسته القيمة في كتابه هذا اما كتابه الآخر "تاريخ الشعوب الاسلامية" الذي اخرجه عام١٩٣٩م وقد افاد بروكلمان من ما كتبه "وستنفلد"

f.wuesten feld, die geschich+chreiber

der Araber undihre werk, goeitingen

ويتضمن كتابه مجلدين نشرهما في برلين بين ١٨٩٨-١٩٠٢م ثم ذيلهما بملحق من ثلاثة مجلدات نشرها بين ١٩٣٧-١٩٤٢م، وقد جمع الاستاذ "مرجليوث" في كتابه "دراسات عن المؤرخين العرب": ان المستعرب الالماني "وستنفلد wusten Feld" قام باعداد مجموعة من المؤرخين الغرب الذين عاشوا في السنوات الالف الاولى للإسلام، فبلغ العدد (٥٩٠) ومن المرجح ان كثيرين قد افلتوا منه، ولو تنبه اليهم لزاد العدد كثيرا، وكثير من اثار هؤلاء المؤرخين ضخم وقد طبع في "غوتنجن" عام ١٨٦٠م في مجلدين، وقد ضبطها وستنفلد بالشكل اللازم، والحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس وقد تصدرته ترجمة محمد بن اسحاق المتوفى عام ١٥١هـ صاحب السيرة النبوية، والتي هذبها ابن هشام وحذف الكثير من نصوصها وترجم

السيرة التي كتبها ابن هشام المستشرق الالماني "وايل" الى اللغة الالمانية، ونشرت الترجمة في مدينة شتوتكارت عام ١٨٦٤م.

و قد أشاد الاستاذ الذكتور ريجيس بلاشير في كتابه "تاريخ الادب العربي" الذي ترجمه الدكتور ابراهيم كيلاني بجهود المستشرق الالماني "بروكلمان" وبخاصة كتابه "تاريخ الادب العربي" بقوله: ويسرني ان أشيد بعظمة هذا العمل، ثمرة الدأب المتواصل، الذي وسع - أحسن من أي كتاب آخر - آفاق معلوماتنا عن الاداب العربية، هذا مع العلم اننا سنخالف بصورة منتظمة في نواح كثيرة من بحثنا، النظرات الواردة في كتاب "بروكلمان".

و يمكننا الاشادة بجهود الاستاذ "آدم متز Adam MeTZ" استاذ اللغات الشرقية بجامعة "بازل" بسويسرا، بكتابه الشهير الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام Die Renaissance des Islams والذي ترجمه الاستاذ الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة، استاذ التاريخ بكلية الآداب/ جامعة القاهرة وقد أشار إلى أهميته في مقدمة الكتاب بقوله: ليس في كتب المستشرقين على كثرة تآليفهم الا كتب قليلة جداً تبحث في الحضارة الاسلامية مثل الكتاب القيم الذي الفه فون كريمر وقد جاء الكتاب بعنوان:

Culturges chichte des Orients Unter den Chalifen, Wien ١٨٧٥.

و على هذا النحو كتب الاستاذ آدم متز كتابه "الحضارة الاسلامية" وقد نشر الكتاب على شكل فصول في مجلة الثقافة الاسلامية

Islamic Culture التي كانت تصدر في مدينة حيدر آباد بالهند، باللغة الانكليزية، وقام بترجمتها من الالمانية إلى الانكليزية الاستاذ خدا بخش، وقد وقف الاستاذ محمد عبد الهادي ابو ريدة على هذه الترجمة فأشار إليها بالقول: فأعجبني منها دقة البحث وحسن الاستقصاء والاعتماد على المصادر الكثيرة المتنوعة اعتماداً يدعو إلى الدهش. ويستخرج العجب. من الصبر على البحث، والدأب في العثور على مادة الموضوع وقد أحاط الاستاذ "آدم متز" بالحضارة الاسلامية من جميع نواحيها، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وكشف في كتابه عن جوانب غامضة وأخذ في معالجتها بصبر وأناة، ومع ما تحيط بالكتاب من أهمية علمية الا انه لم يخل من مؤاخذات ومنها الاكتفاء بنص معين دون الرجوع إلى بقية النصوص لكي يوازن بينها، ومن المحتمل أن المنية عاجلته دون أن يتمكن من مراجعته عند الطبع، لان الكتاب قد طبع على الآلة الكاتبة، وبعد وفاته نشره الاستاذ "ريكندورف Reckendorf" عام ١٩٢٢م، وقد ترجمه إلى اللغة الاسبانية الاساذ "سلفادور فيلا Salvador Vila عام ١٩٣٦م، وترجمه إلى اللغة الانكليزية الاستاذ صلاح الدين خدا بخش - الاستاذ بجامعة كلكتا - ولكنه توفي قبل ان يتم الترجمة، فأتمها الاستاذ "مرجليوث" - الاستاذ بجامعة أكسفورد، ونشره كاملاً عام ١٩٣٦م. وكان كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرقة الالمانية "زيغريد هونكه Dr. Sigrid Hunke من الكتب المهمة في الحضارة العربية والاسلامية، وقد أرادت المؤلفة ابراز دور العرب في بناء الحضارة الانسانية بقولها

"صممت على كتابة هذا المؤلف، وأردت أن أكرم العبقرية العربية وأن أتيح لمواطني فرصة العود إلى تكريمها، كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم الذي حرمهم من سماعه طويلاً تعصب ديني أعمى أو جهل أحمق"، وكانت الأستاذة "زيغريد هونكه" قد حصلت على شهادة الدكتوراه من جامعة برلين باطروحتها "اثر الادب العربي في الآداب الاوربية"، وفي عام ١٩٥٥ صدر كتابها "الرجل والمرأة"، وهو كتاب تاريخي أكدت فيه فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة، والحضارة الانسانية عامة، وقد كتبت بحوثاً ومقالات نشرتها في الصحف الاوربية تتسم بالموضوعية، أما كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب" فانه يعد من الكتب العلمية الموضوعية، واود الاشارة إلى أن الدكتورة زيغريد هونكه قد أحبت العرب ووقفت إلى جانب قضاياهم، وأن زوجها المستشرق الالماني الدكتور "شولتزا" قد عرف بصداقته للعرب، وتعمقه في دراسة آدابهم والاطلاع على آثارهم ومآثرهم، ومما يؤيد ما ذهبنا اليه ما ذكرته الدكتورة زيغريد في سياق الحديث عن الاغريق، اعترف الاوربيون بدور العرب في التاريخ حين قالوا: ان العرب قد نقلوا كنوز القدامى إلى بلاد الغرب".

و كانت السيدة الالمانية الدكتورة "الس ليختنستادتر" قد الفت كتاب "الاسلام والعصر الحديث Lslam and the Modren Age" وقد درست المؤلفة العلوم العربية والاسلامية في جامعة "فرانكفورت" ثم في جامعة لندن، وقد اقامت زهاء ثلاثين سنة بين بلاد الشرق الادنى والشرق الاوسط، وزارت ايران وباكستان، ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد في

كتابه "ما يقال عن الاسلام: أن الدكتورة الس ليختنستادتر عنيت عناية خاصة بالمقابلة بين مذاهب السنة ومذاهب الشيعة ودعوات الاجتهاد والتجديد، كما استطاعت أن تفهمها أو تتلقاها من مصادرها التي عرفتها اثناء اقامتها بالمدن الاسلامية. وقام بعض المستشرقين الامان بزيارة الشرق والعالم الاسلامي والاطلاع على حضارته.

من أمثال "مونك S. Munk المتوفى عام ١٨٦٧م، وقد تصدى لدراسة فلاسفة الاسلام كابن رشد والغزالي وابن سينا، ومنح ابن باجة والفارابي الكثير من اهتماماته العلمية. وتصدى المستشرق الالماني الدكتور "بيتر باخمان" مدير المعهد الالماني للدراسات الشرقية في لبنان لدراسة أبي الطيب المتنبي. وقام المستشرق "نولدكه" بترجمة تاريخ الساسانيين من تاريخ الطبري إلى اللغة الالمانية، وكانت جامعة "جوتنجن" من ابرز الجامعات الألمانية في التخصصات الاسلامية واللغة العربية فبرز فيها المستشرق "البرث ديتريش" استاذ الدراسات الاسلامية. واهتم الفيلسوف الاماني "رانكة باللغتين العربية واللاتينية وإذا ذهبنا إلى أبعد من هؤلاء نجد العالم الالماني كريستمان" في عام ١٦١٣م، قام بتدريس اللغة العربية في المانيا، وبعد: فأني اوجه دعوة مخلصة لطلاب الدراسات العليا لدراسة المستشرقين الالمان.

جهود المستشرقين الالمان
في حقل الدراسات الاسلامية

تناول المستشرقون التراث العربي والاسلامي بالدراسة والتحقيق ، وان اختلفت اغراضهم ونياتهم وارتباطاتهم الدينية والسياسية ، ولكن من الثابت ان المستشرقين الالمان قد فاقوا الآخرين من الاوربيين في دراسة التراث العربي والاسلامي ، وحققوا امهات الكتب التاريخية والادبية والفلسفية وجمعوا المخطوطات وحققوها ، ووضعوا الفهارس لتسهيل مهمة الباحثين. وكان المستشرق الالماني "فردناند ، وستنفلد F.Wuestenfled" قد اصدر بحثاً في مؤرخي العرب عام ١٨٨٢م ، جمع فيه نحواً من (٥٩٠ مؤرخاً) وضمنه مصنفاتهم في القرون العشرة الاولى بعد الهجرة النبوية الشريفة "Die Geschichtchreiber der Araber" "undihre werke, Goeitingen , ١٨٨٢" ويقول الاستاذ "مارجليوث" في كتابه "دراسات عن المؤرخين العرب" انه من المرجح ان كثيرين قد اخذوا من "وستنفلد" ولو تنبه اليهم لزاد العدد كثيراً ، وكثير من آثار هؤلاء المؤرخين ضخم الحجم ، وكانت السيرة النبوية التي كتبها ابن هشام قد طبعت مراراً ، ولكن اضبطها طبعة غوتجن عام ١٨٦٠م بعناية الاستاذ وستنفلد ، فكانت مضبوطة ومتقنة ، وتقع في جزئين ، وقد ألحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس ، وقد صدره بترجمة عن صاحب السيرة الاول محمد بن اسحاق ، وترجم السيرة المستشرق الالماني "وايل" الى اللغة الالمانية ، ونشرت في "ستتجارت" عام ١٨٦٤م. ويعد المستشرق

الالماني "مونك S.Munk" المتوفى عام ١٨٦٧م في طليعة المستشرقين الالمان في القرن التاسع عشر ، وكان قد درس على الاستاذ "دي ساسي" المستشرق الفرنسي المعروف وقد اطلع الاستاذ مونك على حضارة الشرق وأتقن بعض اللغات الاوربية والشرقية ، وقام بإحياء كتاب "البيروني" عن تاريخ الهند ، وركز جهوده على دراسة الفلاسفة المسلمين كإبن باجة ، وابن طفيل ، وابن رشد ، والغزالي ، وابن سينا ، والفارابي الذي منحه الكثير من اهتماماته العلمية.

وتصدى الكثير من الالمان لتحقيق وطبع أمهات الكتب العربية ، فقد تصدى "فلوجل" عام ١٨٧١م لطبع كتاب "الفهرست لابن النديم" في ليدن. وطبعت الفهارس وشروح الكتاب باللغة الالمانية ، ونشر المستشرق "مولر" كتاب "الاكليل" لابي محمد الحسن بن احمد الهمداني المعروف بابن الحائك، مع ترجمة باللغة الالمانية ، وتعاليق على الكتاب وذلك في عام ١٨٨٤م ، وعثر المستشرق "امعلوارت" على كتاب "انساب الاشراف" للبلاذري ، في مكتبة شيفر ، وكان الجزء الحادي عشر من كتاب في التاريخ ليس عليه اسم ، فرجح انه من اجزاء كتاب البلاذري ، اما كتاب "البلدان" للبلاذري ايضا فإنه طبع في ليدن عام ١٨٧٠م بعناية المستشرق دي غويه ، واستخرج "الدكتور كيلر" الجزء السادس من تاريخ بغداد لابن طيفور ، من خزائن مخطوطات لندن وطبعه على الحجر في ليبسك عام ١٩٠٨م ، وعلق عليه مع ترجمة باللغة الالمانية.

وتخصص بعض المستشرقين الالمان بتاريخ اليمن وشبه جزيرة العرب فكتب بعضهم دراسات وبحوث ، وتصدى آخرون للآثار القديمة ، فتمكن المستشرق "ادوردجلاس" عام ١٨٨٠م من استخراج نقوش سبأ. وتمكن العالم اللغوي الالماني الدكتور مكسمليان بثنر Bethner من رسم اللهجتين الشحرية والمهرية اليمنيتين بالكتابة ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "الاسلام في القرن العشرين": ويلوح لي على قربة اللهجتين الشحرية والمهرية من احدى اللغات الهندية حيث تدل بعض الروايات على هجرة سابقة من الهند الى ظفار ، ولا تزال ثمة عادات قريبة من عادات الهنود. واشار المستشرق الالماني الدكتور "فشر" الى اهمية اللغة العربية بقوله: "لا اعرف لغة اغنى من العربية ولا أسلس قياداً ولا ارق حاشية". ويبدو ان الالمان قد سبقوا غيرهم من الاوربيين الى دراسة اللغة العربية وتدريسها في معاهد المانيا ، ففي عام ١٦١٣م قام العالم الالماني "كريستمان" بتدريس اللغة العربية في المانيا ، واعد حروفاً عربية صنعها من الخشب بنفسه عام ١٥٨٥م ، ويقول الفيلسوف الالماني "رانكة" ان الثقافة الانسانية تعتمد على كفتين كلاسيكيتين هما : العربية واللاتينية وبينما اشتقت اللغات الغربية من اللاتينية ، فقد نفشت اللغة العربية في الشرق روحاً فنية ، ولا يمكن فهم المصنفات الادبية الفارسية او التركية بدون العودة الى الكلمات العربية ، وخاصة ان وحي القرآن الكريم الذي لا يجارى ، يعد بلا مراء اساس العقيدة الانسانية والثقافة البشرية. وكان المستشرق الدكتور بيتر باخمان -

مدير المعهد الالماني للدراسات الشرقية في لبنان قد انصرف الى معرفة اسرار شخصية الشاعر الكبير ابي الطيب المتنبي.

واطلق المستشرق الالماني "اوغست لدوك فون شلوتزر" لفظة "سامي" في العصر الحديث عام ١٧٨١هـ ، وقد شاركه في رأيه العالم الالماني "يوهن كونرا يشهورن" وقد اعتمد في ذلك على تقارب لغات المجموعة البشرية.

وكتب بعض الالمان في الحضارة والتاريخ والعلوم الاسلامية ، فألف "نولدكه Th.Noldeke" في القرآن الكريم وتاريخه ، وكان المستشرق الالماني "البرت ديتريش" استاذ الدراسات الاسلامية في جامعة "جوتنجن"، وتخصصت الدكتورة "السن ليختستادتر" في الدراسات الاسلامية ، فدرست في جامعة فرانكفورت وجامعة لندن ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "ما يقال عن الاسلام" انها اقامت زهاء ثلاثين سنة بين بلاد الشرق الادنى والشرق الاوسط وزارت ايران والباكستان ، وعنيت عناية خاصة بالمقابلة بين مذاهب السنة ومذاهب الشيعة ودعوات الاجتهاد والتجديد ، كما استطاعت ان تفهمها او تتلقاها في مصادرها التي عرفتها اثناء اقامتها بالمدن الاسلامية ، فألفت كتاب "الاسلام والعصر الحديث :

Islam and the modern Age"

وكانت كتابات المؤرخين الالمان قد امتازت بالحياد والموضوعية وبخاصة في كتابات المؤرخين وهم :

١. الدكتورة زيغريد هونكة.

٢. كارل بروكلمان.

٣. ادم متز.

كانت المستشرقة الالمانية الدكتور زيغريد هونكة ، صادقة في بحثها "شمس العرب تسطع على الغرب" فقد تعمقت في الحضارة والفكر العربي والاسلامي ، واطلعت على الآثار الاسلامية ، وقد حصلت على شهادة الدكتوراه من جامعة برلين باطروحتها "اثر الادب العربي في الاداب الاوربية" وكان كتابها الذائع الصيت "شمس العرب تسطع على الغرب" هو ثمرة جهد طويل دام سنين عديدة من الدراسات العميقة.

وكتب المستشرق "كارل بروكلمان" تاريخ الادب العربي ، وتاريخ الشعوب الاسلامية ، وأصبح الكتاب الاول مصدراً للباحثين لا يستغني عنه من اراد الكتابة في التراث الاسلامي وقد نشره بين ١٨٩٨-١٩٢٠ اما كتابه الثاني اخرجه عام ١٩٣٩ مستفيداً من المؤرخ الالماني "وستنفلد".

وكتب "ادم متز" كتابه الشهير "الحضارة الاسلامية" ولم يستطع طبعه في حياته ، فنشره الاستاذ "ريكندورف Reckendorf" عام ١٩٢٢م ، وترجمه الى اللغة الاسبانية "سلفادورفيلا Salvador vila" عام ١٩٣٦م ، وترجمه الى اللغة الانكليزية صلاح الدين خدابخش الهندي الاستاذ بجامعة كلكتا ولكنه توفي قبل اكمال الترجمة فأتمها الاستاذ "مرجوليوث" الاستاذ بجامعة اكسفورد ونشره عام ١٩٣٦م ونشر المستشرق ادم متز بحوثاً في مجلة "الثقافة الاسلامية Islamic Culture" التي تصدر في مدينة حيدر اباد باللغة الانكليزية. وقد احاط ادم متز بنواحي الحضارة الاسلامية ، وكشف عن

نواح غامضة اخذ يعالجها في صبر واناة ويقول الاستاذ احمد امين "وكانت طريقة معالجته تكاد تقتصر على جمع النصوص الكثيرة المتعلقة بالموضوع من مصادر متعددة والاكتفاء بها ، من غير ان يدخل شخصيته وآراؤه في المسائل الا في القليل النادر ، وقد يؤخذ عليه انه أحياناً يعسر عليه النص ، فيفهمه على غير وجهه ، وأحياناً يبتر النصر ، وقد كان الاتيان به كاملاً يوضح رأيه او يخالف وجهة نظره" وكان الشاعر الالماني الكبير "جوهان ولفانج جوته" قد اشتهر بمسرحيته عن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم. يقول الاستاذ عبد الرحمن صدقي في كتابه "الشرق والاسلام" ولم تزل فكرة هذه التمثيلية الشعرية عن (محمد) ماثلة في مخيلة (جوته) حتى وضع مشروعها ، وعلى مقتضاه تبدأ الرواية بنشيد ينشده محمد وحده بالليل تحت السماء الساجية ، ويشعر بنفسه العاكفة على التأمل والتفكير تسمو صعداً الى الله الواحد الاحد الذي تستمد سائر الكائنات اية وجودها من وجوده ويكاشف النبي بهذا الهدي زوجته خديجة فتؤمن به عن طيب نفس اول من يؤمن" ، هذا هو الفصل الاول من مسرحية جوته ، اما الفصل الثاني فقد خصصه للامام علي عليه السلام يوم ناصره بالدعوة الى دينه بين عشيرته وقومه ، فيلقي العطف من فريق والمعارضة من فريق ، وكان الفصل الثالث قد خصص لانتصار النبي على قومه وتطهير الكعبة من الاوثان ، اما الفصل الرابع فهو متابعة لمعارك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومغازيه ، وختمت المسرحية بالفصل الخامس حيث يبلغ النبي كمال نصره وتتجلى عظمته ومن ثم وفاته. وشرح جوته بهذه المسرحية عام

١٧٧٣م ، وان المجموعة الشعرية التي نشرها جوته عام ١٧٨٩م جاءت بعنوان "النشيد المحمدي".

وتناول جوته الشعر العربي وقال "ان العرب مطبوعون بفطرتهم على الشعر" وان الامة الشاعرة لابد ان تنجب العديد من فحول الشعراء ، وان اصحاب المعلقات السبع لابد من النزول على حكمهم وتلقّي قرارهم بالتسليم والاخبات ، ولما تحدث عن الحماسة لابي تمام قال: "ان لباب هذه القصيدة ونخاع صلبها عظمة الشخصية وخطر الموضوع وجسامته مع قسوة الاخذ بالثار في مشروعيته" وفي عام ١٧٨٣م اتصل جوته بمكتبة جامعة جوكتنجن Goettingin لتوافيه بالمعلقات العربية في ترجمتها الانكليزية التي اصدرها في لندن المستشرق "وليم جونز William Jones" ، وارسل في نفس العام الى صديقه "كارل فون كينبل Karl von Knebel" يخبره بعزمه على ترجمة المعلقات. ويقول الاستاذ عبد الرحمن صدقي "ورد في مذكرات جوته التي اسماها (شعر وحقيقة) ما يفيد انه نظم اشعاراً غنائية عديدة لتأخذ مكانها في التمثيلية ، ولكن ما بقي منها بين ايدينا نشيداً واحداً كان قد نشره الشاعر في التقويم الشعري الصادر في جوتنجن Goettingin عام ١٧٧٣م وهذا النشيد على صورة مقطعات يتناوب انشادها (علي القائد الشجاع الامين وزوجته فاطمة بنت الرسول تحية للنبي) وهذا يكشف عن واقعية الشاعر جوته في فهم التاريخ الاسلامي ، بعيداً عن ميوله الدينية والمذهبية ويؤكد ذلك ابياته التالية:

مــن حماقــة الانــسان في دنيــاه
ان يتعــصب كــل منــا لمــا يــراه
فان الاسلام كان معناه التسليم لله
فإننا اجمعين نحيا ونموت مسلمين

وان ابيات جوته التي اختم فيها حديثي عن جهود المستشرقين الالمان تؤكد اهتمامهم بدراسة التراث الاسلامي وحقول المعرفة في الفكر الاسلامي.

الاستشراق والنموذج الغربي

قد يلتقي الاستشراق والاستغراب بخط دراسة الحضارة والفكر والأدب والفن، ولكن تبقى الأغراض والغايات على مفترق طريق، وكان الاستشراق في مظهره الخارجي يسنهدف دراسة علوم وحضارات الشرق، اضافة إلى دراسة الشعوب والأجناس والمذاهب والفرق، يقول المستشرق الألماني "البرت ديتريش" - استاذ الدراسات الإسلامية في جامعة جوتنجن - ان المستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق. وهناك من يقول: إن الاستشراق هو اشتغال غير الشرقيين وغير العرب بدراسة حضارة الشرق ولغاته وأديانه وروحانياته، وأثر ذلك في تطور البناء الحضاري للعالم.

و من أجل استيعاب المستشرق للشرق يجب أن يكون متجرداً من الانحياز الديني والتبعية للأجنبي، وأن يكون ملماً باللغة العربية والدين الاسلامي وعليه أن يقف على ايجابيات الشرق وسلبياته بأمانة ودقة، لأن المجتمع العربي والإسلامي مرا في مراحل متقدمة في العلوم والمعارف، ومرا بحالات انحطاط وتخلف وجمود، وقد حاول المستشرقون الوقوف على هذه الحقائق، ونقلوها إلى بلادهم بعد انحسار المد الصليبي على العالمين العربي والاسلامي، ومن ثم بدأت حركات الاستعمار تجتاح الشرق وبرزت نقابات استشراقية مستوحاة من دوائر الاستعمار ومن محافل الكنيسة، فبرزت كتابات في القرآن الكريم، والدين الاسلامي، والتاريخ والحضارة

واللغة والأدب والفلسفة وغيرها، فجاءت هذه الكتابات متفاوتة بين الموضوعية وعدمها حسب البواعث والأهداف فهناك نفر من المستشرقين قد حاول استنباط الحقائق من بواعثه التبشيرية أو سلوكيته الاستعمارية وما وراءهما من أغراض اقتصادية ودينية واجتماعية. يقول الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "ما يقال عن الاسلام": كتب عن الاسلام في الغرب أناس يتشيعون له بمقدار ثورتهم على سلطة الدين في بلادهم، فهم يتطلبون محاسنه ويقابلون بها مساوئ السلطة التي يثورون عليها، ولا يندر فيهم من ينصف الإسلام ويهتدي إلى محاسنه السمحة، وإن لم يدن به ولم يكن على دين غيره. وما أشار إليه الأستاذ العقاد هو واقع يتلمسه الباحثون بوضوح عند الوقوف على مؤلفات المستشرقين وبحوثهم ودراساتهم. وإلى جانب هؤلاء نجد حركة "الاستغراب" تسير على نمط مغاير في دراساتها، حيث قام بها عرب ومسلمون في محاولة للوقوف على ما في الغرب من حضارة وفكر وعلوم وفنون وذكر الأستاذ عمر صفوت في بحثه "حركة الاستشراق" المنشور في مجلة الثقافة العربية: "إن العرب لم يصيبوا بأذى تراث اليونان الفكري بل صوبوه وضمنوا له الوضوح ثم البقاء، رغم الاختلاف الواضح في بعض الخطوط الهامة التي ما بين المعتقدات الفلسفية اليونانية والمعتقد الإسلامي وما من شك إن للثقافة العربية دوراً في الحفاظ على الثقافات الغربية، وفق احترام الإسلام للأديان السماوية والمعتقدات الدينية، وأصبح المستغربون يسيرون وفق مبادئ الإسلام السامية، وقد عاملوا الفكر الغربي معاملة المحايد المنصف في الوصول إلى الحقيقة والبعد عن التعصب والارتماء

في أحضان فئات دينية متطرفة، وهم على النقيض من أراء المستشرقين والمفكرين من أمثال "رينان" الذين حاولوا انكار فضل العرب على الحضارة الإنسانية، وقولهم إن العرب لا يمكن أن يكونوا مبدعين فيما يأتون به من فكر ويحققونه من انجاز حضاري، ولا ينبغي لهم ذلك أن الذهنية أو العقلية العربية – على ما يخرصون – ذات طبيعة تحليلية لا تقوى على الخلق الذي هو خاصة العقلية التركيبية. وذهبوا إلى القول: وقصارى ما يمكن أن تأتي به هذه العقلية التحليلية هو الملاحظة الدقيقة والرصد الجزئي للوقائع والأحداث، أما بناء الأنظمة العقلية التركيبية فلا يضرب العرب منها بسهم، ولذلك جهد هؤلاء المستشرقون في عزو كل ابتداع في الفكر العربي، والفكر الإسلامي إلى غير العرب والمسلمين وإن مثل هذا التجني على الحقيقة والابتعاد عن الواقعية بعيد عن دراسات المستغربين من عرب ومسلمين وهذا مما يجعلنا نقول ان الاستشراق والاستغراب لم يسيرا على خط واحد فكل منهما خط ومسلك، ومن يقف على آراء وكتابات الطرفين يدرك هذه الحقيقة.

دراسات علماء الغرب للموسيقى العربية

تناول علماء الغرب، العلوم والمعارف والفنون والآداب عند العرب والمسلمين، فقد درس بعضهم عدداً من العلوم، واكتفى آخرون بدراسة علم معين وكان نصيب علم الموسيقى قد حظي باهتمام عدد من الدارسين الغربيين فقد كان (المستر هنري فارمرH. Farmer) قد كتب "مصادر الموسيقى العربية" الذي ترجمه الدكتور حسين نصار في القاهرة عام ١٩٥٧، ويقول الاستاذ انور الجندي في كتابه "أضواء على الفكر" أن الاستاذ فارمر ترجم عدداً من المؤلفات العربية في الموسيقى من بينها مؤلف مغربي قديم، وقد طبع كتابه عن الموسيقى العربية ١٩٢٩، وقدم إلى مصر حيث حضر مؤتمر الموسيقى العربية عام ١٩٣٢، وقام فارمر بترجمة نظرياته إلى اللغات الأوربية عن موضوع الموسيقى، كما طبع القسم الخاص بالقطع الموسيقية التي وردت في كتاب "احصاء العلوم" للفيلسوف المسلم أبي نصر الفارابي، وأوضح مدلولاتها العلمية، ويعد المستشرق البريطاني هنري فارمر، حجة في الشؤون الموسيقية العربية، ويقول الدكتور محسن جمال الدين في بحثه الفارابي في دراسات المستشرقين المنشور في مجلة البلاغ الصادرة في بغداد، وفي عددها السادس من السنة الخامسة: أن فارمر درس كتابي الايقاع والنغم للخليل بن أحمد الفراهيدي عام ١٩٢٥، ووصف الآلات الموسيقية العربية وتاريخها وأثرها على الموسيقى الغربية، ونشر بعض محاضراته في مجلتي (المستمع العربي) و(أدب وفن) الصادرتين في لندن، وكان قد حصل

على اجازة الدكتوراه عام ١٩١٤، من جامعة كلاسكو، ببحثه عن تاريخ الموسيقى العربية، وذكر الاستاذ "دوجلاس مور" استاذ الموسيقى من جامعة كولومبيا في كتابه "من الانشودة إلى الموسيقى العصرية"، أورد عن الدكتور فارمران العرب سبقوا الأوربيين إلى نوع من الهرمونية يسمونه (التركيب) ويعنون به توقيع النغمة الواحدة من عدة طبقات في وقت واحد، وهو غير الهرمونية، كما نفهم اليوم، كما أشار إلى أن أبناء أوربا تعلموا الأنغام على اساتذة من العرب، ونقلوا أسماء بعض الآلات بألفاظها العربية. وقد حدد الأستاذ "ادموند كورايا لوبس" مراتب الموسيقى العربية، وجعلها سبع مراتب، ثم تساءل ماذا أخذناه من هذه المراتب؟ فأجاب قائلاً: "اقتبسنا كل قواعدها على وجه التقريب ونعرف منها Gammes مقاسات الأبعاد بين كل برج وضبطها، وعدد الاهتزازات وتقسيم الألحان وافتراقها ورجوعها بحيث ترى أن كل لحن ينتهي في برجه ثم قلب للحن وقرار. وكان ادموند كورايا لوبس، وهنري فارمر، والاب كولنجان قد اعترفوا بفضل العرب على الموسيقى، وإيصالها إلى الدرجة التي عرفت بها، وكان الأب كولنجان، أستاذ الموسيقى الشرقية في آسيا، وقد ألقى محاضرة بالجمعية الجغرافية بالقاهرة عام ١٩١٥، أشار فيها إلى افتراق الموسيقى الافرنجية عن الموسيقى العربية في القرن الحادي عشر الميلادي، فاتجهت كل منهما باتجاه معين، وأشار الأستاذ الشوباشي في كتابه: "العرب والحضارة الأوربية" أن الاستاذ "ل فيتيس" في كتابه (التاريخ العام للموسيقى)، ذكر في الجزء الخامس منه "ان الموسيقى العربية بنيت في أواخر القرون الوسيطى من أصل

عربي"، وكان المتخصصون بعلم الموسيقى من الغربيين قد أجمعوا على اصالة الموسيقى العربية، وآثارها على الدارسين في الغرب، وقد تصدى لدراسة الحضارة العربية والأسلامية، ومنها علم الموسيقى عدد من الباحثين من أوربيين وعرب ومسلمين، وكناقد استشهدنا بأمثلة قليلة، وهناك نماذج لمئات الأمثلة التي دونها الباحثون الغربيون عن الموسيقى العربية، شاهدة على عبقرية العرب في هذا الفن وقوانينه، وقد تجاوزوا في معيار العلم درجة التجديد بحيث تركت الموسيقى العربية بصماتها الواضحة في الفكر الأوربي.

الحضارة العربية في الفكر الاستشراقي

تعطي مقولة الاستاذ "برنارد لويس": ان اوربا تحمل ديناً مزدوجاً للعرب، فقد حافظ العرب على التراث الفكري العلمي الذي خلفه اليونان وتوسعوا فيه ونقلوه الى اوربا، ومن العرب نقلت اوربا طريقة جديدة في البحث وهي طريقة تضع العقل اولاً، مدلولاً على اعتراف المنصفين من الاوربيين والمستشرقين بالحضارة العربية واثرها في الفكر الغربي واشار الاستاذ محمد كرد علي في كتابه "الاسلام والحضارة العربية" الى رأي الاستاذ "لوثرب ستودارد" في كتابه "حاضر العالم الاسلامي" وقد جاء فيه: "ما كان العرب قط امة تحب اراقة الدماء وترغب في الاستلاب والتدمير، بل كانوا على الضد من ذلك امة موهوبة عظيمة الاخلاق والسجايا، تواقة الى ارتشاف العلوم، محسنة في اعتبار نعم التهذيب، تلك النعم التي قد انتهت اليها من الحضارات السالفة واذ شاع بين الغالبين والمغلوبين التزاوج، ووحدة المعتقد"، وفي الحقيقة ان هذا الراي نابع من حقيقة الاسلام ومبادئه الانسانية السامية، عدا من شذ من القادة عن هذه المبادئ في ممارساته البعيدة عن روح الاسلام، وازاء الحقيقة التاريخية كتب الاستاذ "ماكس فانتاجو" كتابه "المعجزة العربية" الذي ترجمه الاستاذ رمضان لاوند، وكتبت المستشرقة "فاغليري" كتابها " دفاع عن الاسلام" وقد ترجمه الاستاذ منير البعلبكي. وقد اشاد الاستاذ الدكتور عبد الكريم جرمانوس باللغة العربية بقوله: "ان اللغة العربية سند هام ابقى على روعتها وخلودها هو الاسلام، فلم تنهل منها الاجيال المتعاقبة والعصور المتباينة واللهجات

المختلفة على نقيض ما حدث للغات القديمة المماثلة كاللاتينية حيث انزوت تماماً بين جدران المعابد وكادت تنقرض" ، واورد الاستاذ الشوباشي في كتابه: "العرب والحضارة الاوربية" نص الاخوين"آن وديلفرد بلنت" من كتابيهما "المعلقات السبع الذهبية": انه كانت خيام العرب، حتى في الجاهلية، تضم سيدات اديبات مثقفات، ينظمن الشعر، ويجلسن في مقعد التحكيم بين فحول الشعراء. ويكشف هذاالنص عن جانب من الفكر العربي في عصر ما قبل الاسلام، ويقول الاستاذ "وليم اوسلر": لئن اشعل العرب سراجهم من القناديل اليونانية، فانهم مالبثوا أن أصبحوا جميعاً شعلة وهاجة استضاء بنورها اهل الارض. واذا كان النص الاول يشير الى العقلية العربية قبل الاسلام، فان النص الثاني يشير الى دور العرب المسلمين في حمل حضارة الاسلام الى العالم، ويقول الاستاذ الجندي في كتابه: "اضواء على الفكر" ان الاستاذ "اولارد" قال: انني وقائدي ودليلي ه العقل قد تعلمت شيئاً من اساتذتي العرب ان الانسان قد نسج العقل لكي يستخدمه حكماً عالياً في الفصل بين الحق والباطل، وقد اعترف الدكتور لويجي رينالدي بفضل العرب على الغرب في نقل الحضارة الى العالم بقوله: "قام العرب في ظلمات بربرية القرون الوسطى باعادة نور الحضارة والمدنية الذي كان قد انطفأ في جميع بلاد الغرب والشرق حتى القسطنطينية. وقد اكد الكثير من المستشرقين والكتاب الغربيين على الادب العربي واللغة العربية والفلسفة الاسلامية، فقد اشار المؤرخ "رينان" في كتابه الشهير "ابن رشد وفلسفته" الى اهمية الكتاب العربي بقوله: "ان استيراد

اوربا للاعمال الادبية العربية يومذاك امر معروف، وكان الكتاب الذي يصدر في مراكش او في القاهرة يشيع ذكره بين مختلف البلاد الاوربية بسرعة اقل من السرعة التي يستغرقها انتقال الكتاب الهام من عاصمة المانيا الى الشاطئ الآخر لنهر الراين"، ولاشك ان الباحث الاوربي المنصف في دراسته للآداب العربية يؤكد على اصالتها وابداعها، اما المتعصبون والذين يجهلون اللغة والذوق الادبي فانهم يذهبون الى نقيض ذلك، فذكر الاستاذ محمد كرد علي في كتابه: "الحضارة العربية": ان العالم الاثري "كلرمون جانو" قد خالف الحقيقة والواقع العلمي بقوله: "ان المدنية العربية ليست سوى كلمة خداعة، لاوجود لها اكثر من فضائع الفتح العربي، وانها آخر انوار المدنية اليونانية والرومانية، طفئت بأيد خرقاء"، فاين نضع هذا الكلام الذي يحمل في طياته علائم التجني على الحقيقة والموضوعية من كلام الاستاذ "ديلاسي اليري" الذي جاء فيه: "كيف نرى أثر الفكر الاسلامي في الثقافة المسيحية اللاتينية في القرون الوسطى، اذ حول الفلسفة المسيحية الى مسالك جديدة. وكاد يذيب اللاهوت التقليدي في الكنيسة، وأدى مباشرة الى النهضة التي كانت الضربة القاضية لثقافة القرون الوسطى"، ويقول الاستاذ "حيدر بامات" في كتابه الشهير "مجالي الاسلام": ان العرب لم يكونوا فقط ارقى رقياً لا حد له من علماء الضرب مع القرون الوسطى بل كانوا ايضاً ارقى من العالم اليوناني في حقل العلوم، واليهم يعود شرف ادخالهم الى مباحثهم مناهج الترصد والتجربة التي تتألف منها اسس البحث العلمي الحديث، ومن الملاحظ ان كتاب "مجالي الاسلام" يعد من

الكتب الجليلة في دراسة الحضارة العربية والاسلامية. وقد ترجمه الاستاذ عادل زعيتر، ويتحدث الاستاذ محمد كرد علي في كتابه "الاسلام والحضارة العربية" بان الاستاذ "جوليفة كستلو" في كتابه "قانون التاريخ J. Castelot: Lalot del'histoire" قد صرح بقوله: "كان التقدم العربي بعد وفاة الرسول عظيماً، جرى على اسرع ما يكون، وكان الزمان مستعداً لانتشار الاسلام، فنشأت المدنية الاسلامية نشأة باهرة، قامت في كل مكان من الفتوحات بذكاء غريب ظهر اثره في الفنون والاداب والشعر والعلوم، وقبض العرب بايديهم خلال عدة قرون، على مشعل النور العقلي وتمثلوا جميع المعارف البشرية التي لها مساس بالفلسفة والفلك والكيمياء والطب والعلوم الروحية فاصبحوا سادة الفكر مبدعين ومخترعين" واشار بعض علماء الغرب والمستشرقين منهم الى ابداع العرب والمسلمين في مجال العلوم البحتة والتطبيقية، وقال العالم: "روم لاندو" ان العلماء المسلمين اكتشفوا العدوى وطبيعتها لامراض الجدري والكوليرا والطاعون، وسجل في كتابه "الاسلام والعرب" فضل العرب على علوم الرياضيات والفلك والجغرافيا والطب والكيمياء والنبات والآداب والفنون والفلسفة والموسيقى والصناعة والزخرفة والعمارة. واشار "جول لابوم" الى معرفة العرب بالتشريح، وكانت لهم قاعات مدرجة خصصت للتشريح في جامعة صقلية، وقداكتشف العالم العربي "ابن النفيس" الدورة الدموية ونقلها العالم "هارفي". اما في علمي التاريخ والآثار، فقد استفاد العلماء الغربيين لمتخصصين بالتاريخ من فلسفة ابن خلدون وفي مقدمتهم "ايف لاكوست"

الذي كتب كتاباً تناول فيه المؤرخ العربي ابن خلدون وفلسفته، ويقول الدكتور السيد عبد العزيز سالم في كتابه "التاريخ والمؤرخون العرب" ان المستشرق "كلود كامن" قدم الدراسة الاصلية عن سوريا الشمالية في العصر الصليبي، بدراسة ممتازة عن المصادر العربية، شملت الفصل الثاني كله من المقدمة التي افردها لبحث المصادر، ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "مطلع النور" ان المنقب "موزبل التشكي" صاحب كتاب "الحجاز الشمالي" عثر على اثار هيكل عند مدين منقوش عليه كلام بالنبطية واليونانية وفيه اشارة الى قبائل ثمود، وتعرض الاستاذ العقاد في كتابه "الاسلام في القرن العشرين" الى جماعة من علماء اللغة الاوربيين قد درسوا اللهجات العربية في شبه الجزيرة العربية. كالعالم الالماني الدكتور "مكسمليان بثنر Bethner" وخلاصة القول: ان الحضارة العربية في الفكر الاستشراقي كانت موضع دراسة وتحليل لدى عدد كبير من العلماء الغربيين عدا نفر قليل قد ابتعد عن الموضوعية والحياد، واتهم العرب بالجمود والتخلف.

الفصل الرابع

مدينتا النجف الاشرف والكوفة في دراسات المستشرقين والغربيين

المقدمة

تصدى بعض المستشرقين والكتاب الغربيين والرحالة والجغرافيين لدراسة النجف الاشرف والكوفة لما لهما من أهمية دينية وتاريخية، فانهم قد وقفوا على آثار المنطقة وقدمها التاريخي، ومنها آثار مدينة الحيرة في عصر ما قبل الاسلام، وآثار الكوفة في العصر الاسلامي، وكان لمدينة النجف الاشرف نصيب وافر في هذه الدراسة في عصرها الاسلامي، وقد أخذت نصيبها الاوسع في تاريخها الحديث والمعاصر، فقصدها الرحالة الاوربيون، ووصفوا معالمها التاريخية، وكان المرقد الحيدري الشريف، والحوزة العلمية في مقدمة دراساتهم، وتصدى بعضهم للحياة الاجتماعية والاقتصادية، وتوغلوا في منطقة بحر النجف، فوصفوا العيون والينابيع فيها، وطريق الحج البري الذي يربط النجف الاشرف بالديار المقدسة، وما فيه من آبار تاريخية قديمة والتي تعرف بآبار زبيدة. وقد حاول بعض الكتاب الغربيين دراسة المجتمع النجفي عن طريق اتصالهم بالشخصيات الاجتماعية المرموقة، ولا شك في أن بعض كتابات هؤلاء كانت سليمة صحيحة. وبعضها منحازة للسلطة وبعيدة عن الواقع، وقد كانت المدة الواقعة بين ١٩١٤ – ١٩٢٠م والتي حكم فيها البريطانيون العراق، والتي شهدت حركة الجهاد، وثورة النجف، وثورة العشرين، فان صفة التحيز للسلطة الحاكمة واضحاً في كتابات كثير من الباحثين الغربيين، وقد كان بعضهم يعمل في دوائر أمنية تابعة للسلطة، ويتلمس المؤرخ المحايد المنصف حالات التناقض بين كتابات العراقيين والنجفيين المعاصرين لهذه الاحداث، وكتابات الغربيين والبريطانيين على

وجه التحديد. وقد اردنا من خلال هذا الفصل من كتابنا ابراز الصورة التاريخية التي حددها الباحثون في دراساتهم لمدينتي النجف والكوفة، وفق العصور التاريخية التي عاشتها كل من المدينتين.

النجف الاشرف في كتابات المستشرقين

تحدث بعض المؤرخين والسياسيين والآثاريين عن مدينتي النجف والكوفة، وفق اطوارهما التاريخية، وكانت مدينة النجف الاشرف لها النصيب الاوفى في هذه الدراسات، فقد تناول بعضهم العراق، ومدينة بغداد، على وجه التحديد، وتأتي مدينة النجف في ضمن هذه الدراسة، وهم[1]:

١ – الدكتور جون هوليستر، الذي تحدث عن المرقد الحيدري الشريف، ومكانته الدينية عند المسلمين.

٢ – كي لسترانج في كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) الذي تحدث باسهاب عن المرقد الشريف، ومدينة النجف الاشرف، وهو من المراجع المهمة في هذا الجانب.

٣ – المستر ريتشاردكوك في كتابه (بغداد مدينة السلام) وقد تحدث عن محاولات ايصال الماء الى مدينة النجف الاشرف في العهد البويهي في العراق بين (٣٣٤ – ٤٤٧هـ).

٤ – دائرة المعارف الاسلامية، وفيها بحوث عن النجف من جوانبها المتعددة. وباقلام من دول اوربية.

---

(١) جعفر الخياط: النجف في المراجع الغربية، موسوعة العتبات المقدسة/ قسم النجف ١٩٢/١ – ٣٢٨.

٥ - السربيرس سايكس، في كتابه (تاريخ ايران) وقد تحدث عن الوضع العام في مدينة النجف في العصر المغولي في العراق.

٦ - المستر ستيفن لونكريك، في كتابه (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث). فانه تناول مسألة ايصال الماء الى النجف في العصر الصفوي، وكان هذا الموضوع قد تناوله عدد من الباحثين الاوربيين، لما كانت تعاني منه مدينة النجف الاشرف في عصورها المختلفة.

٧ - جان بايتيست تافير نييه في رحلته التي ترجمها الاستاذان كوركيس عواد وبشير فرنسيس، وتناول المؤلف الطرق التي تربط النجف بالمدن العراقية والطرق الخارجية.

٨ - بيدروتكسيرا في رحلته عام ١٦٠٤م. وقد تناول فيها جوانب متعددة عن مدينة النجف الاشرف ومنها: المرقد الشريف، وسور النجف، ومشكلة الماء، وبحر النجف والعيون والينابيع فيه.

٩ - ديلافللة (الرحالة البرتغالي) الذي قصد العراق عام ١٦٢٥م ووصف النجف من الجانب الطبوغرافي. وتحدث عن منطقة بحر النجف.

١٠ - الاب ياسيفيك الكبوشي في رحلته عام ١٦٢٨م الذي تحدث عن عهد السلطان العثماني مراد. وموقع النجف الديني.

١١ - المس غير ترودبيل (سكرتيرة دار الاعتماد البريطاني في بغداد) وقد كتبت عن الحوزة العلمية في النجف الاشرف والاحوال الاجتماعية والسياسية في كتابها (فصول من تاريخ العراق الغريب).

١٢ – السرارنلد ويلسن، تناول في كتابه (بين النهرين ١٩١٧ – ١٩٢٠م) الوضع العالم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني، ودور النجف الاشرف في الحياة السياسية.

١٣ – نيبور (الرحالة الالماني) تحدث عن جوانب من تاريخ النجف الاشرف عام ١٧٦٥م ومنها المرقد الشريف وسور النجف ومدينة الكوفة والحياة التجارية ومنطقة بحر النجف.

١٤ – لوفتس، في رحلته عام ١٨٥٣م. وقد وقف على اطلال مدينة الحيرة. وتحدث عن موقع النجف الجيولوجي، وكانت كتاباته تخص المواقع الاثارية.

١٥ – بيترمان، زار مدينة النجف الاشرف عام ١٨٥٥م، وتحدث عن وفود الزائرين الى المدينة.

١٦ – مدام ديولافوا (الرحالة الفرنسية) تحدثت في رحلتها عام ١٨٨١م عن نقل الجنائز الى مدينة النجف الاشرف.

١٧ – جون بيترز (رئيس بعثة بنسلفانيا للتنقيب عن الآثار)، تحدث عن الطرق التي تربط النجف بغيرها من المدن عام ١٨٩٠م، وذكر ان طريق النجف الى السماوة فيه مخاطر.

١٨ – المستر، رولاند ويسلكنس (السائحة البريطانية) اشارت الى نقل الجنائز الى مدينة النجف الاشرف.

١٩ - الواموسيل (السائح النمساوي) الذي زار مدينة النجف عام ١٩١٢م، وتحدث عن الاحوال الطبوغرافية والسياسية والاجتماعية في النجف.

٢٠ - المستر فيليب ايرلاند وكتابه (العراق دراسة في تطوره السياسي) عام ١٩١٣م، وقد نشر عام ١٩٤٩م، وقد تحدث عن الوضع السياسي في النجف الاشرف.

٢١ - السررونالد ستورز (المشرف على شؤون الاستخبارات البريطانية في البلاد العربية). وقد زار مدينة النجف الاشرف بتاريخ ١٩١٧/٥/١٩ ودون مذكراته في كتابه (Orientaions)، وقد ضم قضايا دينية واقتصادية مهمة.

٢٢ - ارنولد ويلسن (وكيل الحاكم الملكي العام في العراق) وقد كتب عن السلطة البريطانية في النجف الاشرف عام ١٩١٧م، في كتابه (بين النهرين). وقد تحدث عن سلطة الزعماء في النجف، وثورة عام ١٩١٨م.

٢٣ - ايلمرهولدين (قائد القوات البريطانية في العراق اثناء ثورة العشرين) وله كتاب (الثورةالعراقية) تحدث عن اسرى الانكليز في النجف الاشرف، وعن وقائع ثورة العشرين.

٢٤ - المستر فيلبي، تحدث في كتابه (الايام العربية) عن النجف الاشرف عام ١٩٢١م.

٢٥ - توماس لايل، أفرّد في كتابه (دخائل العراق) فصلاً عن النجف وخططها ومجتمعها، وقد نشره في لندن عام ١٩٢٣م.

٢٦ - المستر لونكريك، وقد كتب (اربعة قرون من تاريخ العراق) و(العراق بين ١٩٠٠ - ١٩٥٠م)، وتحدث في الكتاب الثاني عن التقائه بالعلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي، وطريق الحج البري عام ١٩٣٧م، والوضع الاجتماعي في النجف.

٢٧ - المس فراياستارك (الكاتبة البريطانية) وقد زارت مدينة النجف الاشرف عام ١٩٣٧م، وكتبت في كتابها (صور بغدادية) عن آثار مدينة الحيرة، ووصف طبوغرافي لمدينة النجف.

٢٨ - ستوكس، كتب عن مدينة النجف وموقعها الديني والطرق التي تربطها، وقد نشر كتابه في لندن عام ١٩٥٨م.

٢٩ - جورج هاريس، تحدث عن سكان العراق وعن مدينة النجف الاشرف، وموقعها الديني.

تحدث بعض المؤلفين والكتاب الغربيين عن النجف الاشرف في مؤلفاتهم عن العراق والبلاد العربية والاسلامية، وقد ضمت دوائر المعارف وكتب الرحلات دراسات عن النجف، وهي بحاجة الى دراسة منهجية تحليلية ونقدية، وذلك بالوقوف على جانب الضعف والقوة، والصحيح والسقيم، علماً ان بعض الكتابات خاضعة لتأثيرات السلطة البريطانية

الحاكمة في العراق منذ نشوب الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م، وما اعقبها من احداث سياسية شهدها العراق.

الكوفة في دراسات المستشرقين والغربيين

حظيت مدينة الكوفة باهتمام بعض المستشرقين، فكتبوا عن آثارها التاريخية وخططها القديمة، وقد وضعنا دراساتهم وفق محورين هما:[1]

المحور الاول: المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون وكتابه خطط الكوفة

تخصص المستشرق الفرنسي البروفسور المسيولويس فرديناند ماسنيون Louis. F. Massigon (١٨٨٣ - ١٩٦٢م) بالخطط والبلدان ودراسة الآثار في العراق والوطن العربي، وقد أهتدى إلى الأماكن المندرسة من مساجد وقصور وأديرة ومقابر وقنوات وكانت مدينة الكوفة إحدى الحواضر الإسلامية التي نالت اهتماماته، فكتب كتابه الشهير (خطط الكوفة) ونشر بعنوان: EXPICATION DUPI ANDEKUFA, IRAKو ترجمه من الفرنسية الى العربية السيد تقي محمد المصعبي، وطبع في صيدا عام ١٩٤٦م، وقام الأستاذ كامل سلمان الجبوري بتحقيقه عام ١٩٧٩م، ونشرته جمعية منتدى النشر في النجف الأشرف.

---

(١) حسن الحكيم: جريدة الزمان، العدد (٢٢٩٣) بتاريخ ٢٠٠٥/١٢/١٩ والعدد (٢٤٥٥) بتاريخ ٢٠٠٦/٧/١٧.

و كان المسيو لويس ماسنيون مولعاً بدراسة الأطلال، والوقوف على الآثار المندرسة، والأنقاض البالية،، قبيل تأليفه كتاب (خطط الكوفة) ففي عام ١٩٠٨م تنقل في الكوفة وصحراء النجف، وكررها عام ١٩٣٤م، وقد رافقه الشيخ عطية بن مارد ويبدو أنه كان يستجمع مادته في هاتين الزيارتين، وكانت مقدمة (خطط الكوفة) تشير إلى الشواخص القائمة لقصر الإمارة، وبيت الإمام علي﵇، ومرقد ميثم التمار، ومرقد السيد إبراهيم الطباطبائي الحسني، وسكة الترامواي بين النجف والكوفة، وكري سعدة، وأعطى لبعض شواخص المنطقة بعداً تاريخياً، وارتباطاً بدولة المناذرة في الحيرة وقد قال عنها: (هي ثغر من ثغور البادية City – Caravan) وتحدث عن قصري الخوزرنق والسدير، ولكن وقع في خلط بين قصري السدير والاخيضر اذ اعتقد أن قصر السدير هو الاخيضر، في حين أن النصوص التاريخية، والشعر العربي، والشواخص الموجودة تؤكد أن الخورنق والسدير يقعان على بحر النجف، ولذا تحتاج مقدمة (خطط الكوفة) الى دراسة دقيقة للوقوف على الهفوات التي وقع فيها (ماسنيون) وجاء عنوان (تمصير الكوفة) مقدمة للكتاب وقال: (أن أول تلك المساكن التي بنيت في محلة كندة هي منازل مراد، والخزرج من الأنصار الذين كانا قد سكنوا مع كندة في محلة واحدة عقب تحالفهم معها) وقد اقحم ماسنيون في نهاية حديثه عن تمصير الكوفة حديثه المقتضب عن سورية، ومقارنة البصرة بالكوفة ويشكل هذا الاقحام خللاً في منهجية المؤلف وكان المستشرق (لويس ماسنيون) قد تناول خطط الكوفة الاولى وهي الاسباع، وقد وزعت القبائل

العربية عليها، بحيث أصبح لكل سبع من الاسباع أكثر من قبيلة عربية وكانت المرحلة الزمنية بين (١٧ - ٣٦هـ) مستقرة لسكن القبائل، ولكن بعد دخول الإمام علي‍ﷺ مدينة الكوفة بعد فراغه من موقعة الجمل في البصرة، واتخاذه الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية عام ٣٦هـ ، قام بتغيير الأسباع، وفق مقتضيات الوضع السياسي، فأصبحت قبيلتا همدان وحمير في سبع، ومذحج واشعر وطي في سبع وقيس وعبس وذبيان وعبد القيس في سبع، والازد وبجيلة وخثعم والأنصار في سبع وكندة وحضرموت وقضاعة ومهرة في سبع، وتغلب وبقية بطون ربيعة في سبع، وقريش وكنانة وأسد وتميم وضبة والرباب في سبع، وقال: (ان كندة أسرة الاشعث بن قيس) واراد ماسنيون بذلك ماقامت به قبيلة كندة من تأسيس حكومة في الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام.

و لما تولى زياد بن أبيه ولاية الكوفة، في عهد معاوية بن أبي سفيان قام بتغيير جذري لخطط الكوفة، إذ قسم المدينة إلى أرباع، وقد حددها المستشرق (ماسنيون) بأهل العالية وتميم وهمدان وربيعة وبكر وكندة ومذحج وأسد، وقد استصوب رأي الباحث الشيخ نور الله الشوشتري في كتابه (إحقاق الحق) حول بطون قريش وراياتها في معركة صفين مع الإمام علي‍ﷺ، وأخذ ماسنيون في دراسة المعالم الشاخصة في الكوفة، بدءاً من المسجد الجامع، والمساجد الأخرى التابعة لبطون القبائل العربية وحدد موقع القصر والميدان في الجهة الجنوبية من المسجد مع انحراف قليل نحو الشرق، وأن الميدان الذين يطل على القصر يقع في رحبة تسمى(رحبة

علي) وتناول بعد ذلك (المناهج) وهي جمع منهج، ومعناها الفواصل بين تصفيف الخيام التي أقطعها القائد سعد بن أبي وقاص عند تخطيط الكوفة، وقد سماها بما يناسبها من أسماء، أما السكك فأنها نسبت لقبائل عربية أو لرجال مشهورين، وكانت مفارق الطرق تسمى(جهار سوج) وهي كلمة فارسية، ومعناها الطرق الأربعة، وكانت لخنيس وبجيلة وكندة وهمدان، وقدم المستشرق ماسنيون لمصادر الحياة في الكوفة لمحات مختصرة لم تف بالغرض، ومن ثم تحدث عن مقابر الكوفة أو الجبانات، وهي عشر مقابر لقبائل معروفة، أما (الثوية) وهي جبانة الكوفة الكبرى، فأنها تقع خلف الخندق، وفيها مقابر قريش وثقيف، أما صحارى الكوفة فكانت ست، وقد نسبت لقبائل وأشخاص، وقد كانت لبعض الرجال قطائع قد حدد بعضها منها (قطيعة عبد الله بن دارم) التي تقع على دير هند الصغرى، وقطيعة عبد القيس وقطيعة الأشعث بن قيس الكندي، وقطيعة جرير بن عبد الله البجلي، وتحت عنوان (الطوبوغرافية الاقتصادية للكوفة) كان الحديث عن دار الرزق والأسواق والصيارفة والسماسرة، والمهن والأصناف، وقد حدد (ماسنيون) هذه المواقع جغرافياً، وربطها بحوادث تاريخية مقتضية.

أما الأسواق فقد حددها بالقول: إنها تمتد من القصر والجامع الى دار الوليد بن عقبة من جهة، والقلائين من جهة أخرى، وأن منازل ثقيف وأشجع من الجانب الآخر، وأن هذا التحديد يستحق الثناء والتقدير، لأنه قد استوحى الدقة، والبعد التاريخي وقال: إن حوانيت الصيارفة تقابل مسجد الصيرفة في الكوفة، وان هذه المهنة تتصل بتاريخ الحيرة في عصر ما

قبل الاسلام وو وقف (ماسنيون) على المهن والأصناف، وهي على الرغم من اقتضابها، فأنها ذات أهمية اقتصادية وأشار ماسينون الى خارطة المستشرق (كارستن نيبور Nibuhr) وقال عنها (نسي أن يبين باب الفيل في الشمال) ويعطي هذا النقد صورة عن اهتمام المستشرق ماسنيون بالخطط والمواقع، كما وجّه نقداً الى المستشرق (الأب لامانس Lammense) في بعض أرائه الدينية.

و قد أدخل (ماسنيون) ضواحي الكوفة ضمن خططها وهما: ضاحية النجف، وضاحية الكناسة، فقد أطلق لفظ (مشهد علي) على ضاحية النجف، وربط أرض الغري قبل الاسلام بمنطقة الحيرة، ومن ثم قدم دراسة مقتضبة عن مقبرة وادي السلام، ومحلات النجف الواقعة ضمن سورها الأخير، والإشارة إلى عشائرها، أما ضاحية الكناسة فأطلق عليها لفظ (المندرسة). ويبقى كتاب (خطط الكوفة) للمستشرق الفرنسي ماسنيون يحتل الصدارة من بين كتب الخطط والبلدان، ويحتاج الى دراسة منهجية وتحليلية من لدن طلبة الدراسات العليا.

المحور الثاني: آثار الكوفة في دراسة المستشرقين

تصدى بعض المستشرقين لدراسة آثار مدينة الكوفة وخططها القديمة، ووقفوا على أنقاض تعود إلى عصور اسلامية مختلفة، وقد أشار الاستاذ جعفر الخليلي في موسوعة العتبات المقدسة/ القسم المخصص لمدينة النجف الاشرف إلى الرحالة الأمريكي "جون بيترز" الذي زار الكوفة عام ١٨٩٠م، وذهب إلى القول أن آجر المدينة قد نقل إلى النجف، وأشار إلى "كري سعدة" وعده من الانهار المندرسة. وتوصل إلى أنه يعود إلى عصر الملك البابلي "نبوخذنصر"، ولكن في الحقيقة أن "كري سعدة" هو خندق حفره سابور ذي الاكتاف، فأنه يبدأ من مدينة هيت وينتهي بالخليج العربي، وقد اتفقت المصادر التاريخية على ذلك ومن الجدير بالذكر أن العالم الأمريكي "جون بيترز" قد تخصص بعلم الآثار في جامعة بنسلفانيا، وقام بدراسة لآثار مدينة نفر التاريخية. وكان الرحالة الانكليزي "لوفتس" قد تجول مع بعثة بريطانية في منطقة الحدود العراقية، الإيرانية عام ١٨٤٩م، وقد أراد الاطلاع على المعالم الآثارية في النجف والكوفة، وتوقف بعض الوقت في مدينة الكفل، وقد أشار إلى حادثة "الطوفان" وقال: ان سفينة نوح قد رست في أرض النجف وتحدث عن استشهاد الامام علي عليه السلام. وكتب المستشرق الرحالة الالماني "نيبور" رحلته عن العراق في القرن الثامن عشر الميلادي، وقد ترجمها استاذنا الراحل الدكتور محمود حسين الأمين رحمه الله. وقد زار نيبور مدينة النجف الاشرف، ووقف على آثار مدينة الكوفة وشاهد "كري سعدة" وقال: انه "اليالاكوباس" الذي حفره سكان العراق

الاقدمون، ورسم مخططا لمسجد الكوفة، واستفاد من الدليل الذي رافقه في الرحلة. وكان من أبناء مدينة النجف، وكان قد حدد بعض الأسماء والمواقع في مسجد الكوفة، كباب الفيل، ومقامات الأنبياء عليهم السلام والائمة سلام الله عليهم، وموضع سفينة نوح، ومرقدي مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، وقال: ان السيدة عادلة خاتون، بنت أحمد باشا، وزوجة الوالي العثماني سليمان باشا، قد اسهمت في بناء مسجد الكوفة من الناحية الشمالية الغربية وتحدثت عن مسجد السهلة واستمع إلى حديث المرافق له اما المستشرق "سرويس بدج" قد تحدث في كتابه رحلات إلى العراق عن تأسيس مدينة الكوفة ومرقد الامام علي عليه السالم ونشأة مدينة النجف الاشرف، وقد استفاد من نصوص الرحالة المغربي ابن بطوطة، ووقف المستشرق "سروليس بدج" على المواقع الآثارية في مدينتي الحيرة والكوفة، وبحر النجف، يوم كانت سفن الهند والصين تصل اليه. وقال: ان أرض النجف قبل الاسلام كانت مصيفاً لملوك دولة المناذرة اللخميين في الحيرة، وعند تأسيس مدينة النجف الاشرف التي سماها "مشهد علي" ساعد على اتساع حركة العمران فيها، وتحدث ايضاً عن مدرسة النجف العلمية، ومسجد الكوفة وابراجه القوية، وتناول "دار الامارة" وما قامت به مديرية الآثار العامة في العراق من تنقيبات. وفي الحقيقة أن المستشرق الفرنيس "لويس ماسنيون" في كتابه الشهير "خطط الكوفة وشرح خريطتها" الذي ترجمه الاستاذ تقي محمد المصعبي، والذي حققه مؤخراً الاستاذ كامل سلمان الجبوري، يعد من أهم كتب المستشرقين عن مدينة الكوفة فقد أمتاز

بالدقة في الكثير من مباحثه، كما تحدث عن مدينة النجف الاشرف التي سماها "ضاحية الكوفة"، واضاف إلى ضاحية الكوفة منطقة "الكناسة" وهي من الاماكن المندرسة، وتناول المستشرق "لويس ماسنيون" خطط الكوفة من سكك ومقابر ومناهج وجبانات وصحارى وقطائع ومؤسسات اقتصادية ودينية، وأشار إلى بناء الكوفة عام ١٧هـ / ٦٣٨م بصورة مقتضية. ولكن يبقى كتابه "خطط الكوفة" موضع أهتمام الباحثين والمؤرخين عند الكتابة عن مدينتي الكوفة والنجف الاشرف. ومن الملاحظ ان للمستشرق ماسينون رحلة توغل فيها في مناطق البادية ومنطقة بحر النجف، فوقف على الآثار التاريخية. ووصفها وصفاً دقيقاً. وكان القرن التاسع عشر الميلادي قد شهد تحركاً علمياً واسع النطاق قام به المستشرقون في العراق. فدرسوا آثاره، ومعالمه، ومظاهر الحضارة منه، كما وقف بعضهم على المؤسسات العلمية وأطلعوا على خزائن الكتب وما كانت تضم من مخطوطات نادرة، وقد اقتنى بعضهم الكثير من هذه الكتب ونقلها إلى اوربا، ومازالت حتى هذا اليوم محفوظة هناك. وقد قامت البعثات الجامعية الاوربية بدور الكشف والتنقيب والاطلاع على كنوز المعرفة في العراق، ففي عام ١٩٣١م وصلت الى مدينة الحيرة بعثة علمية من جامعة "اكسفورد" للتنقيب عن آثار الحيرة، وقد وضعت يدها على تحديد الاماكن الآثارية القديمة، وقد اكملت دائرة الآثار والتراث هذا الجانب وثم التنقيب عن منطقة "ام عريف"، وفي عام ١٩٨٦م تقدمت بعثة يابانية للتنقيب في تلال بحر النجف ومنطقة الحيرة. وقد

آن الاوان في الوقت الحاضر استرجاع الآثار العراقية المحفوظة في متاحف العالم، واسترجاع المخطوطات إلى مكتباتنا وتحقيقها ونشرها.

الفصل الخامس

مفكرون اسلاميون في الدراسات الاستشراقية

المقدمة

تناول بعض المستشرقين شخصيات اسلامية لها مواقع متقدمة في الفقه والتفسير والادب والتاريخ، وقد كانت بعض دراساتهم غير مستفيضة، وبعضها مختزلة وسطحية، ولكن على الرغم من هذاانهم اضاءوا الطريق امام الباحثين للوقوف على هذه الشخصيات ودراساتهم بصورة عميقة، وان لهذه الاولوية اهمية بالغة في البحث العلمي، وقد وقفت على ثلاث شخصيات كبيرة تناولهاالمستشرقون بالبحث والدراسة وهم:

١ – المؤرخ الطبري (ت ٣١٠هـ)

٢ – المؤرخ الصولي (ت ٣٣٥هـ)

٣ – الفقيه الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)

و قد حاول بعض المستشرقين من هذهالدراسات كشف النصوص الضعيفة والمضافة على الحقائق التاريخية، وانهم تتبعوا روايات الاخباريين سلباً وايجاباً من خلال كتب التاريخ المعتمدة ومنها كتاب "تاريخ الرسل والملوك" وكتاب "الكامل في التاريخ" وغيرهما، وتصدى بعض المستشرقين للتحقيق وكانوا اصحاب ريادة في هذا الجانب، فاستخرجوا من خزائن الكتب مخطوطات مهمة وقاموا بتحقيقها ونشرها وبذلك اسدوا للعلم خدمة كبيرة، ولم يغفل بعض المستشرقين مواضع الوهم في بعض النصوص فاحاطوها بالنقد والتحليل والتمحيص، واذا كان المؤرخ الطبري قد كتب في التاريخ العام، فان المؤرخ الصولي قد كتب في اخبار بني العباس

وشعراء خلفائهم، وهذا لون من الوان الكتابة التاريخية، وموقف بعض المؤرخين من السلطة الحاكمة، وقد تعطي هذه الصلة فرصة للوقوف على وثائق البلاط ، اما الفقيه الامامي الكبير الشيخ الطوسي فقد احاطه بعض المستشرقين بالدراسة ، وبما انه متنوع الثقافة، فقد درسوه مفسراً ومحدثاً وفقيها واصوليا ورجاليا وكلامياً. ولاتخلو بعض دراساتهم من السطحية وعدم الوقوف على المصادر الاساسية، سوى ما تيسر لهم في المكتبات الغربية من مخطوطات، ولاشك ان بعضها يعود لازمنة تقترب من عصر الشيخ الطوسي ، وهذا مما يعطيها اهمية تاريخة لا يستهان بها، وقد وقفنا عليها بدقة في دراستنا الجامعية العليا.

المؤرخ الطبري من منظور استشراقي

كان المؤرخ الكبير ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ / ٨٣٨ - ٩٢٣م) موضع دراسة عدد من المؤرخين العرب والمسلمين والمستشرقين. فقد درست سيرته ومنهجه في التفسير والتاريخ، وقد تلمس المؤرخون مواضع الاصالة في منهجه، ومواضع النقد في آرائه، وكانت ثقافته العالية في الفقه والحديث، جعله في مقدمة المؤرخين والمفسرين في عصره، وقد ساعدته رحلاته إلى العراق والشام ومصر على ارتشاف العلوم من علماء هذه الاقطار. وقد اهلته مواهبه إلى تأسيس (مذهب الطبرية) في الفقه، في الوقت الذي كان المسلمون يتعبدون بمذاهب ذات اجتهادات في الفروع والاصول، وقد تصدى عدد من المستشرقين للمؤرخ الكبري واستخلاص منهجه وارائه من خلال تاريخه وتفسيره، فيقول المستشرق بروكلمان: (نزل بغداد، فكان يعلم فيها الحديث والفقه كان في اول امره يتفقه على مذهب الشافعي، ثم نجح بعد ذلك في تأسيس مذهب خاص به تبعه عليه بعض العلماء، وعاداه بسببه الحنابلة المتعصبون لاهل الحديث، وكان الوزير الخاقاني اراد ان يجعله قاضيا، فأبى ذلك ليستطيع ان يقصر جهده على العلم والتعلم)[1] وقد انصبت اهتماماته في التفسير والتاريخ والحديث والرجال، وكان ابوه يبعث اليه بمخصصات سنوية كانت لتصل اليه في الوقت المحدد لها دائماً، وهو نفسه يروي لنا انه حصل على الخبز ذات مرة ببيع كمي قميصه، ولحسن الحظ انه قدّم في مدينة بغداد

---

(١) بروكلمان: تاريخ الادب العربي ٣/٤٦.

إلى عبيدالله بن يحيى وزير الخليفة العباسي المتوكل على الله، الذي جعله مؤدبا لولده.[١] ولعل هذه العلاقة مع الوزير العباسي قد ساعدته على انجاز مشاريعه العلمية، فيقول المستشرق مارجليوث: ان المؤرخ الطبري قد اشترى الكتب لولعه بها، فضلاً إلى رحلاته في كثير من الاقطار لتحصيل العلم رواية. ويروي احد الوراقين: ان الطبري التمس منه، اذا عزم على تأليف رسالة في القياس ان يجمع له ما امكنه من الكتب فيه، فجمع له الوراق نيفا وثلاثين كتابا، فأقامت عنده مريرة، ثم زادها وفيها علامات محمرة[٢] وكان محيط بغداد العلمي قد اسهم في اتساع مدارك المؤرخ الطبري العلمية، وساعده على الاستنباط والاجتهاد ويعد كتابه (تاريخ الرسل والملوك) من أهم التواريخ العالمية، اذ انه ابتدأ به منذ الخليقة حتى عام ٣٠٢هـ وقد نهج فيه من تاريخ الهجرة النبوية الشريفة (منهج الحوليات)[٣] وكان الاخباريون قد سبقوا المؤرخ الطبري في تدوين الاخبار والحوادث، وقد اعتمدها الطبري وقد اشار المستشرق هورفتس إلى محذوفات ابن هشام (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م) من السيرة النبوية التي كتبها ابن اسحاق (ت ١٥١هـ / ٧٦٨م) في حين ان المؤرخ الطبري قد اورد روايات ابن اسحاق بدءا من المبتدأ، الذي حذفه ابن هشام.[٤] وقد ارادالطبري الحفاظ على عالمية السيرة التي كتبها ابن اسحاق، ولو بشكل مقتضب لان اجراء ابن هشام لم يكن

---

(١) نكلسن: تاريخ الادب العباسي ص ١٤٦.

(٢) مارجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص ١٢٢.

(٣) بروكلمان: تاريخ الادب العربي ٤٦/٣.

(٤) هورفتس: المغازي الاولى ص ٨٣.

سليما اذ ان نصوصا من السيرة فقدت، مما احدث خللا في السيرة التي وصلت الينا عن طريق ابن هشام، ويقول الصفدي: ان سيرة ابن اسحاق رواها عنه جماعة منهم من زاد ومن نقص.[١] وقد عمد ابن هشام إلى حذف النصوص التي لا تلتقي مع ذوقه واحساساته.[٢] وقد اصبح عمله هذا مخالفا للأمانة العلمية، ويقول الاستاذ حسين مؤنس: اصبحت سيرة ابن اسحق، سيرة محرفة مبتسرة ومعدلة[٣] وكان المؤرخ ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) قد اورد نصوصا في كتابه (المنتظم في تاريخ الملوك والامم) منقولة عن ابن اسحق، وقد حذفها ابن هشام وهي جزء من السيرة النبوية، وليس لها علاقة بالمبتدأ.[٤] وقد قام الاستاذ الذكتور سهيل زكار بتحقيق قطعة من سيرة ابن اسحاق الاصلية فيقول: (وقمت بمقاربة هذه القطعة بما عند ابن هشام فخرجت بنتائج مثيرة).[٥] ويبدو لي ان المؤرخ الطبري كان امينا في نقله عن ابن اسحاق. ولم يراع موقف السلطة العباسية الحاكمة من تدوين النصوص التي لاتتفق مع خطها السياسي والعقائدي، في حين ان ابن هشام ابتعد عن الامانة العلمية، وحاول ارضاء السلطة عن طريق حذف النصوص التي تتعلق بالعباس بن عبد المطلب وجذور اسلامه، او التي تتعلق بأيمان ابي طالب، ومواقف الامام علي ﷺ الحاسمة مع

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات ٧/١.
(٢) جب: دائرة المعارف الاسلامية (مادة علم التاريخ) ٤٨٧/٤.
(٣) حسين مؤنس: هامش كتاب (التمدن الاسلامي) ١٠٧/٣.
(٤) ابن الجوزي: المنتظم ٣/ ورقة ١١٠/ ١١٤.
(٥) سهيل زكار: التاريخ عند العرب ص ٣٩.

المشركين، ودفاعه عن الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) وقد تصدى عدد من المستشرقين لدراسة ابن اسحاق ومن بعده الطبري ومنهم (الاستاذ فيك Johann Fuck) والاستاذ (بركلمان) والاستاذ (يوسف هورفتس) والاستاذ (كاوغست فيشر. AFischer) وغيرهم.[١] ويقول هورفتس: ان قرابة مائة راو من المدينة وحدها يروي لهم ابن اسحاق.[٢] وقد اثبت في بحثي الموسوم (محمد بن اسحاق وريادته في تدوين السيرة النبوية)[٣] خمسين شيخا لمحمد بن اسحاق، وعددا من تلاميذه. وقد وقف الباحثون والمؤرخون من عرب ومسلمين ومستشرقين واجانب آخرين على نصوص المؤرخ الطبري التي استقاها من ابن اسحاق وغيره من الاخباريين، وقد ذهب الاستاذ (جب) إلى رأي مفاده: ان الطبري لم يبد أي اهتمام بتاريخ المجتمعات غير الاسلامية منذ اللحظة التي ظهر فيها الاسلام.[٤] وان هذا الجزم القاطع من المستشرق (جب) لم يكن سليما بدلالة النصوص التي أوردها في تاريخه، وقد ازال الاستاذ (باريه R. parat) هذا الادعاء بقوله: (انه استند في جمع مادة تاريخية إلى الروايات غير المدونة، وقد تيسرت له اسباب هذا الجمع بفضل رحلاته الواسعة التي صرف معظم همه فيها إلى طلب العلم، وحضور الدرس على مشاهير

---

(١) حاطوم وآخرون: المدخل إلى التاريخ ص ١٩٣.

(٢) هورفتس: المغازي الاولى ص ٧٧.

(٣) حسن الحكيم: محمد بن اسحاق، مجلة آداب المستنصرية، العدد الرابع عشر ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

(٤) جب: المدخل في الادب العربي ص ٧٨.

العلماء، وافاد الطبري ايضاً من كتب غيره مثل كتاب ابي مخنف. وكتاب اخبار اهل البصرة لعمر بن شبه، وهو كتاب في الحديث كان يقرأ منه زياد بن ايوب، وتاريخ نصر بن مزاحم، ثم سيرة محمد بن اسحاق، والكتب التي كتبها في هذا الشأن: الواقدي، وابن سعد، ومحمد الكلبي، وهشام الكلبي، والمدائني، وسيف بن عمر، وابن طيفور، وغير ذلك من الكتب.[١] ولاشك ان المصادر التي اعتمدها المؤرخ الطبري قد تناولت مجتمعات غير اسلامية، كما ان تاريخ الطبري يشير إلى ذلك بوضوح، وهذا ما يضعف من رأي الاستاذ (جب)، وان رحلات الطبري لعدد من الاقطار يوحي بالكتابة عن الشعوب التي التقاها، والجماعات التي اندمج معها فيقول (باريه): ومن خلال رحلاته في الحجاز والشام ومصر واستماعه لعدد من الشيوخ اضاف لمعلوماته مادة تاريخية اخرى، وقد توقف في المدن الشامية ليدرس الحديث.[٢] وقد اكتسب كتاب (تاريخ الرسل والملوك) شهرة واسعة وقد قارن المستشرق (بروكلمان) بينه وبين تاريخ ابن خلدون بقوله: ان ابن خلدون مدين بشهرته للمقدمة التي استهل بها تاريخه العام، على الخصوص وبينما لا يرتفع تاريخه العام هذا فوق مستوى النموذج الذي وضعه الطبري في تاريخ.[٣] وهذه حقيقة يتلمسها المؤرخون عند \دراسة تاريخ ابن خلدون، اذ لم يجد فيه العمق الفلسفي والتحليل المنطقي كما في (المقدمة) التي هي نموذج للعقل التاريخي عند العرب والمسلمين وذهب

---

(١) باريه: دائرة المعارف الاسلامية (مادة طبرية) ٧٠/١٥.

(٢) باريه: دائرة المعارف الاسلامية ١٥/ ٦٧.

(٣) بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ٢/ ٢٠٨.

الاستاذ (فلهوزن) إلى ان الفضل الاكبر يعود إلى المؤرخ الطبري في حفظ روايات الاخباري (ابي مخنف) فهو قد قدم لنا اقدم واحسن ما كتبه ناشر عربي، ويقول: (ان الروايات القديمة المتعلقة بعصر بني امية توجد حتى اليوم على اوثق ماتكون عليه عند الطبري، لانها لم تختلط ولم تتناولها يد التوفيق والتنسيق، وهو في القسم الجيد من كتابه.[1] وقد تأثر المؤرخ ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) في كتابه (الكامل في التاريخ) بمنهجية المؤرخ الطبري، وقد اشار (روم لاندو) إلى هذا الجانب بقوله: ان حوليات الطبري، ذات النطاق الكوني والموسوعي المدونة بطريقة الاسناد، تحاول ان تسند كل واقعة، حيثما تيسر ذلك، إلى شاهد عيان او إلى شخص معاصر انتهت روايته إلى المؤلف عبر سلسلة من الرواة، وتلك مهمة تكاد تكون فوق طاقة البشر، وهكذا فأن هذا المصنف هو في الواقع مجموعة من الوثائق الاولية[2] وبما ان الطبري قد جمع في معرفته بين التفسير والتاريخ والفقه، وقد انعكست هذه العلوم في مؤلفاته، فأن الاستاذ (حيدر بامات) قد اشار اليها بقوله: ان الطبري ينطوي على روح اعتقادي فقهي، فنراه يعني بأخبار الاسلام ومسائل الفقه عناية خاصة.[3] فهو قد الف كتابا في احاديث يوم الغدير وكتاب (المسح على الخفين) مما اثار عليه غضب الحنابلة في بغداد، فاضطر على الاعتكاف في داره وبقي الحنابلة يلاحقونه حتى عند وفاته عام ٣١٠هـ / ٩٢٢م.

---

(١) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية وسقوطها ص ١.

(٢) روم لاندو: الاسلام والعرب ص ٣٠٣.

(٣) حيدر بامات: مجالي الاسلام ص ١٦١.

و تصدى المستشرق (روزنثال) إلى تاريخ الطبري ومنهجيته وخصائص كتابه، وقد استشهد برأي القفطي: (واذا اردت التاريخ متصلاً جميلاً فعليك بكتاب ابي جعفر الطبري فأنه من اول العالم والى سنة تسع وثلاثمائة، ومتى شئت ان تعزز به كتاب احمد بن طاهر وولده عبيد الله فنعم ما تفعل لانهما قد بالغا في ذكر الدولة العباسية، واتيا في شرح الاحوال بما لم يأت به الطبري بمفرده، وهما في الانتهاء قريبا المدة، والطبري ازيد منهما قليلاً، ثم يتلو ذلك كتاب ثابت فأنه يداخل الطبري في بعض السنين، ويبالغ إلى بعض سنة ثلاث وستين وثلاثمائة.[١] (وقد حاول المستشرق مارجليوث تفضيل رواية الطبري على معاصره الدينوري – وان سبقه بعدة عقود – بقوله: (فمن الواضح ان التاريخ العام الذي لايشغل غير اربعمائة صفحة يقوم على مقياس يختلف كل الاختلاف من مقياس الكتاب الضخم للرجل الاخر، ويبدو ان القول بان هذا الكتاب ليس كتاب الاخبار الطوال الوارد في ثبت الدنيوري له وجاهته اذ لا يتفق العنوان مع المحتويات.[٢]

ان تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) المتداول بين ايدينا، قد طبعه المستشرق (ايم جي دي غوية) في ليدن مع لجنة من كبار المستشرقين منهم: نولدكة، وغويدي، ومولر. وقام المستشرق (غوية) بتحقيق (منتخبات من تاريخ الطبري). ونشرها عام ١٩٠٢م. وقد اسدى خدمة معرفية كبيرة،

(١) روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين ص ١١٧.

(٢) مارجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص ١٢٨.

اضافهاللتراث التاريخي عند المسلمين، وقد اعتمد المستشرق (نكلسن Nicholson) في كتابه (تاريخ الادب العباسي) على هذه الطبعة. وقد استقى نصا من الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) جاء فيه: ان المؤرخ الطبري اختصر تاريخه وتفسيره بناءا على رغبة تلاميذه، عندما رفضوا قراءة النسخ الاولى معه رفضا باتا، فما كان منه الا القول: (انا لله ماتت الهمم).[١] ولكن على الرغم من اختصار الطبري لتاريخه فانه يبقى الصرح الشامخ في المصنفات التاريخية وقد وصفه المستشرق (جب) بقوله: (ان الطبري كان في الاصل محدثا واراد ان يكون تاريخه تكملة لتفسيره الكبير للقرآن الكريم، ولهذا اورد الروايات التاريخية بنفس الوضوح والتدقيق والتحري الذي اتسم به التفسير، ويبدو من تاريخه الذي وصلنا انه صورة موجزة من كتاب اوسع كان ينوي تأليفه. واضاف المستشرق(جب) إلى قوله: (ونحن نتذكر مناحي ضعفه، فكتابه بما يتمتع به من صدق وشمول يعين لنا خاتمة حقبة كاملة، ولانجد بعده مصنفا ياخذ على عاتقه من جديد جمع المواد عن تاريخ صدر الاسلام والنظر فيها وانما المصنفون بعده امام نقله للروايات من تاريخ الطبري يكملونها من كتب البلاذري، واما مؤرخون يبتدئون من حيث انتهى الطبري[٢] وقد اشار المستشرق (نكلسن) إلى حجم المادة التاريخية التي اودعها الطبري في كتابه بحيث اصبح مخزنا واسعا لمعلومات قيمة للمؤرخين، فضلاً عن دارسي الاسلام، وهو مرتب

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢/ ١٦٣؛ نكلسن: تاريخ الادب العباسي ص ١٤٧.

(٢) جب: دراسات في حضارة الاسلام ص ١٥٦.

حسب التسلسل الزمني، وقد صنفت الحوادث تحت السنين الهجرية التي حدثت فيها، وان هذه المادة التاريخية الضخمة في واقع الحال لم تكن هي الاصلية، اذ ليس ثمة نسخة كاملة للتاريخ قد احتفظ بها في ارجاء مختلفة من العالم[١] وقد لخص (البلعمي) تاريخ الطبري بناءا على رغبة المنصور الاول الساماني، وقد نشره (دويو Dubeux) و(زوتنبرغ Zotenberg) باللغة الفرنسية بين عامي ١٨٦٧ - ١٨٧٤م.[٢] وكان المستشرق (روزنثال) عن دراسته لتاريخ الطبري وقف على بغداديته في تدوين الاحداث، وهذا امر طبيعي لان بغداد مركز الخلافة الاسلامية وملتقى رجال الفكر والعلم والادب، والى هذا الجانب يشير بقوله: (وهذا امر منتظر وملحوظ في كل مكان ولكنه يتجلى بصورة خاصة عندما تقارنه بما رويه بعض المؤرخين الذين يأخذون وجهات نظر اخرى، كما هو الحال مثلاً في التاريخ الطولوني، ويبدو انه حذف التفاصيل التي لا تلائم مصالح العباسيين، اما اخبار الوفيات فقد اقصاها عن التاريخ، اللهم الا لمن كانت له اهمية تاريخية وقد خصص كتابا اسمه (ذيل المذيل) لدراسة تراجم المسلمين الاول.[٣] واننا مع رأي المستشرق (روزنثال) ان الطبري لم يهتم بالوفيات الا قليلاً، وهو بذلك قد خالف المؤرخين الذين جاءوا بعده، كابن الجوزي، وابن الاثير. وقد وقف المستشرق (دي غوية) عند مرويات الطبري التي عن طريق سلسلة الرواة، فاذا كان قد حصل على اكثر من رواية لحقيقة معينة

(١) نكلسن: تاريخ الادب العباسي ص ١٤٧ - ص ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه ص ١٤٨.

(٣) روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين ص ١٨٧.

مع تحويرات مهمة نوعاً ما، لطريق عدة سلاسل من الرواة، فهو يقدمها جميعاً إلى القارئ بالتفصيل، وهذا يكون بوسعنا ان ننظر إلى الحقائق من اكثر من وجهة نظر واحدة ونكتسب فكرة حية واضحة عنها.(١) ويبدو ان المؤرخ الطبري في ايراده روايات عديدة للحادثة الواحدة، فانه يترك الحكم للقارئ في اختيار الافضل منها بعد الموازنة بين الروايات. ويمكننا القول: ان كثيرا من المستشرقين درسوا المؤرخ الطبري وغيره من المؤرخين، فانهم قد ابدعوا في جانب واخفقوا في جانب آخر، وهذا له صلة بحجم ثقافة المستشرق باللغة العربية والدين الاسلامي والتاريخ عبر مراحله وان ما اورده المستشرقون من دراسات حول الطبري، فانها كانت - في الغالب - سليمة وجيدة، ويبقى الامر الاخير للباحثين والمؤرخين العرب والمسلمين من تدقيق ارائهم وافراز جوانب الصحة والخطأ من خلال المصادر المعتمدة والمراجع المفيدة النافعة.

---

(١) دي غويه: مقدمة (تاريخ الطبري) ص ٢٧.

الصولي والاستشراق
في ميزان النقد التاريخي

كتب أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت٣٣٥هـ / ٩٤٩م) كتباً في التاريخ والأدب، ومنها كتاب "الأوراق" الذي كرسه لاخبار العباسيين وشعرائهم، وقد تناول بعض المستشرقين هذا الكتاب والوقوف على منهج الصولي في التاريخ، فيقول المستشرق "كراتشكوفسكي Kratschkovsky" ان المؤرخ أبا بكر الصولي رتب الجزء الأول من هذا اكتاب ترتيباً تاريخياً، وساق في الجزء الثاني مختارات من اشعار شعراء من أسرة الخلفاء وعدد من غيرهم من الشعراء، ولم يتم هذا الكتاب الذي كان يضم في الأقل خمسة مجلدات أو ستة. ولم يصل إلى أيدينا منه حتى الآن إلا متفرقات قليلة. وقد تحدث المستشرق كراتشكوفسكي عن حياة أبي بكر الصولي بصورة مقتضية، وشيوخه البارزين من أمثال: ثعلب والمبرد والسجستاني، ومن خلال سطور دراسة كراتشكوفسكي للصولي تبرز ملامح النقد التاريخي لكتاباته بقوله: انه برع في لعبة الشطرنج بفضل اتصاله الوثيق ببلاط الخليفة العباسي المكتفي (٢٨٩ – ٢٩٥هـ)، ويمكن القول: ان هذه العلاقة الوثيقة بالسلطة العباسية، ربما جعلت الصولي يقف على الوثائق الرسمية في البلاط العباسي، ولكننا في الوقت نفسه نتفق مع المستشرق كراتشكوفسكي من ان الصولي لا يمكن أن يعد مؤرخاً ومن أصحاب المواهب البارزة، وانما كان مصنفاً جم النشاط لا يستطيع في جميع الاحوال أن يميز كتابه من كتب غيره، على ان ذلك لا يمس ما كان له من اثر في عالم التأليف، وكان

كراتشكوفسكي في الوقت نفسه قد عدّ الصولي مصدراً يستقي منه المؤرخون والأدباء، ولعل كتابه "أدب الكاتب" كان موضع الاعتماد عليه أكثر من غيره من مؤلفات أبي بكر الصولي، ومن المحتمل ان المستشرق كراتشكوفسكي قد وقف على القطعة المخطوطة، المودعة في مكتبة لينينغراد والتي تبدأ بحوادث عام ٢٦٤هـ.

وتناول المستشرق "كارل بروكلمان كتاب "الاوراق في اخبار آل العباس وأشعارهم" بدءاً من عنوان الكتاب بقوله: "وسمي بذلك لأنه يعرض فيه أخبار كل خليفة بالتفصيل في أوراق كثيرة، خلافاً لمحمد بن داود الجراح، المتوفى ٢٩٦هـ / ٩٠٨م الذي جعل ورقة واحدة لكل واحد، وأشار بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" إلى مواضع النقد العلمي لكتاب الأوراق للصولي بقوله: انه يسجل في مختلف السنين أسماء الموظفين الذين يتغيرون على وظائف القصر، والعراق بوجه عام والموظفين الذين يتغيرون على وظائف القصر ، دون الاهتمام بموظفي بقية لاقاليم، كما يتجه اهتمامه الأكبر إلى وصف دسائس مجتمع الخلافة وحياة أصحابها وأعمالهم، وهو يعرض في ذلك مقداراً وافراً من أشعاره التي قالها في مختلف حفلات القصر والمناسبات الأخرى، وفي آخر كلامه عن حياة الراضي يعرض مجموعة كبيرة من أشعار الخليفة، وان الذي ذهب إليه المستشرق كارل بروكلمان يتفق تماماً مع مضامين كتاب الأوراق، إذ أن الصلة بين الصولي والخلفاء (المكتفي والمقتدر والراضي) كانت وثيقة ومتينة ولكن لما تولى المتقي الخلافة عام ٣٢٩هـ / ٩٤٠م، ابعد الصولي وحاشيته

عن البلاط العباسي، لأنه كان يرفض الجلاس والندماء، وقد قرّب بجكم التركي (والي واسط) إليه واكرمه، وقد استقى المؤرخ بروكلمان نصوصه من كتاب "أخبار الراضي" لأبي بكر الصولي.

و بقي كتاب "الأوراق" موضع دراسة المؤرخين العرب والمستشرقين وقد أشار إليه المؤرخ البريطاني "جب" في كتابه "دراسات في حضارة الاسلام بأنه مزيج غريب من السير السياسية والأدبية، وهذا لا شك ناتج من وجود الصولي في البلاط العباسي، ووقوفه على الوثائق الرسمية. وإلى ذلك أشار المستشرق "روزنثال" في كتابه "مناهج العلماء المسلمين" قائلاً: "وإذا قيض له أن يكون شاهد عيان للحوادث والوقائع فإن ذلك ميزة عظيمة له" ، وهذا مما حصل للصولي وغيره من المؤرخين الذين عاشوا في البلاط العباسي، فيقول "وكثيراً ما يشغل المؤرخون مناصب ادارية كبيرة".

لقد انتج القرن العاشر اعلاما من امثال الصولي، الذي كان نابغة في الآداب، رائع الاسلوب، غنياً بالمعلومات، ومع هذا لم يستطع اخفاء ميله لرسوم البلاط، وما يدور في أرجائه من حديث، والأهم من هذا ما أدت إلى استعماله في تراجم الامراء من السجع والزخرفة اللفظية التي كانت منتشرة بين كتاب الدواوين والموظفين"، وفي الحقيقة ان واقع الحال ينطبق على الصولي وغيره من المؤرخين الذي يعيشون في بلاط السلطة، وان النقد العلمي الموجه لأبي بكر الصولي من المستشرقين وغيرهم من المؤرخين ناتج من دراسة واعية لمؤلفات الصولي، وعلينا أن لاننسى أن كتاب "الأوراق" يعد مصدراً مهماً من مصادر التاريخ والأدب، وقد تنبه المؤرخ المسعودي

(ت٣٤٦هـ) إلى أهميته في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" بقوله: "غرائب لم تقع لغيره، وأشياء تفرد بها، لأنه شاهدها بنفسه". واختتم قوله: انه كان محظوظاً من العلم، ممدوداً من المعرفة، مرزوقاً من التصنيف وحسن التأليف، ولكن على المؤرخين المعاصرين دراسة الصولي وفق منظور عصره، فإن وجدنا تناقضاً في نصوصه، ناقشناها بروح علمية ونقدية محايدة، وان وجدنا صواباً أشرنا إليه من حيث الأصالة والابداع.

مع المستشرقين في دراساتهم
للشيخ الطوسي

عني المستشرقون بدراسة تاريخ الشرق، وحاولوا فهم التاريخ العربي الاسلامي، وتوصل بعضهم إلى نتائج علمية جديدة. لم يتوصل اليها كتاب الشرق من قبل، كما تناولوا في دراساتهم المدنيات الشرقية، والآثار الفكرية والحضارية، وامتدت بحوثهم نحو الشعوب والمذاهب والاجناس ولكن هناك تفاوتاً ملحوظاً في مستوى دراساتهم وهذا ناتج على الأغلب من طبيعة البواعث والأغراض التي دفعتهم الى الدراسة والبحث فبعضهم قد انحرف عن الصواب، ومال نحو التعصب المقيت، وحاول تشويه الحقائق، خضوعاً لنزعاتهم العرقية أو التبشيرية وبعضهم كتب بمعزل عن السياسة ودوائر الاستعمار، وقد نشدوا الحقيقة، والتزموا بالامانة العلمية وانحازوا نحو المنهجية، ومثل هؤلاء اضطلعوا بمهماتهم العلمية بأمانة ودقة، ولعبوا دوراً بارزاً في أحياء قسط من التراث العربي الاسلامي، وشاركوا مشاركة فعالة في توضيح بعض جوانب تاريخنا العريق.

اننا لم نجد اليوم من بين المستشرقين قد أوقف حياته العلمية في دراسة تاريخ الفكر الامامي، أو ساهم في تعميق دراسات بعض جوانب هذا الفكر في الدراسات الغربية. واذا استعرضنا التاريخ الامامي، لم نجد له في كتابات المستشرقين سوى السطحية والمغالطات والمحدودية وربما اثيرت بعض الشبهات حول القضايا العقائدية والفكرية بغية الايقاع بالمسلمين فعلى سبيل المثال، ما ذكره دونلدسن نقلاً عن Hughes بأن "للشيعة عيد في

الثامن عشر من ذي الحجة، يصنعون به ثلاثة تماثيل من العجين يملؤون بطونها بالعسل، وهي تمثل أبا بكر وعمر وعثمان ثم يطعنونها بالمدى فيسيل العسل تمثيلاً لدى الخلفاء الغاصبين)[1]، وكان وراء هذه المزاعم أيادي خبيثة غرضها التشكيك بالفكر الامامي أولاً" وتصديع الوحدة الاسلامية ثانياً: بعد ان وجدوا في وحدة المسلمين خطراً يهدد وجودهم في سبيل استغلالهم للبلاد الاسلامية، كما امتدت أصابعهم الخبيثة إلى الاسلام نفسه: وشخصية الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم)، فهذا نولدكه يقول: (ان سبب الوحي النازل على محمد والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع)[2]، ولا اريد ان أطيل في مناقشة أمثال نولدكة، فان لي وقفة اخرى معهم في بحث لاحق ان شاء الله.

و ليس من المستغرب أن تكون دراسة المستشرقين للشيخ الطوسي (ابو جعفر محمد بن الحسن المتوفى عام ٤٦٠هـ). سطحية ومقتضبة، على الرغم من أن الشيخ الطوسي أحد أعمدة الفكر الاسلامي، وعلم من أعلام الامامية البارزين، إذ لم يعط هؤلاء المستشرقون للمفكرين الاماميين مكانة بارزة في دراساتهم للتاريخ العربي الاسلامي، سواء الذين سبقوا الشيخ الطوسي أو الذين أعقبوه.

و قد حاولت أن أشير إلى مدى تقصير أولئك المستشرقين في دراساتهم للشيخ الطوسي ولفهمهم لشخصيته وعلميته، ودوره في تنمية الفكر

---

(١) عقيدة الشيعة: ص ٢٥.

(٢) حاضر العالم الاسلامي: ج١ ص ٣٤.

الاسلامي خلال القرن الخامس الهجري واثره في تطوير مدرسة النجف الفكرية.

لقد جاءت كتابات براون (E G Browne) مختزلة وسطحية خصوصاً عند ذكره للمخطوطات العربية الاسلامية المحفوظة في خزانة جامعة كمبرج، ومنها كتاب (التهذيب) للشيخ الطوسي[١]، وقد كتب براون (تاريخ الاسلام في ايران والعراق).

History of Islam in parsia nnd Iraq

و لم يدرس فيه الشيخ الطوسي دراسة مستفيضة، واعتبره فارسياً بالولادة إلا ان أعماله في العربية، ولهذا ينبغي أن يدرس في الأدب العربي بدلا من الأدب الفارسي[٢]، والواقع ان الشيخ الطوسي لم تتحقق قوميته، ولا محل ولادته[٣]، عدا كونه ينتسب إلى مدينة طوس، وقد آثر الشيخ محمد رضا المظفر ترجيح عروبته[٤]. ولكنني عد دراستي للشيخ الطوسي في

---

(١) E. G. Browne: Asnpplementary band list of the Muhammandan manuscripis breserred in the Libraries of the university and colleges of Gambridge. Part I, p ٥٤.

(٢) George N. Atiyeh: al – shaykh al tusi and the arienoalists d. ٢.

(٣) لقد ذكرت المصادر والمراجع التالية ولادة الشيخ الطوسي في طوس: دونلدسن: عقيدة الشيعة، ص ٢٨٥. الطهراني: المشيخة، ص ٧٢، بحر العلوم: دليل القضاء الشرعي، ج٣ ص ١٧٧ هروي: حديقة الرضوية، ص ١٨ كحالة: معجم المؤلفين، ج٩ ص ٢٠٢. البستاني: دائرة المعارف. مج٤ ص ٢٤٠ ينظر حسن الحكيم: الشيخ الطوسي ص ٦٣.

(٤) مجلة النجف، العدد، ٤، ٥، ٦، ٧، السنة الثانية ١٩٥٨م.

رسالتي الجامعية، لم أتوصل إلى القطع بانتسابه إلى فارس أو احدى القبائل العربية، سوى انه لم يكتب اللغة الفارسية، وجميع مؤلفاته كتبها باللغة العربية، ولم توجد فيها أية لكنة فارسية، وقد أحاط بالقرآن الكريم احاطة عربية خالصة من حيث اعرابه، ومناقشاته لشيوخ النحو العربي الأوائل[١]. ويقول الاستاذ جورج عطية: ان الاشارات الى الشيخ الطوسي توجد في الأعمال العامة التي تدور حول الدين والتاريخ الاسلامي، وان جميعها تشير الى مكانه البارز في المذهب الشيعي. ومهما يكن من أمر فلا توجد هناك دراسات شاملة في اللغات الغربية، إلا أن هناك قليلاً من المستشرقين خصصوا له أكثر من ثلاث صفحات على الأغلب انها كانت ذات طبيعة تقديمية. وان هناك صفحات من الأدب الغربي حول الشيخ الطوسي موجودة في أعمال براون في كتابه تاريخ الأدب الفارسي[٢] Literay history of Persia أما المستشرق الألماني الكبير كارل بروكلمان Carl Brockelmann الذي كتب موسوعة مهمة باسم (تاريخ الأدب العربي): وقد ترجم منها الجزء الأول إلى اللغة العربية[٣]. ولا تزال الأجزاء الأخرى باللغة الألمانية وهي تحت عنوان:

Geschichie Der Arabischen Litteratur

---

(١) حسن الحكيم: الشيخ الطوسي (الفصل الرابع: دراسة تحليلية لكتاب التبيان).

(٢) George N. Atiyeh: IA – shaykh al Tusi and The orientalists: p. ٢.

(٣) ترجم الجزء الأول من كتاب بروكلمان (تاريخ الأدب العربي) الدكتور عبد الحليم النجار، وقد جاء بثلاثة أجزاء أما ما ورد عن الشيخ الطوسي فهو ما يزلل باللغة الألمانية.

و التي تعتبر بحق من أوسع الكتب في بابها خصوصاً في حرص مؤلفها على ذكر المصادر العامة التي تتعلق بالمؤلفين، وقد تناول كارل بروكلمان (الشيخ الطوسي) باسلوب غير منتظم، وقد ذكر بعض مؤلفاته معتمداًبالدرجة الأولى على كتاب (لؤلؤة البحرين) للشيخ يوسف بن أحمد البحراني المتوفى عام ١١٨٦هـ وقد أغفل بروكلمان ذكر كتاب (الاستبصار) الذي يعد أحد الاصول الأربعة في علم الحديث عند الامامية[١]، ومن الجدير بالذكر ان الشيخ الطوسي الف كتاب (الاستبصار) بعد فراغه من تأليف كتاب (التهذيب).

لم يتوصل كارل بروكلمان إلى معرفة تاريخ وفاة الشيخ الطوسي من من خلال الأدلة والقرائن، وهذا ناتج عن عدم تعمقه في دراسة الطوسي دراسة مستفيضة فنجده يذكر وفاته مرة بعام ٤٥٩هـ ، ومرة أخرى بعام ٤٦٠هـ ، في حين ان ما تؤكده المصادر الموثوقة. وما تدل عليه القرأئن ان وفاة الشيخ الطوسي كانت عام ٤٦٠هـ ، إذ المعروف انه عاش بعد وفاة استاذه الشريف المرتضى عام ٤٣٦هـ ، أربعاً وعشرين سنة[٢]، وبما أن الشيخ الطوسي ولدعام ٣٨٥هـ ، فقد عمّر خمسة وسبعين عاماً[٣]. ولم يتحقق بركلمان من ذكر المكان الذي دفن فيه الشيخ الطوسي فمرة يقول في

---

(١) الاصول الأربعة هي: الكافي للشيخ الكليني ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق، التهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي.

(٢) البحراني: لؤلؤة البحرين، ص ٢٩٥.

(٣) القمي: تحفة الأحباب، ص ٣٢٥، السماهيجي: الاجازة ورقة٣٨أ.

مدينة النجف، ومرة أخرى يقول في مدينة الكوفة[١]، اذان من الثابت ان الشيخ الطوسي توفي في النجف ودفن في بيته، في الموضع المعروف باسم (مسجد الشيخ الطوسي) وقد أصبح بعد حين من المزارات المعروفة، ولعل بركلمان اعتمد على بعض المصادر القائلة بأن الشيخ الطوسي أقام بمدينة الكوفة وكانت وفاته فيها[٢].

و لعل المستشرق دوايت م. دونلدسن Dwight D. doneldson في كتابه (عقيدة الشيعة): The shi, ite religious قد تعرض للشيخ الطوسي اكثر من غيره من المستشرقين، اضافة الى تحليله لبعض الأحداث، وقد خصص فصلاً بعنوان (أوائل جمع الحديث لدى الشيعة) أوضح فيه الأدوار السياسية التي مرت بالدولة الاسلامية، وتعرض الشيعة خلالها إلى الاضطهاد والتنكيل، مما جعلهم يؤخرون كتابة (الاحاديث) الى العصر الذي تولى فيه البويهيون السلطة عام ٣٣٤هـ . حيث وجدوا الفرصة متاحة لهم، بابراز علومهم، وذلك لتوفر الحرية النسبية في ظل آل بويه، وقد علل دولنلدسن ظاهرة صدور كتب الحديث الأربعة المعروفة (بالاصول) في ذلك العهد بالقول (كيف ان طائفة مظطهدة احتمت بالتقية واغتنمت الفرصة للاستفادة من حريتها الجديدة استفادة كبرى)[٣] وقد اعتمد دونلدسن في كتاباته على المستشرق الألماني كارل بروكلمان في كتابه (تاريخ

---

(١) Geschichte der rabischen Alitteratur١ p٢٠٩.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية، ج٤ ص ١٢٧.

(٣) دونلدسن: عقيدة الشيعة، ص ٢٨٢.

الأدب العربي) عندما ذكره اسماء المصنفين من شيوخ الامامية ولاسيما الشيخ الطوسي في علمي الحديث والفقه، كما انه اعتمد على كتاب (الفهرست) للشيخ الطوسي، وكتاب (الفهرست) لابن النديم. وكتاب (قصص العلماء) لمحمد بن سليمان التنكابني[١] وقد تناول المستشرق دونلدسن أصحاب الاصول في الحديث عند الامامية، فدرس الشيخ الكليني وكتابه (الكافي)، والشيخ الصدوق وكتابه (من لا يحضره الفقيه). ولكنه لم يدرس كتابي (التهذيب) و(الاستبصار) للشيخ الطوسي مع العلم انه قدم دراسة عن حياة الشيخ الطوسي في بغداد والنجف. ويقول دونلدسن (ومن غريب الصدف ان ثلاثة باسم محمد كتبوا الكتب الأربعة التي تعد امهات كتب الحديث عند الشيعة)[٢] وهو يقصد بهؤلاء المحمدين: محمد بن يعقوب الكليني، ومحمد بن علي بن بابويه الصدوق. ومحمد بن الحسن الطوسي.

لقد أوضح دونلدسن دور الشيخ الطوسي في تنمية الفقه الامامي على اعتباره (ثالث المحدثين الثلاثة)[٣]، بقوله: (و يقال انه كان له تأثير نافذ بنشر المذهب الشيعي، فقد كان عدد تلاميذه يزيد على الثلاثمائة)[٤] وهذا الرقم حقيقة أجمع عليه المؤرخون وأصحاب الرجال الذين تناولوا حياة الشيخ

(١) عقيدة الشيعة، ص ٢٨٣.

(٢) ن، م.

(٣) ن. م، ص ٢٨٥.

(٤) ن. م.

الطوسي[١]، وكانت الدراسة التي عقدها دونلدسن عن الشيخ الطوسي جيدة وصحيحة، وخاصة عن حياته العلمية وتلمذته على الشيخين المفيد والمرتضى، وهجرته إلى النجف بعد احراق كتبه وكراساته ويعطي دونلدسن السبب في ذلك بالقول: (وظن ذلك من عمل أعدائه الذين اشتكوه إلى الخليفة وادعوا أنه لعن الصحابة في أحد مصنفاته[٢] بقوله: (الظلمة الأوائل الذين لعنوا) فلما جيء به امام الخليفة انكر ذلك، وقال: يا أمير المؤمنين، ان الظالم الأول هو قابيل لقتله هابيل وهو أول من قتل من البشر، والثاني هو قاتل قيدار بن سام، والثالث هو قاتل يحيى ان زكريا، والرابع ابن ملجم قاتل علي عليه السلام، وبذلك دفع التهمة عن نفسه،[٣]. ولم يوضح دونلدسن ابعاد المحنة التي عرضت الشيخ الطوسي الى الخطر، والتي سببت احراق داره وكتبه وجميع مآثره مما جعله يهرب الى النجف نجاة بنفسه وقد أوضحت ذلك بشكل مفصل في كتابي (الشيخ الطوسي) وخاصة في الفصل الثاني منه، كما تعرض المستشرق دونلدسن بشكل سطحي ومبسط الى كتب الشيخ الطوسي كالفهرست والتهذيب والاستبصار، دون أن يكلف نفسه في استقصاء معالمها ومحتوياتها كما هو الحال بالنسبة لكتاب (الكافي) للشيخ الكليني.

---

(١) انظر حسن الحكيم: الشيخ الطوسي، ص ٧٥.

(٢) هو كتاب مصباح المتهجد للشيخ الطوسي.

(٣) دونلدسن: عقيدة الشيعة، ص ٢٨٦.

أما المستشرقة الايطالية ماريا نالينو Meria nallino وهي ابنة الكاتب الايطالي، المستشرق الشهير كارلو نالينو Carlo nallino، فقد كتبت مقالة، وصفت فيها مخطوطة لكتاب (الاستبصار) للشيخ الطوسي وهي محفوظة في خزانة والدها، وقد تعرضت الى حياة الشيخ الطوسي في الصفحات الأولى من المقالة، وتناولت هجرته إلى العراق، ودراساته في بغداد، ومحنته التي عرضت حياته للخطر، ثم وفاته، ويقول الاستاذ جورج عطية ان الكاتبة ماريا لينو ضمنت عرضها نقاشاً لجملة من أراء الشيخ الطوسي، وأوضحت بأنه قد عين من قبل الخليفة القائم ليعلم (اللاهوت التأملي أو ما يسمى بالكلام Kalam)(١)، ومن الجدير بالذكر ان الخليفة القائم بامر الله، منح الشيخ الطوسي كرسي الكلام، وكان الكرسي لا يعطى إلا للقليلين من كبار العلماء، ولرئيس علماء الوقت(٢). وقد أشارت ماريا لينو إلى نقطة مهمة في عصر الشيخ الطوسي وهي ان التقية Tagiyah ما كانت تستعمل كثيراً، وان مذهب الامامية كان يناقش في لقاءات عامة بين علماء الشيعة واهل السنة(٣)، وهذه النقطة اضيفت الى شهرة الشيخ الطوسي العلمية المستفيضة، وانعقاد الاجماع على أهميته، اضافة الى تحرر الفكر الامامي في عهده من التقية، حيث ان البويهين الذين سيطروا على بغداد منذ عام ٣٣٤هـ، سلكوا طريقاً وسطاً تجاه جميع الميول والاتجاهات والفرق، وتركوا الناس أحراراً في معتقداتهم وآرائهم، وعلى الرغم من كونهم من الشيعة،

(١) George N. atiyeh: al – shaykh al tnsi and and the orintalists. P. ٨.

(٢) حسن الحكيم: الشيخ الطوسي ص ٧٥.

(٣) George atiyah: p. ٨.

لم يحاولوا تسليط أبناء مذهبهم على أهل السنة[١]، وكان وراء الازدهار الفكري والعلمي والثقافي، الذي عم مدينة بغداد، اتساع افق المناظرات العلمية، وشيوع روح الجدل والنقاش العلمي بين المذاهب الاسلامية، حتى اصبحت سمة القرنين الرابع والخامس للهجرة ومن الواضح ان المناظرات ذات تأثير في تطوير الدراسات الفقهية حيث ينصرف كل فريق إلى ايجاد الطريقة المفضلة للرد، واثبات الحجج[٢].

لقد أخذت السيدة نالينو بالرأي القائل بأن الشيخ الطوسي أخذ في حياته المبكرة مذهب الوعيد للمعتزلة، ثم رجع مؤخراً إلى مذهب الشيعة الامامية، ولعل السيدة نالينو استمدت ذلك من رأي العلامة الحلي بالشيخ الطوسي والذي قال عنه: كان يقول بالوعد والوعيد ثم رجع عن قوله[٣] وهذا يعني ان الشيخ الطوسي كان قد اتفق مع المعتزلة في هذه المسألة، ولكن الحقيقة غير ذلك، حيث انه اتفق معهم في مسألة (الوعد) وخالفهم في مسألة (الوعيد) وذلك بموجب نظرية الشفاعة والعفو عن الكبائر السائدة عند الامامية:

وتنتقل السيدة نالينو إلى بحث آراء الشيخ الطوسي وخاصة في تفسير (القرآن الكريم) وتقول بأن الطوسي كباقي الشيعة ينفي وجود زيادة أو نقصان في القرآن، وهذا الرأي واضح كل الوضوح عند تصفحنا لكتاب

---

(١) Ency clopaedia of islam, vol. I b . ١٣٥٢.

(٢) حسن الحكيم: الشيخ الطوسي، ص ٩٢.

(٣) العلامة الحلي: الرجال، ص ١٤٨.

(التبيان) نجد الشيخ الطوسي يعطي رأيه صريحاً في هذه المسألة الخطيرة فيقول: (وأما الكلام في زيادته ونقصانه مما لا يليق به أيضاً، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها والنقصان فيه)[1]، وقد اعتبر نالينو رأي الشيخ الطوسي موافقاً تماماً لآراء أسلافه من شيوخ الامامية في القرآن الكريم. وهذا ما يفند رأي المستشرق جولدتسهر الذي حاول للتشكيك بالقرآن الكريم على اعتباره ناقصاً وذلك بغية الايقاع بالمسلمين، واشعال نار الفتنة بينهم، وقد افترى على الامامية كذباً وبهتاناً، وحمل عليهم القول بحصول النقصان في القرآن الكريم قائلاً: (ويسود الميل عند الشيعة على وجه العموم، الى أن القرآن الكامل الذي أنزله الله سبحانه كان أطول بكثير من القرآن المتداول في جميع الايدي، ومن قرآنهم أيضاً)[2]، ولكن هذاالقول المزعوم يفتقر كلياً إلى الموضوعية والتجرد والنزاهة ودقة الحكم، كما انه تجاهل متعمد لتفسير (التبيان) للشيخ الطوسي، وتفسير (مجمع البيان) للشيخ الطبرسي، وقد اعتمد جولدتسهر على مصادر ذات طابع معروف بالعداء للامامية. وقد حكم بدون تحفظ، ودون أن يأتي بشواهد تؤيد مقالته. والرأي الذي ذكره جولدتسهر على نقيض تام مع راي السيدة نالينو.

و أخيراً تنتقل الكاتبة الايطالية إلى نقاط النقد الموجهة الى الشيخ الطوسي من قبل (جماعة الاخباريين) على اعتباره في طليعة العلماء الاماميين الاصوليين الذين برزوا في مجال الاجتهاد المطلق، والذي أوضح

---

(١) الطوسي: التبيان، مج١ ص ٣.

(٢) جولدتسهر: مذاهب التفسير، ص ٢٩٤.

طريقة النظر والاستنباط وخاصة ما ذكره من آراء اجتهادية صرفة في كتابيه (المبسوط والنهاية) ولعل السيدة نالينو قرأت كتاب (لؤلؤة البحرين) للشيخ يوسف البحراني الذي انتقد البحراني الشيخ الطوسي انتقاداً لاذعاً نتيجة تحرره من المنهج الاخباري التقليدي: ولم تدرك السيدة نالينو ولا غيرها من المستشرقين هوية البحراني وآرائه الفقهية، واسباب نقده العنيف للشيخ الطوسي على اعتباره من أقطاب الحركة الاخبارية التي تشعبت من الفكر الامامي خلال القرن الحادي عشر الهجري، وخالفت هذه الحركة جماعة الاصوليين من الامامية والذين يأخذون بمبدأ (الباب المفتوح) في الاجتهاد، الكثير من المسائل الفقهية والاصولية. واظن ان السيدة نالينو قد اخطأت عند ذكرها نقاط النقد الموجهة لكتاب (النهاية)، اذ أن الشيخ يوسف البحراني وغيره من الاخباريين، يتفقون مع الشيخ الطوسي بما تضمنه كتاب النهاية من آراء، اذ هو أقرب الى المنهج الأخباري، ولم يملك فيه للشيخ الطوسي مسلك المجتهد الصرف، وانما مسلك الراوي للاخبار. وقد قال عنه البحراني (و كتابه كتاب رواية لا كتاب فتوى ودراية)[1] وانما كان النقد منصباً على كتاب (المبسوط) فقط، فهو من الكتب الأولية في مضمار الفقه لم يسبق أحد في الاسلام الى مثله في التفريع على الأسماء الفقهية، وعلى غاية من الاستقصاء. لشموله وسعته لابواب الفقه وفي اصالة وعمق استدلاله.

(١) لؤلؤة البحرين، ص ٢٩٧.

ان الشيء البارز في مقالة السيدة نالينو، هو التعرض لبعض آراء الشيخ الطوسي الكلامية والفقهية، وهذه ميزة لا نجدها في كتابات المستشرق دونلدسن وقد اطالت نالينو الكلام في مسألة (الوعد والوعيد) وأشارت إلى ما تضمنه كتاباً (المبسوط) و(النهاية) من آراء ولكن بأسلوب مقتضب.

أما الدكتور سبرنكر Dr A. Springer فقد كتب مقدمة لكتاب (الفهرست) للشيخ الطوسي[1] بمساعدة اثنين من الهنود هما: مولاي غلام قادر ومولاي عبد الحق. وقد اشار springer إلى أهمية الببلوغرافيا الشيعية، وقد قارن بين محتويات كتاب (الفهرست) للشيخ الطوسي، وكتاب (الرجال) للشيخ النجاشي.

وعلى الرغم من ان الدكتور سبرنكر لم يلق ضوءاً على حياة الشيخ الطوسي من خلال مقدمته للفهرست، ولكن دراسته المبكرة عن الشيخ الطوسي قدمته الى عالم الدراسات الشرقية[2].

وقد اشار المستشرق شترو تمان R. strothann، الى كتابي (التهذيب) و(الاستبصار) قائلاً: (فهما من تصنيف المؤلف الشيعي المشهور أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي صاحب كتاب الفهرست الشيعي،[3]، ولم يتعرض شترولمان الى محتويات كتب الشيخ الطوسي وآرائه في فروع المعرفة

(١) انظر مقدمة (الفهرست) طبع كلكتا عام ١٨٥٣م.

(٢) George N. atiyeh: alsha ykhal tuti and the orientalists. P. ٥.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية، مج ١٤ ص ٧٠.

الاسلامية، وكذلك لم يدرس الشيخ الطوسي دراسة وافية في بحثه الموسوم (الشيعة)، في دائرة المعارف الاسلامية.

و إذا انتقلنا إلى ما ذكره بعض المستشرقين حول آثار الشيخ الطوسي في المكتبات والجامعات الاوربية، فقد ذكر W. ahlwardt وجود نسخ عديدة من كتاب (الاستبصار) في المكتبة الملكية في برلين[١] ونسخة من كتاب (التهذيب)[٢]، ونسخة من كتاب الفهرست، كتب عليها (فهرست اعيان الشيعة وتصانيفهم،[٣] ونسخة من كتاب (مصباح المتهجد) ونسخة اخرى فيها ملحق صغير حول زيارة النبي(W) والائمة عليهم السلام[٤].

و قد كتب كل من فيليب حتي ونبيه أمين فارس وبطرس عبد الملك، عن مخطوطات الشيخ الطوسي المحفوظة في خزانة جامعة برنستن princeton، فقد ذكروا وجود نسخة من كتاب (التبيان) كتبها علي بن حمزة بن شهريار الخازن سنة ٥٦٧هـ في النجف الاشرف[٥] ونسخة من كتاب (التهذيب)[٦] ونسخة من كتاب النهاية، كتب عليها خطأ تأليف: ابو

---

(١) W. ahlwardt, die handschrifteu vevzeichnisse der kouiglichek bibliothek zu berlin. Vcn. ٢.

(٢) von. ٤. p, ٢٣٧.

(٣) Von. ٩. p. ٤٥٢ – ٤٥٣.

(٤) Von. ٣. p: ٣٢٢ – ٣٢٣.

(٥) Philip. K. hitti – nabih amin faris – butrus abd – al malik desoriptive catalog of the garrett collection of Arabic manuscripts in the Princeton university library p. ٣٨٦.

(٦) d. ٤٨٥.

جعفر محمد بن علي بن الحسن الطوسي ٣٨٥ - ٤٦٠هـ وقد كتبت بتاريخ ٢٦ ربيع الأول من سنة ٦٤٤هـ[١].

أما A. J. arberry فقد ذكر مخطوطات للشيخ الطوسي في اكثر من مكتبة أو جامعة، ففي خزانة جامعة كمبرج Cambribge نسخة من كتاب (الاستبصار)[٢] وذكر وجود نسخة من كتاب (التهذيب) مخطوطة في مكتبة جستربيتي chester beaty في دبلن[٣] ترجع الى القرن الحادي عشر، ونسخة من مخطوطة (الجمل والعقود)[٤] ونسخة من كتاب (الخلاف)، ترجع إلى حدود القرن السابع الهجري[٥]. ونسخة مخطوطة من كتاب (الرجال) ترجع الى القرن الحادي عشر[٦] ونسخة من (الفهرست) ترجع الى نفس القرن[٧]. ونسخة من كتاب (مختصر المصباح) أو المصباح الصغير، ترجع الى القرن التاسع الهجري[٨]، ومن الملاحظ ان المخطوطات الخاصة

---

(١) p. ٥٢٩.

(٢) A. J. arberry: asecond supplementary handlist of muhammadan in the university and colleges of Cambridge. P. g.

(٣) Arberry: the chester beatty library ahand list of the arabic manuscripts vol Iv. D. ٥٠.

(٤) Arberry: voll. vI١. p. ٦٣.

(٥) Arberry: vII. Vl.p ١٠.

(٦) Arberry: volI. vI. P. ١٧.

(٧) Arbelly: volI. vI. P. ٢٢ -٢٣.

(٨) Arberry: volI. V. b. ٣١.

بالشيخ الطوسي والتي ضمتها مكتبة جستربيتي، تؤرخ وفاة الطوسي بعام ٤٥٩هـ بدلاً من التاريخ المتواتر وهو عام ٤٦٠هـ[1].

و خلاصة القول: ان المستشرقين الذين تناولوا الشيخ الطوسي من اضراب براون ودونلدسن وماريا نالينو وبروكلمان وسيرنكر وغيرهم، لم تكن دراساتهم مفصلة وعميقة، بل تضمنت القاء نظرات بسيطة عنه، ولم يستوعبوا المصادر الاساسية التي تناولت حياته، ولم يركزوا على مؤلف من مؤلفاته: واحاطته بالبحث والتدقيق، وهذا لا يتناسب مع مكانة الشيخ الطوسي في الفكر الاسلامي. ولعل المرء يتسائل لماذا لم يأخذ الشيخ الطوسي مكانه اللائق في الدراسات الغربية على أيدي جماعة المستشرقين؟ والجواب عن هذا السؤال بسيط، هو انه لماذا لم يدرس على أيدي كتاب عرب: بصورة مفصلة وعميقة؟ اذ ان رجال الفكر والعلم وخاصة في مدرسة النجف الفكرية مقصرين بحق هذا المفكر الرائد الذي تناول معالم الفكر الاسلامي من الفقه والاصول والفقه المقارن والرجال وعلم الكلام والتاريخ والامالي والتفسير وغيرها سوى الدراسة التي عقدها العلامة الراحل الشيخ اغا بزرك الطهراني في مقدمة كتاب (التبيان) وكتابات العلامة السيد محمد صادق آل بحر العلوم في تقديمه لبعض مؤلفات الشيخ الطوسي وقد جاءت رسالتي الجامعية، دراسة تاريخية للجوانب الفكرية والحضارية للشيخ الطوسي، وما زالت آراؤه الفقهية والاصولية بكراً لم تمتد اليها أقلام الباحثين والدارسين ونحن نأمل برجال العلم في مدرسة

---

(١) VoI. Iv. P. ٥٠, ١٧: voI v. ٣١. voI. vII.

النجف وغيرها دراستها واخراجها إلى حيز الوجود، ولتكن جهودنا أسبق من جهود المستشرقين، وعلى ضوئها يسير الباحثون من شرقيين وغربيين.

الفصل السادس

دراسات نقدية لآراء المستشرقين

المقدمة

لقد وقفت على جهود جماعة من المستشرقين في دراساتهم للتاريخ الاسلامي ورجال العلم والفكر والأدب، فكانت تستحق الثناء والتقدير، ولكنها لم تسلم من النقد الموضوعي شأنها شأن دراسات العرب والمسلمين، وقد افرزت بعض دراساتهم عن الخروج عن الموضوعية والواقع التاريخي، وربما كان ناتجا من اسباب دينية او سياسية، وبعضها الآخر يتسم بالعمق والتحليل، وقد وقفت على هذين الجانبين من خلال كتاباتي الآتية:

١ - المؤرخ مونتغومري وات والنقد التاريخي، بحث منشور في جريدة الزمان البغدادية. العدد (٢١٢٤) بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٣١.

٢ - نظرة في آراء المستشرق لفهوزن، بحث منشور في جريدة الزمان العدد (٢٢٧١) بتاريخ ٢٩/ ٢٠٠٥/١١.

٤ - وقفة تأملية مع الشاعر الألماني غوته، بحث منشور في جريدة الزمان. العدد (٢٠٦٠) بتاريخ ٢٠٠٥/٥/١٥.

٥ - المرويات التاريخية الاولى عن المستشرق هورفتس، بحث منشور في جريدة الزمان، العدد (٢٦١٨) بتاريخ ٢٠٠٧/٢/١٣.

٦ - جهود المستشرقين الالمان في دراسة التاريخ والادب العربي والاسلامي.

٧ - جهود المستشرقين الالمان في حقل الدراسات الاسلامية.

٨ – العالم الاسلامي في كتابات المستشرقين.

٩ – المستشرقون ودراسة التراث العربي الاسلامي، بحث منشور في جريدة الزمان، العدد (٢٠٦٦) بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢٣.

و يأتي مبعث نقدنا لجماعة من المستشرقين من خلال كتاباتهم الاسلامية، وبخاصة في السيرة النبوية التي تخصص بها باحثون من اقطار اوربية مختلفة. وقد تصدى لها الباحثون الاسلاميون في كتاباتهم، ووقفوا على مواضع الخطأ فيها وتخصص بعض المستشرقين بدراسة عصر من عصور التاريخ الاسلامي، او دولة من الدول الاسلامية، فنجد حالة الانحياز بارزة في جوانب من هذه الكتابات، واننا لم نغفل جوانب الاصالة والابداع، وسمات الاتزان والموضوعية في بعض الدراسات، سواء في التاريخ الاسلامي او الأدب العربي، او الحضارة والنظم.

وقفة مع المستشرق البريطاني هاملتون جب

انصبت اهتمامات المستشرق البريطاني "هاملتون جب Gibb" على الأدب العربي، والتاريخ الاسلامي، ومن خلال دراسته لهما، يتضح منهجه في فهم الأدب والتاريخ، وقد أشار إلى هذا الجانب الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "ما يقال عن الاسلام" بقوله: ان المؤرخ هاملتون جب قد اتسم بين زملائه المستشرقين بسمة الاتزان، وتقدير التبعة، وأجتناب المساس بالشعور فيما يبحثه من المسائل التي تختلف فيها الآراء وتمتزج بالقصائد الدينية. وأن ما ذهب إليه الاستاذ العقاد سليم، ولكن ليس مطلقاً فيما لو وقفنا على كتاب "دراسات في حضارة الاسلام" والذي ترجمه كل من: الدكتور احسان عباس، والدكتور محمد نجم، والدكتور محمود زايد، لاتضحت حقيقة ما ذهبنا إليه، ولكن يبقى المؤرخ "جب" متميزاً على غيره من المستشرقين، وبخاصة الانكليز منهم، فقد كانت اسهاماته في تعميق النظرة الغربية إلى المؤسسات الاسلامية، ذات مساحة واسعة، فانه نشر بحثين قيمين عن التاريخ، فالأول في دائرة المعارف البريطانية بعنوان "التاريخ عند المسلمين"، والثاني في دائرة المعارف الاسلامية بعنوان "علم التاريخ" وذلك عام ١٩٣٨م. ويبدو ان ثقافته الواسعة في التاريخ الاسلامي. وتضلعه في اللغة العربية أهلتاه للوصول إلى المجامع العلمية العربية، وحصوله على عضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع العلمي العراقي، وكان قد اضاف إلى ثقافته الواسعة في الدراسات الاسلامية تعمقه باللغة العربية، فكان

استاذاً لها في جامعة اكسفورد. وشغل منصب محرر الطبعة الانكليزية من الموسوعة الاسلامية في المرحلة الواقعة بين ١٩٣٠ - ١٩٥٥م. وشغل منصب مدير مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفارد. وقد ساعدت هذه المناصب الاستاذ "جب" على التغل في اعماق الفكر الاسلامي، بما فيه من تاريخ وحضارة وفلسفة وأدب، حتى أصبحت له ملكة في تقويم الرجال، ونظرة واسعة في تحليل نفسياتهم واين يضع لفظ البطل أو العظيم، وقد حاول الاستاذ عباس محمود العقاد الوقوف على هذا الجانب من شخصية الاستاذ "جب" العلمية والتاريخية عند تحليله لشخصية الرسول الكريم محمد عليه افضل الصلاة والسلام، وتحليله لشخصية أبي سفيان في عصر الرسالة، اذ لم يغفل الاستاذ "جب" معاني العظمة والبطولة في الشخصية الاسلامية وبين اسبابها الواقعية. وهذه حقيقة نتلمسها في الرجال الذين اسرفوا في القتل، وبالغوا في التنكيل من أمثال: زياد بن أبيه، والحجاج بن يوسف الثقفي، وبسر بن أرطاة، وأمثالهم في التاريخين الأموي والعباسي والعصور التالية. وصولاً إلى التاريخين الحديث والمعاصر.

و كان الاستاذ هاملتون جب قد تحدث عن التجديد في الاسلام ومقارنته بالتجديد عند الغربيين. وكانت هذه النظرة التاريخية قد أوضحها الاستاذ العقاد في كتابه الاسلام في القرن العشرين بقوله: "أن التجديد في الاسلام يبدأ من جانب العلمانيين أو الدنيويين خلافاً لتجديد الغرب الذي يتولاه رجال الدين، وان المسلمين العصريين يعتمدون على مكانة الامام محمد عبده لتسويغ جهودهم التي لا يرضى عنها الجامدون كلما حاولوا

التقريب بين الاسلام والحضارة الحديثة، وتعليل ذلك عنده ان المسلم المتعلم على المنهاج الأوربي هو الذي يعرف ما يستفاد من علوم الغرب وحضارته، وهو منهاج لم يفتح امام الشيوخ قبل الجيل الجديد". ويحتاج رأي الاستاذ "جب" إلى أكثر من وقفة إذ أن في تاريخنا الحديث رجالاً عرفوا بالاصلاح وفكرة التجديد قد سبق بعضهم الامام محمد عبده، فقد كان استاذه السيد جمال الدين الحسيني الأفغاني قد جال في العالم الاسلامي حاملاً راية الاصلاح والتجديد وان جريدته "العروة الوثقى" وثيقة تاريخية تؤشر على آرائه، وقد سبق الافغاني آخرون في هذا الاتجاه، وإذا عدنا إلى اندماج المسلمين بالغرب عبر التاريخ وما نجم عنه من ترجمة العلوم والمعارف، يعطي مؤشراً على التلاقح الفكري بين الاسلام والمسيحية، أو حوار الحضارات بين الشرق والغرب، ولما أبقت بعض المذاهب الاسلامية الباب مفتوحاً امام الاجتهاد في معالجة المستجدات في العلوم والمكتشفات الحديثة التي لم نجد لها موقعاً في الموروث الاسلامي وانه يحمل في أبعاده أفكاراً تجديدية، في قبال بعض المذاهب التي جمدت على النصوص دون التحرك باستخدام العقل في حل مشكلات الحياة، ونحن بحاجة في الوقت الحاضر إلى دراسة الاعلام الغربيين الذين تناولوا التاريخ الاسلامي وحضارته من أمثال: إرنولد توينبي وجب ووات وغيرهم للوقوف على آرائهم في حالتي السلب والايجاب، ولعل طلبة الدراسات العليا هم اقدر من غيرهم على دراسة هؤلاء، وان دعوتنا هذه قد تلاقي اذاناً صاغية لدراسة المستشرقين دراسة علمية دقيقة وبروح محايدة شفافة، والرجوع إلى

مصادر المعرفة الاساسية لتبيان حقيقة ما يذهبون إليه، وكان المسلمون في عصور الاسلام الزاهية يعتمدون على فن المناظرة والجدل العلمي، البعيد عن روح التمذهب والتعصب، وقد نقل العرب المسلمون هذا الجانب من الحرية الفكرية إلى أوربا. وقد أشار الاستاذ الجندي في كتابه (اضواء على افكر) الى رأي العالم "ليبري Libri" بقوله: "لولا العرب لتأخر عصر التجديد في أوربا لمدة قرون، فلقد لمع العرب في كل الميادين العلمية في الوقت الذي فيه الشعراء والأدباء والفقهاء يقومون بأدوارهم في نهضة العرب الروحية والنفسية والخلقية. كان العلماء في كل الميادين يقومون بقسطهم في البحث والنقل والتجديد، ولم يدعوا باباً الا طرقوه، أن لم يكونوا قد فتحوا في العلم أبواباً جديدة". وهذا مما يتقاطع مع رأي المستشرق "جب" الذي وضع التجديد في الفكر الاسلامي بيد العلمانيين، وقد حمل راية التجديد في الاسلام اعلام الفكر والعلم والمعرفة من المتدينين المسلمين، ولكن الذي نقف فيه مع رأي المستشرق "جب" هو أن العلمانيين قد نزلوا إلى ساحة التجديد بعد الانحطاط والتخلف الذي ساد المجتمع الاسلامي وقد أدى إلى الاحتفاء بالمبادرات الفكرية وبخاصة في العصور الاسلامية المتأخرة.

وقفة تأملية

مع الشاعر الألماني غوته

يعد الشاعر "جوهان ولفانج جوته" كبير أدباء الألمان وشاعرهم الأعظم من أبرز المتأثرين بالشعر العربي، وقد أثارتني عبارته "أن العرب مطبوعون بفطرتهم على الشعر". وهذا ما جعلني اتابع سيرة هذا الشاعر، ومدى تأثره بالاداب العربية وأشار الاستاذ عبد الرحمن صدقي في كتابه "الاسلام والشرق" إلى هذا الجانب بقوله: ان الشاعر جوته قد قرأ شعر المعلقات ووقف على قصائد الفحول من الشعراء وقال: "لابد في مثل هذه الأمة الشاعرة من نبوغ العدد العديد من فحول الشعراء، فإذا اختصوا منهم بالذكر، على تطاول الازمان، وتعاقب الاجيال، سبعة فقط ليكونوا أصحاب المعلقات، فليس لنا الا النزول على حكمهم، ونلقى قرارهم بالتسليم، واشار إلى الشاعر امرئ القيس ومعلقته بأنها رقيقة مرحة، مشرقة المعنى، رشيقة اللفظ، شتى الفنون، ذات رونق مستحب وطلاوة مستطابة. أما معلقة الشاعر طرفة بن العبد فانه وصفها بالجرأة والحيوية والتوثب، ويسري فيها الابتهاج والتطرب، وأما معلقة الشاعر زهير بن أبي سلمى فقال عنها: أنها رصينة متزمتة، عفيفة مترفقة، حافلة بالتعاليم الخلقية الراجحة، والحكم الجليلة النافعة، ووصف معلقة لبيد بأنها لطيفة الوقع، بارعة الحكاية، أنيقة الديباجة، يشكو فيها الشاعر من جفاء حبيبته ليخلص من ذلك إلى تعداد مناقبه والاشادة بقبيلته، أما قصيدة عنترة فانها مستكبرة متفاخرة، ومتحدية متوعدة، بليغة الدلالة، جزلة العبارة، وتحدث عن

قصيدة عمرو بن كلثوم التغلبي فانها تمتاز بقوة عارضة وجلالة مهيبة، وفخامة رائعة، وكانت معلقة الحارث بن حلزة اليشكري آخر المعلقات، فوصف صاحبها بغزارة الحكمة، ونفاذ البصيرة. ويمضي الشاعر "جوته" في دراسة الشعر العربي في العصور الاسلامية، فتعرض لحماسة الشاعر أبي تمام، والتي مطلعها:

ان في الشعب الذي دون سلع   لقتيلاً دمه ما يطـــــل

فيقول "جوته": أن لباب هذه القصيدة ونخاع صلبها هو عظمة الشخصية وخطر الموضوع وجسامته مع قسوة الاخذ بالثأر في مشروعيته، وهو يعقب عليها شارحاً سياقها، مبيناً مواقفها، وكيف أصبحت الحكاية فيها شعراً، بحسن تصرف الشاعر العربي في سوق التفاصيل، وتدبير أوضاعها واختيار مواقعها مع البعد كل البعد عن زخارف القول بحيث يبقى على القصيدة طابع الجد والحدث الجلل، ويقول الاستاذ عبد الرحمن صدقي: وهذا مما يجعل القارئ لها يشهد بعين خياله تطور وقائعها من البداية إلى النهاية، كما لو كان في موقف صاحبها، ويبدو أن الأثر الاسلامي قد تغلغل في أعماق جوته، كما في شعره الحكمي ومنه:

من حماقة الانسان في دنيـــاه   أن يتعصب كل منا لما يـــــــراه

وإذا الاسلام كان معناه التسليم   له فاننا اجمعون نحيا ونموت مسلمين

و قد توج أدب الشاعر الالماني "جوته في مسرحيته عن الرسول الكريم محمد عليه افضل الصلاة والسلام. والتي نظمها عام ١٧٧٣م. وكان الفصل

الاول منها "مفاجاة محمد" وقد استوحى من الآية الكريمة ((و اذ قال ابراهيم لأبيه ازر انتخذ اصناماً الهة أني اراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين، فلما جن عليه الليل رأي كوكباً قال هذا ربي، فلما افل قال لا احب الأفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون، اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما انا من المشركين)) جوانب من السيرة النبوية الشريفة، بأن النبي الكريم وهو فتى، وقد خلا بنفسه بالليل، بعيداً في البادية، تحت سماء صافية، سافرة النجوم، فاعتمد "جوته" في المفاجاة على مضمون القرآن الكريم، وختم المفاجأة بالقول:

فارتفع أيها القلب العامر بالحب نحو الخالق.

أنت وحدك مولاي يارب.

انك الحب المحيط بكل شيء.

خالق الشمس والقمر والكواكب.

خالق السماء والارض وخالق نفسي.

وختم الشاعر "جوته" هذه المفاجأة بحوار بين النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، ومرضعته حليمة السعدية، وكان الفصل الأول تحت عنوان "نشيد محمد" لانه كان ينشده وحده بالليل تحت السماء الساجية،

ويشعر بنفسه العاكفة على التأمل والتفكير تسمو صعداً إلى الله الواحد الاحد الذي تستمد سائر الكائنات أية وجودها من وجوده، ويكاشف النبي الكريم عليه افضل الصلاة والسلام زوجته المجاهدة السيدة خديجة بنت خويلد رضوان الله عليها، فتؤمن به عن طيب نفس أول من يؤمن. وكان الفصل الثاني فقد خص بالدعوة حيث يقف الامام علي عليه السلام إلى جنب الرسول الكريم بنصرته من بين عشيرته وقومه، فينظم للدعوة بعض الناس، ويعارضها آخرون، وينتهي هذا الفصل بالهجرة إلى يثرب. وان الفصل الثالث قد خصص للصراع العسكري بين الاسلام والشرك وينتهي بتطهير الكعبة من الاصنام والأوثان، وينتصر الاسلام في نهاية المطاف، وان الفصل الرابع كان متابعة للمغازي السابقة ومن ثم يدس السم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل امرأة من يهود خيبر، وختم الفصل الخامس بكمال الرسالة الاسلامية وانتقال النبي الكريم إلى جوار ربه، ويقول الاستاذ عبد الرحمن صدقي في كتابه "الشرق والاسلام: ورد في مذكرات الشاعر جوته التي اسماها شعر وحقيقة" ما يفيد انه نظم أشعاراً غنائية عديدة لتأخذ مكانها في التمثيلية، ولكن ما بقي منها بين أيدينا نشيد واحد كان قد نشره الشاعر في التقويم الشعري الصادر في مدينة "جوتنجن Gottingen" عام ١٧٧٣م، وهذا النشيد على صورة مقطعات يتناوب في انشادها "علي" القائد الشجاع الأمين، وزوجته "فاطمة" بنت النبي عليه أفضل الصلاة والسلام وهو تصوير رائع لهذه القوة التي فجرها الله على يد رسوله خاتم المرسلين، ووصف شعري لفيض الاسلام، وسرعة

ذيوعه حتى انتظم النجاد والوهاد، وبلغ إلى المحيط الاعظم". ويبقى النتاج الادبي للشاعر الالماني "جوته" موضع دراسة وتحقيق، فكان قد اتصل بمكتبة جامعة جوتنجن عام ١٧٨٣م لموافاته بالمعلقات العربية في ترجمتها الانكليزية التي اصدرها في لندن المستشرق "وليم جونز William Jones"، وما كاد الكاتب يرد على الشاعر جوته وما تحتويه يداه حتى انكب عليه يطالعه في روية وامعان.

المؤرخ مونتغومري وات والنقد التأريخي

تخصص المؤرخ البريطاني الدكتور ومونتغومري وات W. Montgomer Watt بدراسة السيرة النبوية الشريفة والتأريخ الاسلامي واشتهر بكتابيه (محمد في مكة) و(محمد في المدينة) وعند قراءة متفحصة لهذين الكتابين تبرز فيهما صفة الحيادية والموضوعية في مساحة كبيرة منهما ولعل عمله الجامعي في جامعة ادنبرة ساعده على منهجه العلمي في دراسة التأريخ الاسلامي وقام بتلخيص كتابيه المذكورين بكتاب سمّاه (محمد الرسول ورجل الدولة – Muhammed prophet – States and man ويعطي هذا الكتاب شرحاً تحليلياً لظهور الاسلام ودور الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في مقاومة الشرك ونشر الدعوة الاسلامية وذهب الى القول: أن الاسلام ثورة شاملة للقضاء على الاوضاع الفاسدة القائمة في الجزيرة العربية، ويرمي الى اصلاح المجتمع وجمع كلمة العرب ووقف مونتغومري وات بوجه الكتابات الموجهة للاسلام والنبي الكريم عليه افضل الصلاة والسلام بأسلوب علمي دقيق، ويبدو انه كان يتقن اللغة العربية، اذ انه تولى قسم الدراسات العربية بجامعة أدنبرة، ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (ما يقال عن الاسلام) إن الاستاذ وات بحث عوامل نشأة الاسلام وعوامل الوحدة التي امتازت بها الدعوة المحمدية وجعلها المؤلف موضوعاً لكتابه وان كان قد وقف عند نهاية القرون الوسطى ولم يتقدم بها الى العصر الحديث وقد ابرز وات في كتابه (الاسلام والجماعة المتحدة) فكرة الامة التي نادى بها الاسلام وانها فكرة بديعة

والتي لم يسبق اليها ولم تزل الى هذا الزمن ينبوعاً لكل فيض من فيوض الايمان يدفع المسلمين الى الوحدة في أمة واحدة تختفي فيها حواجز الاجناس واللغات وعصبيات النسب ويلتقي الاستاذ (وليم موير) في كتابه (سيرة محمد) مع الاستاذ وات في نظرته المحايدة للنبي الكريم فيقول: (امتاز محمد بوضوح كلامه، ويسر دينه وقد اتم من الاعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التأريخ مصلحاً أيقظ النفوس، واحيا الاخلاق، ورفع شأن الفضيلة، في زمن قصير كما فعل محمد) وقد اورد الاستاذ محمد كرد علي في كتابه (الاسلام والحضارة العربية) نصوصاً من آراء عدد من الكتاب الغربيين من أمثال (وليم موير) و(جيبون) و(اليودو روش) تكشف عن دراسات جادة للاسلام ومبادئه وبروح محايدة فيقول الاستاذ جيبون: (جاءت الشريعة المحمدية عامة في احكامها، يخضع لها أعظم ملك، واضعف مملوك فهي شريعة حيكت باحكم منوال شرعي، وليس لها مثيل في العالمين) وأشار الاستاذ محمد كرد علي الى رأي الاستاذ ليودو روش في الاسلام بقوله: (ان الاسلام دين انساني طبيعي اقتصادي أدبي، ولم اذكر شيئاً من قوانيننا الوضعية الا وجدته مشروعاً فيه، بل انني عدت الى الشرعية التي يسميها جون سيمون (الشريعة الطبيعية) فوجدتها كلها اخذت عن الاسلام، ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين، فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالاً وكرماً) واذا عدنا الى المستشرق الاستاذ وات في كتابيه (محمد في مكة ومحمد في المدينة) نجد بين سطورهما هفوات تأريخية وشطحات قد لا يسلم منها أي مستشرق قد

درس الاسلام والرسالة والقرآن الكريم فقد استقى بعض النصوص من الباحث (ريتشارد بل) ومن كتابه (تفسير القرآن) دون نقد او تعقيب وهذا ما لاحظناه في كتابه (محمد في المدينة) ومثال ذلك انه اغفل موقف اليهود المعادي للاسلام بعد موقعتي بدر وأحُد سوى انه اشار الى يهود بني النضير وبني قريظة بصورة عابرة وطفيفة، وكان جائراً في تقويمه لشخصية بطل الاسلام وقاهر اليهود وفاتح خيبر الامام علي عليه السلام بقوله: (و لاشك ان محمداً أدرك ان علياً لم يملك صفات رجل الدولة الناجح) ولم يدعم كلامه هذا بأدلة تأريخية تلتقي مع فهمه للتأريخ وان مثل هذه الشطحات قد تلازم معظم المستشرقين عند دراساتهم للتأريخ الاسلامي ولذا يجب الوقوف من هذه الدراسات موقف الحذر الدقيق لإستخلاص جوانب الضعف منها وردّها بإسلوب نقدي هادئ.

نظرة في آراء المستشرق
فلهوزن

تعرض المستشرق (فلهوزن Weiihausen) في كتابه: (تاريخ الدولة العربية وسقوطها) للاخباري الكوفي أبي مخنف لوط بن يحيى، المتوفى عام ١٥٧هـ / ٧٧٤م وقد اشار الى اهتماماته بشؤون العراق، وبمدينة الكوفة على وجه الخصوص وفيما عداهما: (فليس عنده علم صحيح اختص به. ونظراً الى أن الكوفة والعراق، كانتا مقر الحزب المعارض لحكومة الدولة، فأن أبا مخنف يتكلم خصوصاً عن ذلك) ولكن قائمة مؤلفات أبي مخنف قد اجتازت هذا التحديد الجغرافي الذي ذهب اليه المستشرق (فلهوزن) فأن كتبه (الردة، وفتوح الشام، والشورى ومقتل عثمان) وغيرها التي تناولت حكم معاوية بن أبي سفيان، وولده يزيد، وحكم عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم، وكتبه عن فتوح خراسان، وحركات الخوارج، تبعد الاخباري أبو مخنف عن جغرافية العراق، وأن ما ذكره (فلهوزن) في هذا الجانب لا يتفق مع رأيه القائل: ان الموضوعات التي تناولها أبو مخنف بتفصيل وشغف خاص هي ثورات الخوارج والشيعة وهذا الرأي صحيح اذا كان الحديث عن هذه الثورات في العراق ولكن هناك ثورات للخوارج والشيعة في مناطق متفرقة من المشرق الاسلامي ومغربه. وقد تناول أبو مخنف مواضيع مختلفة في التاريخ الاسلامي وبخاصة تلك التي تتناول الشيعة والعلويين لميوله العقائدية نحوهم، فقد ذكرت المصادر أن جده كان من أصحاب الامام علي عليه السلام وقد استفاد ابو مخنف من روايات الكوفيين وقبيلته الأزد، وقد

قيل: أن أبا مخنف قد اهتم بأمر العراق وفتوحها، وأن المدائني قد اهتم بأمر خراسان والهند فارس، وأن الواقدي قد أهتم بأمر الحجاز، وهذا القول صحيح وسليم في حالة تغلب مؤلفات هؤلاء الاخباريين على منطقة دون سواها، ولكن هذا لم يكن مانعاً من خروجهم عن المناطق المحددة المذكورة ويقول (فلهوزن): أن أبا مخنف يمثل الروايات العراقية وقد تغلب هواه على أهل العراق، وكان الى جانب الامام علي(عليه السلام) وأبنائه ولكن رواياته جعلت المؤرخين من أمثال الطبري وابن الاثير يعتمدونها دون النظر الى ميوله العلوية، فقد أورد أبو مخنف الصورة العراقية نتيجة انتماءاته الاقليمية للعراق والكوفة، وربما، أن كتبه عن معركتي الجمل وصفين كانتا في المقدمة، وهي أقدم الكتب التي كتبها أبو مخنف، ويقول المؤرخ ابن قتيبة في كتابه (المعارف) إن أبا مخنف صاحب أخبار وأنساب ويقف المستشرق (فلهوزن) على روايات المؤرخ الكبير أبي جعفر الطبري التي اقتبسها من أبي مخنف فيقول: (ولا نكاد نجد من اخبار موقعة صفين عند الطبري الا ما يذكره أبو مخنف) وفي الحقيقة أن الجزئين الرابع الخامس من تاريخ الطبري تؤكد اقتباساته ويقول: (والطبري في العادة يذكر روايات أبي مخنف بحسب رواية ابن الكلبي لها) كما ورد (حكى المدائني عن أبي مخنف) ثم أورد روايات عن مقتل الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه) ومن يقف على نصوص ابن سعد في كتابه (الطبقات الكبرى) والطبري في تاريخه يلاحظ نقولاتهما عن أبي مخنف، عن محمد بن السائب الكلبي وولده هشام ومضى (فلهوزن) في ايضاح منهجية أبي مخنف في موقعة صفين فيقول: (وحكاية

أبي مخنف لموقعة صفين طويلة جداً في الحقيقة، وهي من طراز أخبار موقعتي القادسية ونهاوند، ويحتل الكلام عن مقدمات المعركة، قبل بدء الالتحام الحقيقي) (وكان ابو مخنف يستقي اخبار معركة صفين من شيوخ قبيلة الأزد عن آبائهم. كما ذكر الطبري في تاريخه، وهي تعطي صفة الروايات العائلية كقوله: (قال أبو مخنف: وحدثني أبي يحيى بن سعيد، عن عمه محمد بن مخنف قال: كنت مع أبي مخنف بن سليم يومئد، وأنا ابن سبع عشرة سنة) وكان يذهب أحياناً الى رواة آخرين كعامر الشعبي، وأبي المخارق الراسبي: ومجالد بن سعيد، ومحمد بن السائب الكلبي، ويقول فلهاوزن: (أما في الأغلب فأنه لم يأخذ ماروواه عن أقرانه من الرواة المتقدمين بل هو جمع رواياته من سماع لها بنفسه ومن السؤال عنها في مختلف مظانها وعند كل من استقالها من مصادرها أو حضرها بنفسه من الناس وقد اشار الى هذا الجانب ابن النديم في كتابه (الفهرست) بقوله: (قرأت بخط أحمد بن الحارث الخراز، قالت العلماء: أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره) ولاشك أن الكثير من النصوص التي استقاها أبو مخنف قد سمعها من رواة وقصاصين، وقد وجّه المستشرق (فلهاوزن) نقداً لاذعاً الى بعض الرواة بقوله: (نحن أمامنا طائفة كبيرة جداً من أسماء رواة نجهلهم جهلاً تاماً، وهؤلاء الرواة الذين شهدوا الحوادث لا يدركون ما يروونه ادراكاً كلياً شاملاً بل هم يذكرون أقل الحوادث شأناً ولا يغفلون عند وصف الحادثة ذكر الاسماء المتصلة بها وهم يجعلون الاشخاص في أفعالهم وأقوالهم في المحل الاول) ولم تكن هذه مثلبة لأبي

مخنف وانما كان رواة عصره يسيرون وفق هذا الخط وقد أشار المستشرق (بروكلمان) في كتابه (تاريخ الأدب العربي) الى هذه الظاهرة فيقول: (وذهب كثير من المتأخرين في العصر العباسي مذهب أبي مخنف) فقد كانوا يجمعون روايات متنوعة، فما على المؤرخ الاّ الموازنة بينها ليعرف الصحيح من غيره، وحاول المستشرق (فلهاوزن) الوقوف على أخطاء أبي مخنف دون مراعاة لظروف عصره فيقول: (فأن أبا مخنف لا يتناول برواياته فترة طويلة من الزمان، وهو لا يربط بين أجزائها ربطاً يراعي الوقائع كما هي ويراعي ترتيبها التأريخي) وفي الحقيقة أن هذه المنهجية لم تكن سائدة في القرن الثاني للهجرة، وأنما جاءت بعد عدة قرون وقد كان غرض الاخباريين جمع الروايات والاخبار من مصادر عائلية أو غيرها، ولولاهم لضاعت الاخبار، والى هذا الجانب اشار (فلهوزن) بقوله: ولو أن ابا مخنف لم يكتب لخسر التاريخ خسارة كبيرة، وكيف كان يمكنه أن يسلك فيما كتب طريقاً غير الذي سلكه؟ فلم تقدم لنا المصادر المكتوبة مادة كبيرة يستطيع أن يعتمد عليها، وهو قد انتفع بها ما كانت في متناول يده، ولكن من غير أن يجتهد في البحث عنها وفي جعلها أساساً على نحو منظم، وأكثر ما يرويه في معرض ذكر الشواهد التي تؤيد رواياته قصائد وأبيات من شعر الشعراء، وهذا المنهجية التي سار عليها قد سلكها غيره من الاخباريين، ولكن لو وقف المستشرق (فلهاوزن) على رواياته حول السقيفة وأخبارها فأنه كان ينقلها بدقة متناهية، ولعل صراحته في ايراده هذا الحدث جعلت المحدثين يوجهون اليه مصطلحات التضعيف التي اعتادوا على ذكرها مثل (ليس

بثقة، متروك ونحو ذلك) وقد أشار المستشرق (بروكلمان) في كتابه (تاريخ الشعوب الاسلامية) بأن أبا مخنف على الرغم من كونه شيعياً وكوفياً لكنه لم تبرز عليه مذهبيته في مؤلفاته لكنه في الوقت نفسه أورد وصايا الامام علي عليه السلام ذات المحتوى الانساني والاخلاقي في المعارك التي خاضها كما اشار المؤرخ بحشل في كتابه (تاريخ واسط) الى وصية الامام علي لجنده يوم الجمل بقوله: (لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً) وقد تلمسنا غرابة في بعض أراء المستشرق (فلهوزن) التي تتقاطع مع الواقع التاريخي كقوله: (أن أبا مخنف قد أغفل في بعض الأحيان شيئاً مما لا يعجبه كإغفاله مثلاً أن عقيل بن أبي طالب كان في موقعة صفين يحارب في صفوف أعداء أخيه علي بن أبي طالب) ولم يشر فلهوزن الى المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة التي لم نجد لها ذكراً في المصادر، ولا ندري من أين استقى فلهاوزن هذه المعلومة، علماً أن عقيلاً كان أعمى غير قادر على القتال، وكان ما في الأمر أن علياً عليه السلام كان يعامله كما يعامل الآخرين في العطاء، مما أوجد في نفس عقيل غضاضة على أمير المؤمنين عليه السلام، ووقف المستشرق (فلهاوزن) على رويات أبي مخنف فوجد في بعضها هفوات وقد أوضحها بقوله: (ويعوزه ترتيب الحوادث ترتيباً تاريخياً مطرداً، فهو لا يذكر الاّ تواريخ بين أيام الاسبوع من غير ذكر الشهر والسنة، فهو لا ينظم الحوادث في خيط يصل بينها، بل يضعف كل حادث على حدثه مستغلاً عما عداه. ويسهب في ذلك أكبر الاسهاب من غير أن يهتم باختصار على ما هو جوهري) وقد أشار مترجمو أبي مخنف الى مؤلفاته

البالغة اثنين وثلاثين كتاباً. وكان يعالج في كل كتاب حادثة معينة، أو شخصية اسلامية بارزة. أو أسرة عربية معروفة. وقد استطاع من خلال هذه الثروة التاريخية الهائلة اخراج الاخبار وفق ترسل رائع قد انتظم في أكثر من ثلاثين مقالة مستقلة، تتألف كل منها في الاعم الاغلب مشاهد مفردة كما اشار اليها المستشرق (بروكلمان) ويقول الاستاذ شاكر مصطفى في كتابه (التاريخ العربي والمؤرخون): ان أبا مخنف لم يهمل التسلسل الزمني لحوادثه، فالاحداث عنده مفصلة، ولكن دون تمسك كبير ويتخللها الصور والمشاهد من خطب ومحاورات وشعر مما يقربها من قصص السمر والأيام، ولكن هذه النصوص كانت مؤيدة بالاسناد.

جهود المستشرقين الالمان
في دراسة التاريخ والادب العربي والاسلامي

توزعت جهود المستشرقين الالمان على ثلاثة محاور، احدها في دراسة التاريخ الاسلامي ، وثانيها دراسة اللغة والادب العربي، وثالثها احياء قسط من التراث العربي والاسلامي. اضافة الى جهودهم في حقول الفلسفة والاديان وتحقيق المخطوطات واعداد الفهارس، فكان المستشرق الالماني "كارل بروكلمان" في مقدمة المستشرقين الالمان، حيث كتب "تاريخ الادب العربي" الذي اصبح مصدراً اساسياً لا يستغني عنه الباحثون في التراث العربي والاسلامي، وقد تتبع العصور التاريخية في دراسته القيمة في كتابه هذا، اما كتابه الآخر "تاريخ الشعوب الاسلامية" الذي اخرجه عام ١٩٣٩م، وقد افاد بروكلمان ما كتبه "وستنفلد"

F. Wuesten Feld, Die Geschich tchreiber der Araber und ihre Werke, Goeitingen

و يتضمن كتابه مجلدان نشرهما في برلين بين ١٨٩٨ - ١٩٠٢م، ثم ذيلهما بملحق من ثلاثة مجلدات نشرها فيما بين ١٩٣٧ - ١٩٤٢م، وقد جمع الاستاذ "وستنفلد" خمسمائة وتسعين اسماً من مؤرخي العرب. ويقول الاستاذ "مرجليوث" في كتابه " دراسات عن المؤرخين العرب": ان المستعرب الالماني " وستنفلد Wusten Feld" قام باعداد مجموعة من المؤرخين العرب الذين عاشوا في السنوات الالف الاولى للاسلام، فبلغ العدد (٥٩٠) ومن المرجح ان كثيرين قد افلتوا منه، ولو تنبه اليهم لزاد

العدد كثيراً. وقد اشرف وستنفيلد على طبع كتاب "السيرة النبوية" لابن هشام، وقد طبع في "غوتنجن" عام ١٨٦٠م في مجلدين، وقد ضبطها وستنفلد بالشكل اللازم، والحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس، وقد صدر، ترجمة محمد بن اسحاق المتوفى عام ١٥١هـ صاحب السيرة النبوية، والتي هذبها ابن هشام وحذف منها الكثير من نصوصها، وترجم السيرة التي كتبها ابن هشام المستشرق الالماني "وايل" الى اللغة الالمانية ونشرت الترجمة في مدينة سنتجارت عام ١٨٦٤م.

و قد اشاد الاستاذ الدكتور ريجيس بلاشير في كتابه "تاريخ الادب العربي" الذي ترجمه الدكتور ابراهيم كيلاني بجهود المستشرق الالماني "بروكلمان" وبخاصة كتابه "تاريخ الادب العربي" بقوله: ويسرني ان اشيد بعظمة هذا العمل ثمرة الدأب المتواصل. الذي وسع - احسن من أي كتاب آخر - افاق معلوماتنا عن الآداب العربية، هذا مع العلم اننا سنخالف بصورة منتظمة في نواح كثيرة من بحثنا، النظرات الواردة في كتاب "بروكلمان". ويمكننا الاشادة بجهود الاستاذ "آدم متز Adam MEZ" استاذ اللغات الشرقية بجامعة "بازل" بسويسرا، بكتابه الشهير "الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة في الاسلام Die Renaissance des Islams" والذي ترجمه الاستاذ الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة، استاذ التاريخ بكلية الآداب، جامعة القاهرة، وقد اشار الى اهميته في مقدمة الكتاب بقوله: "ليس في كتب المستشرقين على كثرة تآليفهم الا كتب

قليلة جداً تبحث في الحضارة الاسلامية مثل الكتاب القديم الذي الفه "فون كريمر A. von kremer" وجاء الكتاب بعنوان:

" Culturges chichte des Orients Unter den Chalifen, Wien, ١٨٧٥ "

وعلى هذا النحو كتب الاستاذ آدم متز كتابه "الحضارة الاسلامية قد نشر الكتاب على شكل فصول في مجلة "الثقافة الاسلامية " Islamic Culture" التي تصدر في مدينة حيدر آباد بالهند، باللغة الانكليزية، وقام بترجمتها من الالمانية الى الانكليزية الاستاذ خدابخش، وقد وقف الاستاذ محمد عبد الهادي ابو ريدة على هذه الترجمة فاشار اليها بالقوال: "فاعجبني منها دقة البحث وحسن الاستقصاء والاعتماد على المصادر الكثيرة المتنوعة اعتماداً يدعوالى الدهشة،ويستخرج العجب، من الصبر على البحث، والدأب في العثور على مادة الوضوح". وقد احاط الاستاذ "آدم متز" بالحضارة الاسلامية من جميع نواحيها، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وكشف في كتابه عن جوانب غامضة، واخذ في معالجتها بصبر واناة، ومع ما تحيط بالكتابة من أهمية علمية الا انه لم يخل من مؤاخذات ومنها الاكتفاء بنص معين دون الرجوع الى بقية النصوص لكي يوازن بينها، ومن المحتمل ان المنية عاجلته دون أن يتمكن من مراجعته عند الطبع، لان الكتاب قد طبع على الالة الكاتبة، وبعد وفاته نشره الاستاذ "ويكند ورف ReckendorF" عام ١٩٢٢م، وقد ترجمه الى اللغة الاسبانية الاستاذ "سلفادوزفيلا: Salvador Vila" عام ١٩٣٦م ، وترجمه الى اللغة الانكليزية الاستاذ صلاح الدين خدابخش – الاستاذ بجامعة كلكتا – ولكنه

توفى قبل ان يتم الترجمة، فاتمها الاستاذ "مرجليوث" - الاستاذ بجامعة اكسفورد، ونشره كاملاً عام ١٩٣٦م.

و كان كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب" للمستشرفه الالمانية "زيغريد هونكة Dr. Sigrid Hunke" من الكتب المهمة في الحضارة العربية والاسلامية، وقد ارادت المؤلفة ابراز دور العرب في بناء الحضارة الانسانية بقولها "صممت على كتابة هذا المؤلف، واردت ان اكرم العبقرية العربية وان اتيح لمواطني فرصة العود الى تكريمها، كما اردت ان اقدم للعرب الشكر على فضلهم الذي حرمهم من سماعه طويلاً تعصب ديني اعمى او جهل احمق"، وكانت الاستاذة "زيغريد هونكة" قد حصلت على شهادة الدكتوراه من جامعة برلين باطروحتها "اثر الادب العربي في الآداب الأوربية"، وفي عام ١٩٥٥ صدر كتابها" الرجل والمرأة"، وهو كتاب تاريخي اكدت فيه على فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة، والحضارة الانسانية عامة، وقد كتبت بحوثا ومقالات نشرتها في الصحف الاوربية تتسم بالموضوعية، اما كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب" فانه يعد من الكتب العلمية الموضوعية واود الاشارة الى ان الدكتورة زيغريد هونكه قد احبت العرب ووقفت الى جانب قضاياهم، وان زوجها المستشرق الالماني الدكتور "شولتزا" قد عرف بصداقة للعرب وتعمق في دراسة آدابهم والاطلاع على آثارهم ومآثرهم، ومما يؤيد ماذهبنا اليه ما ذكرته الدكتورة زيغريد "في سياق الحديث عن الاغريق، اعترف الاوربيون بدور العرب في التاريخ حين قالوا: ان العرب قد نقلوا كنوز القدامى الى بلاد الغرب.

و كانت السيدة الالمانية الذكتورة " ليختنستادتر" قد الفت كتاب "الاسلام والعصر الحديث Islam and the Modren Age"

و قد درست المؤلفة العلوم العربية والاسلامية في جامعة "فرانكفورت" ثم في جامعة لندن، وقد اقامت زهاء ثلاثين سنة بين بلاد الشرق الادنى والشرق الاوسط. وزارت ايران والباكستان ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "ما يقال عن الاسلام" : ان الدكتورة ليختنستادتر عنيت عناية خاصة بالمقابلة بين مذاهب السنة ومذاهب الشيعة ودعوات الاجتهاد والتجديد، كما استطاعت ان تفهمها او تتلقاها من مصادرها التي عرفتها اثناء اقامتها بالمدن الاسلامية. وقام بعض المستشرقين الالمان بزيارة الشرق والعالم الاسلامي والاطلاع على حضارته من امثال "مونك S.Munk" المتوفى عام ١٨٦٧م، وقد تصدى لدراسة فلاسفة الاسلام كابن رشد والغزالي وابن سينا، ومنح ابن باجة والفارابي الكثير من اهتماماته العلمية. وتصدى المستشرق الالماني الدكتور "بيتر باخمان" مدير المعهد الالماني للدراسات الشرقية في لبنان لدراسة الشاعر ابي الطيب المتنبي. وقام المستشرق "نولدكه" بترجمة تاريخ الساسانيين من تاريخ الطبري الى اللغة الالمانية. وكانت جامعة "جوتنجن" من ابرز الجامعات الالمانية في التخصصات الاسلامية واللغة العربية فبرز فيها المستشرق" البرت ديتريش" استاذ الدراسات الاسلامية واهتم الفيلسوف الالماني "رانكة" باللغتين العربية واللاتينية واذا ذهبنا الى ابعد من هؤلاء نجد العالم الالماني "كريستمان" في عام ١٦١٣م. قام بتدريس اللغة العربية في المانيا، ولديه

دراسة متخصصة للشاعر الالماني الكبير "جوهان ولغانج جوته" ولدي دعوة مخلـصة لطـلاب الدراسـات العليـا مـن دراسـة اعـلام المستـشرقين الالمـان وجهودهم في دراسة التاريخ والادب العربي والاسلامي.

العالم الاسلامي في كتابات المستشرقين

تعرض بعض المستشرقين لخارطة العالم الاسلامي، ودراستها وذلك لتبيان ما يحيط بالعالم الاسلامي من تاريخ وفكر وجغرافية واقتصاد ونحو ذلك، فكتب المستشرق "سوفاجيه Sauraget" بحثاً بعنوان "مقدمة لتاريخ المشرق الاسلامي Introduction al'histoire de lorient musulmar

و قد عرض في هذا الكتاب مصادر تاريخ كل قطر من اقطار المشرق الاسلامي وكان المستشرق الفرنسي الشهير "ماسنيون Massignon" قد كتب في التاريخ الاسلامي والمدن الشهيرة في العلام الاسلامي، وكان كتابه "تقويم العالم الاسلامي" قد توسع في دراسة الخارطة الاسلامية، وقد ساعدته رحلاته الى توسيع افاق معارفه عن الاقطار والبلدان الاسلامية واشار الاستاذ الدكتور محمد شبل في كتابه "حضارة الاسلام في دراسة توينبي" الى دراسة الاستاذ "كريستوفر دارسون" في عملية التغيير الذي احدثه رسول الانسانية محمد عليه افضل الصلاة والسلام في كتابه: "قواعد الحركة في تاريخ العالم The Dynamics of world History"

و قد تصدى بعض المستشرقين الى دراسة الاحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لقطر من اقطار العالم الاسلامي وفي مقدمتها ايران وباكستان وتركيا، فكتب البروفسور شبروك وليامز كتابه "دولة الباكستان" الذي اشار فيه ان المسلم يود الاقامة في بلاد تسود فيه اداب الاسلام. وتمنع فيها ظلم الاغنياء للفقراء، وكان المؤلف قد درس شؤون الشرق الاوسط وشؤون الهند والباكستان، وله دراسات واسعة في اقطار العالم الاسلامي،

وكتب "كويلريونج Guyler young" عن ايران واوضاعها الاجتماعية والدينية، واوضح بعض المستشرقين دور الاسلام في القارة الافريقية واعتناق الافارقة للدين الاسلامي الحنيف، فذكر الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "الاسلام في القرن العشرين" ان البروفسور مكملان في كتابه "افريقيا تنهض Africa Emergent"

قال: "ان الجانب الاسلامي في بلاد النيجر قد انمي فيه ما سحب الآن ثقافة مقررة بمعنى الكلمة الصحيحة، وقد تلقت هذه الطوائف حكمة جمة قد يكون القليل منها اليوم هو الحقيقة بأن ينسى، وكتب الأستاذ "ديديرنج وسترمان" كتاباً بعنوان "الافريقي اليوم وغداً" فذكر فيه الاسلام وصفاً غريباً. وكتب الدكتور ليندون هاريس كتابه "الاسلام في افريقية الشرقية" تعرض فيه الى العقائد الاسلامية تفسير الحوادث التاريخية ومآثر المسلمين في العالم كله، وفي تلك البلاد على التخصيص، وان كانت الصفة التبشيرية تطغى عليه. واشارت مؤلفات كل من: البورت في كتابه (افريقيا الغربية الجديدة" وكتاب "قضية الحرية الافريقية" لمؤلفه جويس كاري، وكتاب "قارة الغد" لمؤلفه بطرس بن ولوسي ستريت، وغيرها من الكتب الى الاسلام وانتشاره بين الشعوب الافريقية.

وتخصص بعض المستشرقين لدراسة شبه الجزيرة العربية من امثال: الكولونيل ديكسون في كتابه "عربي الصحراء" وكان المستشرق "ريتشارد بيرتون" قد تخفى بزي مسلم هندي، وذهب الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج، ليدرس شبه الجزيرة العربية وذلك في عامي ١٨٥٥ – ١٨٥٦م. فكتب

كتابه "الحج الى المدينة ومكة" وتمكن الاستاذ "لورنس" من الاندماج بالبدو وقد شاركهم في طرق معاشهم، واشارت المصادر الى بيرثرام سيدنيتوماس، المتوفى عام ١٩٥٠م انه اول من قطع الربع الخالي من جنوبه عام ١٩٣٠ – ١٩٣١. وكتب بعد ذلك مذاكراته في كتابين هما: "فزع ورحلات في بلاد العرب" و"بلاد العرب غير السعيدة"، وقد منح مدالية من الجمعية الجغرافية الملكية، ومدالية بيرتون من الجمعية الاسيوية الملكية.

وتصدى بعض المستشرقين لتحقيق الكتب العربية ونشرها والتي نتعلق بتاريخ العرب، وجغرافية الجزيرة العربية منها كتاب "صفة جزيرة العرب" لابي محمد الحسن بن احمد الهمداني المعروف بابن الحائك المتوفى عام ٣٣٤هـ، وقد نشره المستشرق "هنري مولر" في ليدن عام ١٨٨٤م، مع ملحق للشروح والتعليقات كما نشر كتاب (الاكليل" لابن الحائك ايضا مع ترجمة باللغة الالمانية.

وخلاصة القول ان المستشرقين في دراساتهم للعالم الاسلامي كانوا فريقين، احدهما منصف محايد في الدراسة والتاليف، والثاني مبغض معادي للعرب والاسلام، ومن الفريق الاول الاستاذ "جيرالدي" الذي يقول: "ان ظهور العرب في الغرب لحادث جليل يستحق ان يذكره الغربيون بالشكر والامتنان لان مدنية هذا الشعب العظيم كان لها تأثير كبير في اوربا". ويقول: "ميسوليري": لوازيل العرب من التاريخ لتأخرت النهضة الاوربية في اوربا بضعة قرون، فقد علمت الامة العربية الغرب بعد ان ايقظته خمسة قرون اوسطة، وحتى اواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن سينا لا

تزال تناقش في جامعة "منبولية" بفرنسا، وكتب الاستاذ "اريخ بتمان Erich Bethmann" كتابا سماه "قنطرة الى الاسلام Bridge to Islam"، فكانت دراسته تتسم بالروح العلمية للاسلام. كان في قبال هؤلاء الباحثين المنصفين، هناك كتاب ابتعدوا عن الحقيقة والصواب، ويقول "درابر": من موجب الاسف ان الادب الاوربي حاول ان ينسينا واجباتنا العلمية نحو المسلمين، فقد حان الوقت الذي ينبغي لنا ان نعرفهم، ان قلة الانصاف المبنية على الاحقاد الدينية وعلى العنجهية القديمة لاتدوم ابد الدهر. وقد لعبت الحروب الصليبية دوراً في تاجج الاحقاد في نفوس بعض الكتاب الغربيين، حتى تجاهل بعضهم السيرة النبوية. والقرآن الكريم.

المرويات التاريخية الأولى عن المستشرق هورفتس

اعتمد بعض المستشرقين المتخصصين بالدراسات التاريخية القديمة ومرويات الاخباريين والمؤرخين العرب والمسلمين على النصوص التي أوردها رواة السيرة والمغازي، وكان المستشرق "هورفتس" أحد المستشرقين المهتمين بهذا الجانب من التاريخ الاسلامي، فانه درس روايات المؤرخ الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك المستمدة من روايات الإخباري عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ) المتعلقة بهجرة المسلمين إلى الحبشة من ثم الهجرة إلى المدينة، وموقعة بدر الكبرى وغيرها وكان كتابه "المغازي الاولى" من الكتب المهمة في دراسة هذا الجانب من التاريخ فيقول: ان روايات عروة بن الزبير المدونة في تاريخ الطبري تعد اقدم المدونات التي حفظت لنا حوادث خاصة في حياة النبي عليه افضل الصلاة والسلام، كما أنها تمثل اقدم نصوص النثر التاريخي العربي، وعلى الرغم من اننا لا نجد في أي مرجع قديم أن عروة بن الزبير ألف كتاباً حقيقياً عن المغازي. فاننا واثقون انه جمع واخرج مجموعة أحاديث عن أهم الحوادث في عصر الرسالة. بل يتضح من الفقرات التي وصلت الينا أن عروة بن الزبير بني أجوبته المدونة على الأحاديث التي جمعها بنفسه، لانه كان لا يصرح باسم رواته في تلك الأجوبة العامة، فأنه يخرج على تلك القاعدة في خبر عن هجرة النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الكرام) إلى المدينة المنورة، وقد أوضح المستشرق "هورفتس" طريقة عروة بن الزبير في نقل النصوص وأن كانت مجردة عن الأسانيد فيقول: ان الإسناد في هذه المرحلة قد ظهر

بصورته البسيطة، وهذا أمر طبيعي خاصة أن الراوي هو أحد أبناء الصحابة فانه يروي عن أبيه بصورة مباشرة أو احد الصحابة المعاصرين للرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، فان الطريق سوف لا يشمل سوى راوٍ واحد وعليه أن الاسناد يكون هنا بسيطاً، وكلما ابتعدنا زمنياً عن أحداث السيرة يأخذ طريق الرواية بالاتساع ويصبح الاسناد في هذه المرحلة ضرورياً، وذكر المستشرق ليفي دلافيدا في دائرة المعارف الإسلامية: ان عروة بن الزبير قد استفاضت شهرته فقيهاً ومؤرخاً عن طريق مروياته للسيرة النبوية الشريفة، ولكنه وقع في خطأ مفاده انه الف كتاباً في سيرة محمد يعد من أقدم الكتب في هذا الجانب، وفي الواقع أن عروة بن الزبير كان راوياً للإحداث وبخاصة المغازي، ولم يؤلف كتاباً في السيرة، ولم يكن عروة منفرداً في هذا الجانب من المرويات فان بعض أبناء الصحابة قد تصدوا لرواية السيرة، وقد اعتمد الإخباري محمد بن اسحاق (ت ١٥١هـ) على مروياتهم في المغازي، وكان هؤلاء الرواة يشكلون المجموعة الأولى في رواية المغازي والسيرة الشريفة، وقد عاش معظمهم في القرن الأول الهجري. وقد نقلت نصوص ابن إسحاق إلى تلميذه ابن هشام (ت٢١٨هـ) ومن بعده إلى المؤرخ الطبري (ت ٣١٠هـ) في تاريخه وغيره من المؤرخين. ويقول المستشرق "هورفتس": ان المخاطب بتلك الرسائل في القطع الواردة في "تاريخ الطبري" هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في الغالب، أما القطع الأخرى فأن المخاطب به هو ابن ابي هنيدة. الذي عاش في بلاط الوليد بن عبد الملك. وان الذي ذهب اليه المستشرق هورفتس صحيحاً. إذ

أن عروة بن الزبير أصبحت له في البلاط الأموي حظوة كبيرة وموقعاً متميزاً، وهو بذلك قد أزال الفجوة بين الزبيريين والأمويين. تلك التي حصلت بعد اعلان الثورة التي قادها عبد الله بن الزبير في الحجاز، ومصعب بن الزبير في العراق، والتي أدت إلى مقتلهما وتطرق "هورفتس" إلى صلات عروة بن الزبير بأبناء الصحابة في المدينة المنورة، اذ كان المسجد النبوي يجمعهم في كل ليلة وتدور الأحاديث حول الفقه والتفسير والحديث والمغازي وقد أعطى المستشرق هورفتس في كتابه "المغازي الأولى" لروايات عروة بن الزبير المقام الأوفى. وهذا بارز في نصوص ابن سعد والواقدي والطبري وغيرهم، وهذا مما جعل هورفتس وغيره من المستشرقين يعتمدون على روايات عروة بن الزبير اكثر من غيره من رواة المغازي، ولكن الباحث في السيرة النبوية الشريفة والمغازي وأحداث القرن الأول الهجري أن يكون دقيقاً في اقتباساته، اذ ان بعض الروايات يحيطها الضعف ومنها روايات عروة بن الزبير، وقد يكون الوضع السياسي له دور في إضافة هذه الرواية وحذف الأخرى، ولابد من دراسة الرواة وفق المنظور النقدي لنص الرواية وراويها، ووفق مصطلحات الجرح والتعديل التي وضعها المحدثون كمعايير لصحة الرواية أو ضعفها، وقد اتسع علم الجرح والتعديل عند المسلمين بعد القرن الثاني للهجرة.

المستشرقون ودراسة
التراث العربي والاسلامي

تناول المستشرقون جميع أدبيات الشرق وعلومه، من حضارة وفكر وادب وفن وعقائد، كما تناولوا الشعوب والاجناس والمذاهب والفرق، وأشار إلى ذلك المستشرق الألماني "البرت ديتريش" استاذ الدراسات الاسلامية في جامعة "جوتنجن" بقوله: ان المستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأنى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق، وقد أصاب الاستاذ البرت ديتريش الحقيقة، إذ أن بعض المستشرقين لم يتقنوا اللغة العربية وعقائد المسلمين، وأن درسوا حضارة الشرق واديانه، وقد شجعت الحروب الصليبية على تطلع الغرب الى حضارة العالم الاسلامي، وما تبعها من استعمار وهيمنة على اقتصاديات وثروات المنطقة، وقد صاحب الاستعمار الغربي عدد من العلماء والمفكرين، فتعمق بعضهم بدراسة القرآن الكريم والفكر الاسلامي والتاريخ واللغة العربية بروح اقرب إلى الواقعية، في حين أن البعض الآخر انحرف عن جادة، الصواب، وأصبح التعصب المقيت طريقاً لهؤلاء، انطلاقاً من بواعث تبشيرية أو سلوكية استعمارية، ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "ما يقال عن الاسلام": كتب عن الاسلام في الغرب اناس يتشيعون له بمقدار ثورتهم على سلطة الدين في بلادهم، فهم يتطلبون محاسنه، ويقابلون بها مساوئ السلطة التي يثورون عليها، ولا يندر فيهم من ينصف الاسلام، ويهتدي إلى محاسنه السمحة، وان لم يدن به ولم يكن

على دين غيره. وفي الحقيقة التي نذهب اليها، استناداً لمدونات المستشرقين وما فيها من تناقض، وقفنا على أهداف المستشرقين واهدافهم على النحو الآتي:

طلاب الحقيقة والمعرفة

سار فريق من المستشرقين في طريق العلم والكشف عن الحقائق العلمية من غير ان يكون الدين أو الجنس حائلاً دون ابراز الحقيقة فكان الحياد منهجاً في الكتابة، فتناول هؤلاء التاريخ الاسلامي والحضارة والنظم والعقائد، فعالجوا النصوص معالجة علمية وقد تكون نسبتهم قليلة اذا ما قورنت بالآخرين من المستشرقين من اصحاب الدراسات الحاقدة، فيقول الاستاذ العقاد: "ان العلماء المتجردين للبحث العلمي عندهم يتحررون جهدهم من الأهواء النفسية التي تحول بين الباحث وتقرير ما يراه كما يراه، منهم من يقرر مذهباً له فلا يفرق بين المشاهدات التي تؤيد مذهبه والمشاهدات التي تنقضه أو تشك فيه أو تذره معلقاً بين النقض والتأييد، فينتهي إلى ترجيح مذهبه ثم يتبع الترجيح لقوله ان المذهب حتى الآن ثابت لولا ما يرد عليه من هذه المشاهدة أو تلك في جملة المشاهدات.

جماعة التعصب

لقد مال فريق من المستشرقين نحو التعصب المقيت للغرب، وحاولوا تجريد الاسلام من مفاهيمه الاصيلة، والحضارة العربية والاسلامية من الابداع، وحاول هذا الفريق ابراز جوانب اقتباس العرب والمسلمين من الامم والشعوب ذات الاصول الحضارية والفكرية القديمة كالهنود والفرس

واليونان والرومان، وقد اندفع هؤلاء إلى التفريق بين العقلية السامية وبين العقلية الأرية، فقد ذكر المستشرق الفرنسي ريناند في كتابه قواعد اللغات السامية المقارنة بقوله: ان من صفات الامم السامية الضعف والاخفاق في كل شيء، ويتخذ عقيدة التوحيد دليلاً على ذلك، فيزعم ان ظهور عقيدة التوحيد عند هذه الامم في العصور القديمة دليل على أن خيالهم ضئيل ذو لون واحد بخلاف الامم الوثنية، فان خيالها واسع قوي. وقد حاول المستشرق "ريناند" وغيره من المستشرقين انكار فضل العرب على الحضارة الانسانية، وقولهم ان العرب لا يمكن لهم ان يكونوا مبدعين في ما يأتون به من فكر، ويحققونه من انجاز حضاري، ولا ينبغي لهم ذلك، وان الذهنية أو العقلية العربية، - على ما يخرصون - ذات طبيعة تحليلية لا تقوى على الخلق الذي هو خاصية العقلية التركيبية، وقصارى ما يمكن ان تأتي به هذه العقلية التحليلية هو الملاحظة الدقيقة والرصد الجزئي للوقائع والاحداث.

جماعة المبشرين

لقد جند فريق من المستشرقين انفسهم لخدمة التبشير بالدين المسيحي، وهناك من جمع بين التبشير الديني وخدمة المستعمر فقد جعل هذا الفريق من كتاباته سهاماً لطعن الاسلام، فجاءت مشوهة للقرآن، الكريم والدين الاسلامي، وتعرضوا للرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام، فيقول الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "مطلع النور أو طلائع البعثة المحمدية: أن هذه الجماعة من المستشرقين تقرن سوء الفهم بسوء النية لانهم يخدمون سياسة المستعمرين، أو سياسة المبشرين المحترفين أو ينظرون في بحوثهم نظرة

الغربي الذي ينظر إلى الشرقي نظرة المتعالي عليه في حاضره وماضيه، غير انهم ما عدا القليل منهم مجددون سطحيون يحومون حول المسائل الحسية ولا يتوسعون في النظر أو يتعمقون وراء الظواهر التي يلمسها شاهد الحس لمساً فلا تخرج عنده من حدود ما يثبته أو ينفيه من وقائع العيان والسماع. وأن ما ذكره الاستاذ العقاد هو حقيقة واقعة كما تشير النصوص الى ذلك، اذ نهج هؤلاء سياسة "فرق تسد" في محاولة السيطرة على الاقطار الضعيفة عسكرياً، واشعال نار الفتنة بين المذاهب والطوائف.

جماعة الملحدين

تصدى الملحدون والماديون من المستشرقين للعقائد الدينية والروحية وخامر بعضهم الشك في عقائدهم التي ولدوا عليها، فأخذوا يدعون إلى هدم المجتمعات القائمة على أسس دينية، مستهزئين بالقضايا الروحية والغيبية، وقد عدوا الاديان عقبة في طريق التقدم والحضارة والمدنية، ولذا وجهوا سهاماً للاسلام والقرآن الكريم وللرسول الاعظم عليه افضل الصلاة والسلام ملتمسين نصوص الضعف والوضع في التراث العربي والاسلامي لتكون ذريعة لتعزيز آرائهم.

وإذا كنا طلاب علم وحقيقة، فما علينا الا افراز الاهداف التي تبناها المستشرقون، دون اعطاء صفة التعميم في السلب والايجاب.

الخاتمة

حاولت في الفصول السنة التي ضمها كتابنا "بحوث ودراسات في الفكر الاستشراقي" الوقوف على اراء بعض المستشرقين الذين تناولوا التراث الاسلامي، سواء في ايجابياتهم او في سلبياتهم، ولابد لنا التأشير على الجانبين المتناقضين بروح محايدة، بعيدة عن التعصب، لان الحقيقة يجب ان تقال، وفق المنظور العلمي للتراث الاسلامي والتاريخ وفق عصوره المتعاقبة، واذا كان لبعض المستشرقين فضل على احياء جانب من التراث، وهذا امر لامناص منه، فان هناك اخرين من اساء للفكر الاسلامي ورجاله، وان توجيه النقد لهذا الفريق من المستشرقين جاء من استقصاء النصوص وتحليلها ومن ثم نقدها وفق معايير البحث العلمي، فالامانة الملقاة على عاتقنا كباحثين تستلزم تبيان الحقيقة، وقد يقع كتابنا هذا بايدي الباحثين، فان لديهم الحق بتوجيه النقد العلمي، وتعطي هذه الحرية المجال الفسيح امام قراء كتابنا، وبحوث الناقدين له، وهذا مما يبعث في الباحثين استمرارية الكتابة، وفسح المجال امام الاخرين في تبيان وجهات نظرهم في هذا الموضوع او ذاك. فما علينا الا تكرار القول: ان الرأي السليم سوف يصحح الهفوات والاخطاء، وان الرأي الآخر قد يكون مثار جدل ونقاش، ومع كل مانذهب اليه ان حركة الاستشراق تحتاج الى دراسات تصويبية في جانب، واعتمادها مراجع يستفيد منها الباحثون من جانب آخر. وهذا ما نصبو اليه، والامل وطيد بطلاب الدراسات العليا، واساتذة الجامعات، والباحثين والمؤرخين، دراسة فصول كتابنا الذي تنقلت فيه من محطة

لاخرى فمنها التاريخ والادب والحضارة والفكر، وقد تضاف الى دراستنا جوانب ، وهذا مما يعطيني فرصة الرجوع الى كتابي مرة اخرى لاضيف معلومات او احذف منه بما لايتفق مع النصوص الجديدة -ان وجدت- لان العلم يسير بخطوات سريعة، قد تؤدي الى حركة نهوض في مجال البحث العلمي، وبخاصة في مجال الدراسات للفكر الاستشراقي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

احمد محمود صبحي (الدكتور)

١. في فلسفة التاريخ ، مؤسسة الثقافة الجامعية/الاسكندرية.

ادورد سعيد

٢. الاستشراق (المعرفة ، السلطة ، الانشاء) ترجمة كمال ابو ديب ، مؤسسة الابحاث العربية/بيروت.

ارفنج ، واشنتجون

٣. حياة محمد ، ترجمة الدكتور علي حسني الخربوطلي ، دار المعارف/القاهرة.

باريه

٤. دائرة المعارف الاسلامية (الجزء الخامس عشر) ترجمة احمد الشنتاوي واخرون.

بحر العلوم : محمد صادق

٥. دليل القضاء الشرعي (اصوله وفروعه) ، مطبعة النجف/النجف الاشرف ١٣٧٥-١٣٧٨هـ.

بروكلمان: كارل

٦. تاريخ الادب العربي ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، مطابع دار المعارف/مصر ١٩٦٢م.

٧. تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين/بيروت ١٩٦٠م.

البستاني: فؤاد افرام

٨. دائرة المعارف ، المطبعة الكاثوليكية/بيروت ١٩٦٢.

بكري امين (الدكتور)

٩. التعبير الفني في القرآن ، دار الشروق/بيروت ١٩٧٢م.

البهي ، محمد

١٠. الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، بيروت ١٩٧٣م.

التهامي: نقرة

١١. مناهج المستشرقين ، بحث بعنوان (القرآن والمستشرقون).

تويني ،ارنولد

١٢. بحث في التاريخ : ترجمة طه باقر ، مطبعة التفيض الاهلي/بغداد١٩٥٥م.

١٣.تاريخ البشرية ، ترجمة الدكتور نقولا زيادة ، المطبعة الاهلية للنشر والتوزيع ١٩٨١-١٩٨٢م.

١٤. الوحدة العربية آتية ، ترجمة عمر الديراوي ، دار الاداب (بيروت، الطبعة الاولى ١٩٦٨).

جب ، هاملتون

١٥. علم التاريخ ، دائرة المعارف الاسلامية ، الجزء الرابع.

جعفر : الشيخ الارض

١٦. مناهج المستشرقين ، بحث بعنوان (منهج مونتغمري واط في دراسة نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

جمال الدين: محسن (الدكتور)

١٧. المستشرقون والاماكن المقدسة ، شركة دار العروبة العالمية / بغداد، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ/١٩٧٦م.

الجندي : انور
١٨. الاسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب ، مطبعة الرسالة/ القاهرة.

جواد : علي (الدكتور)
١٩. تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٨م.

ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)
٢٠. المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي في بغداد.

جولدتهر ، اجنتس
٢١. مذاهب التفسير الاسلامي ، تحقيق الدكتور عبد الحليم النجار ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

حالموم : نور الدين ، واخرون
٢٢. المدخل الى التاريخ ، مطبعة الانشاء ، دمشق ١٩٦٤م.

حسن : ضياء الدين عتر (الدكتور)
٢٣. نبوة محمد في القرآن ، دار النصر ، حلب الطبعة الاولى ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

حسين مؤنس
٢٤. هامش كتاب التمدن الاسلامي ، لجرجي زيدان ، دار الهلال/مصر.

الحكيم : حسن عيسى (الدكتور)
٢٥. الشيخ الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ١٣٩٥هـ.

٢٦.محمد بن اسحاق ، مجلة اداب المستنصرية ، العدد الرابع عشر ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٢٧. مع المستشرقين في دراساتهم للشيخ الطوسي ، مجلة الرابطة، العدد الرابع ، السنة الثالثة ١٩٧٧م.

الحكيم : محمد سعيد
٢٨. توينبي المؤرخ ، رسم منظوري ، من بحوث مهرجان المؤرخ توينبي، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
حيدر بامات
٢٩.مجالي الاسلام ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة احياء الكتب العربية ، مصر ١٩٥٦م.

الخربوطلي ، علي حسني (الدكتور)
٣٠.هامش كتاب (حياة محمد) لارفنج ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٠م.
الخطيب البغدادي : ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)
٣١.تاريخ بغداد اومدينة السلام ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٣١م.
ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ)
٣٢. المقدمة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة.

الخياط : جعفر
٣٣. النجف في المراجع الغربية ، موسوعة العتبات المقدسة ، قسم النجف.

روزنثال : فرانز
٣٤. علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٣م.

روم لاندو
٣٥. الاسلام والعرب ، ترجمة منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٢م.

دوزي.
٣٦. تاريخ مسلمي اسبانيا ، ترجمة حسن حبشي ، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣م.

دونلدسن : دوايت ، م
٣٧. عقيدة الشيعة ، تعريب ع.م ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

دي غويه
٣٨. مقدمة تاريخ الطبري (طبعة ليدن)

السامرائي : قاسم (الدكتور)
٣٩. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

السبكي : تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ)
٤٠. طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد ، ومحمود محمد الطناحي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ١٣٨٥م.

ابن سعد : ابو عبد الله محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠هـ).
٤١. الطبقات الكبرى ، دار بيروت ودار صادر ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

سهيل زكار
٤٢. التاريخ عند العرب ، نشأته وتطوره ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق.

سوسة : احمد (الدكتور)
٤٣. تاريخ حضارة وادي الرافدين ، الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٣م.
ابن سيد الناس : فتح الدين ابو الفتح محمد بن محمد اليعمري الاندلسي (ت ٧٣٤هـ).
٤٤.عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، لبنان.

شاخت وبوزورت
٤٥.تراث الاسلام ، ترجمة الدكتور محمد زهير السمهوري ، مطبعة اليقظة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

شكيب : ارسلان
٤٦.حاضر العالم الاسلامي ، ترجمة عجاج نويهض ، مطبعة عيسى البابي ، القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م.

الصغير : محمد حسين (الدكتور)
٤٧. تايخ القرآن ، الدار العالمية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٣م.
٤٨. المستشرقون والدراسات القرآنية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الصفدي : صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ)
٤٩.الوافي بالوفيات ، مطبعة المعارف ، استانبول ومطبعة دار صادر ، بيروت.
الطبرسي : امين الدين الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)
٥٠. مجمع البيان في تفسير القرآن ، شركة المعارف الاسلامية ، طهران ١٣٧٩هـ.

الطبرسي : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)
٥١. تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف / مصر ، الطبعة الثانية.
٥٢. التفسير (جامع البيان عن تاويل اي قرآن) ، مطبعة شركة مصطفى البابي الحلبي واولاده / مصر ، الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

طه باقر (الدكتور)
٥٣. مقدمة كتاب (بحث في التاريخ) لارنولد توينبي ، مطبعة التفيض/ بغداد ١٩٥٥م.

الطهراني : محمد محسن (اغا بزرك)
٥٤. المشيخة او الاسناذ ، مطبعة الغري/ النجف الاشرف ١٣٥٦هـ.

الطوسي : ابو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)
٥٥. التبيان في تفسير القرآن ، المطبعة العلمية والنعمان / النجف الاشرف ١٣٧٦-١٣٨٣هـ.

الطويل : توفيق
٥٦. في تراثنا العربي الاسلامي ، مطبعة الكويت / الكويت ١٤٠٥هـ.
عبد الجبار ناجي (الدكتور)
٥٧. تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ، مسلسلة الموسوعة الصغيرة / بغداد ١٩٨٦م.

عبد الحميد صديقي
٥٨. تفسير التاريخ ، ترجمة كاظم الجوادي ، الدار الكويتية للطباعة / الكويت ، مطبعة قدموس / لبنان.

عبد الرحمن بدوي
٥٩.موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين / بيروت ١٩٩٣م.

العقاد : عباس محمود
٦٠.حقائق الاسلام واباطيل خصومه ، دار الهلال ١٩٦٥م.
٦١.عبقرية محمد ، دار التاليف / مصر.

العقيقي : نجيب
٦٢.المستشرقون ، الطبعة الرابعة/ القاهرة ١٩٤٦م.

العلامة الحلي : الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ)
٦٣. الرجال ، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية/ النجف الاشرف ، الطبعة الثانية ١٣٨١هـ.

عماد الدين : خليل (الدكتور)
٦٤.دراسات في السيرة ، دار النفائس ، الطبعة العاشرة ١٤٠٦هـ/١٣٨٦م.
٦٥.مناهج المستشرقين ، بحث بعنوان (المستشرقون والسيرة النبوية).

فهوزن : يوليوس
٦٦. تاريخ الدولة العربية وسقوطها من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة ، لجنة التاليف والترجمة والنشر / القاهرة ١٩٦٨م.

فؤاد محمد مشبل
٦٧. حضارة الاسلام في دراسة توييني للتاريخ ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر / القاهرة ١٩٨٦م.

كارليل : توماس

٦٨. الابطال ، ترجمة محمد السباعي ، دار الكاتب العربي / بيروت ١٩٦١م.

كاظم آل نوح

٦٩. محمد والقرآن ، المطبعة العربية / بغداد ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م.

كحالة : عمر رضا

٧٠. معجم المؤلفين ، مطبعة الشرق / دمشق ١٩٦٠م.

كولن ويلسن

٧١. سقوط الحضارة ، ترجمة انيس زكي حسن ، دار الاداب / بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.

لوبون ، غوستاف

٧٢. حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، دار احياء التراث العربي / لبنان.

مارجليوث . د.س

٧٣. دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة الدكتور حسين نصار ، دار الثقافة / بيروت.

مالك بن نبي

٧٤. الظاهرة القرآنية ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر.

محب الدين الطبري : احمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ)

٧٥. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، دار القادسية / بغداد ١٩٨٤م.

محمد جميل بيهم

٧٦. فلسلة تاريخ محمد ، بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

محمد صبيح
٧٧. بحث جديد عن القرآن ، شركة مطابع الطنطاوي / القاهرة ١٩٦٦م.

محمد عبده
٧٨. الاعمال الكاملة للامام محمد عبده ، تحقيق محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٢م.

محمد كرد علي
٧٩. الاسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر/ القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨م.

محمود اسماعيل
٨٠. البطل التاريخي بين كارليل وتويبني ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد السابع ١٩٧٨م.

محيي الدين اسماعيل
٨١. تويبني منهج التاريخ وفلسفة التاريخ ، دار الحرية للطباعة / بغداد ١٩٧٧م.

المظفر : محمد رضا
٨٢. الشيخ محمد بن الحسن الطوسي ، مؤسس جامعة النجف ، مطبعة النعمان / النجف الاشرف ١٩٦٧م.

نكلسن ، رينولد
٨٣. تاريخ الادب العباسي ،ترجمة صفاء خلوصي ، مطبعة اسعد / بغداد ١٩٦٧م.

الهروي : محمد حسن اديب
٨٤. الحديقة الرضوية في تاريخ مشهد ، مطبعة خراسان / مشهد ١٣٦٧هـ.

ابن هشام : ابو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ)
٨٥. السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، دار احياء التراث العربي / بيروت.

هورفنس ، يوسف
٨٦. المغازي الاولى ومؤلفوها ، ترجمة حسين نصار ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الاولى ١٣٦٩هـ.

هيكل ، محمد حسنين
٨٧. حياة محمد ، مطبعة السنة المحمدية / القاهرة ١٩٦٣م ، الطبعة الثامنة.

وات ، مونتغمري
٨٨. محمد في مكة ، ترجمة شعبان بركات ، المكتبة العصرية / بيروت.

الفهرس